الدعوة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
والشؤون الثقافية والفكر

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

بمناسبة عيد العرش المجيد

وليحرص المؤمن على شكر ربه

دعوة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

مدير المجلة
الأستاذ أحمد العلوي عبد اللوي

رئيس التحرير
الأستاذ هاشم العلوي القاسمي

العدد : 360
السنة الثانية والأربعون
ربيع الثاني - 1422هـ
يوليوز 2001م

أسسها
جلالة المغفور له محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة 1376-1957

... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.

وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة محمد الخامس
طيب الله ثراه إلى «مجلة دعوة الحق» بمناسبة صدورها
في شهر يوليوز 1957

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

بيانات وإرشادات

الإشتراكات في المجلة :
في المملكة المغربية 100 درهما
في الخارج : 300 درهما

الحساب البريدي : رقم 55 ـ 485 الرباط

أرقام الاتصال الهاتفي

الوزارة : 76.68.51
76.68.12
76.68.01
76.66.05

النشر والتوزيع : 76.32.10-

مطبعة فضالة

المحمدية ـ المغرب

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

ثمن العدد 6,00 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

صدق الله العظيم

شعبي العزيز:

إنك تدرك مدى أهمية الإصلاحات الجذرية التي حققناها، والتي أكسبت بلادنا مصداقية أكبر، ومكنتها من ترسيخ مشروع مجتمعي يستند إلى ديموقراطية اجتماعية متزنة، وتنمية اقتصادية مستديمة.

وإننا لنؤكد العزم على متابعة المسير لتحقيق كل مطامحك وتطلعاتك، وبلوغ جميع أهدافك وغاياتك، مما يقتضي تقوية الإيمان بالله، وتعميق الثقة بالذات، وإذكاء شعلة الوطنية في النفوس، وإشاعة روح المواطنة الحق، وتمتين التمسك بالثوابت والمقدسات، وسائر مقومات الكيان، والمثابرة على مضاعفة الجهود وتظافرها، والتعاهد على بذلها بحب وتفان، وصدق وإخلاص.

وإن تحقيق هذه المقتضيات هو الذي سيمكن المغرب من توفير أسباب العزة والمناعة، وسيؤهله لرفع تحديات المستقبل، ومواجهة الإكراهات التي يفرضها عالم متحول، وهي إكراهات متعددة ومعقدة وحاسمة، إذ تستوجب تطوير توظيف كل المعطيات الوطنية، اقتصادية كانت، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو سلوكية، وتستلزم التوفيق بين تلبية متطلباتنا، والتكيف مع متطلبات العولمة، التي أبانت عن شراستها الإقتصادية، بما تحمل في طياتها من آثار جانبية، وبما تنطوي عليه من مخاطر نمطية ثقافية، وهي سلبيات لا سبيل أمامك لتجنبها شعبي العزيز، إلا بالحفاظ على هويتك، والإلتحام حول قيادتك، والحرص على مؤسسات تقي بلدك المغامرات، والتدبير الدائم لدروس تاريخك الحافل الذي كتبه أجدادك الأباة بمداد دمائهم الزكية، مضحين بكل غال ونفيس، وبأرواحهم فداء للمغرب العزيز.

من خطاب أمير المومنين
جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده
إلى الأمة المغربية
بمناسبة عيد العرش المجيد
والذكرى الأولى لتربع جلالته
على عرش أسلافه الميامين

أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده

صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد حفظه الله

شجرة

صاحب الجلالة الملك محمد السادس

نصره الله

هو صاحب الجلالة محمد السادس بن الحسن الثاني
ابن محمد الخامس بن يوسف بن الحسن الأول بن محمد
الرابع بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد الثالث
ابن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف بن علي الشريف
ابن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف بن الحسن
ابن محمد بن الحسن الداخل بن القاسم بن محمد بن
أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد
ابن عروة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن
ابن أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن محمد النفس
الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى
ابن الحسن السبط بن الإمام علي وسيدتنا فاطمة
الزهراء بنت **سيدنا محمد** صلى الله عليه وسلم

تهنئة

مولاي أمير المومنين، سبط الرسول الأمين، وسليل دوحة العلويين الطاهرين، وحامي حمى الوطن والدين، المحفوظ بالسبع المثاني والقرآن المبين، جلالة الملك محمد السادس، دام له النصر والعز والتمكين.

بمناسبة الطلعة البهية لعيد العرش المجيد 2001، وحلول الذكرى الثانية الميمونة لجلوس جلالتكم على أريكة أسلافكم المنعمين، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة مجلة "دعوة الحق" أن ترفع إلى مقامكم العالي بالله، أصدق آيات الإخلاص والولاء والوفاء، وأغلى عبارات التبريك والتهاني والأماني، ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة، واحتفالا بمقدمها المبارك، والتي تشكل في حياة الأمة المغربية وتاريخها التليد أقوى رابطة وأمتن لحمة بين الشعب المغربي الوفي والعرش العلوي الشريف.

حفظ الله مولانا الإمام بما حفظ به الذكر الحكيم، وأعانه على بلوغ ما يصبو إليه لخير شعبه ووطنه من تقدم وازدهار ونهضة وارتقاء وسيادة وكرامة تحت قيادته الرشيدة وحكمته السديدة.

ونسأله جل وعلا أن يسدد خطاه، ويمده بالعون السابغ فيما يبذله من جهود مشكورة، ويقفه من مواقف مشهودة لنصرة القضايا العربية والإسلامية، وفي طليعتها قضية القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأن يثيبه على مساعيه المبرورة من أجل أن تتبوأ الأمة الإسلامية أسمى المقامات وأسنى الدرجات.

كما ندعو سبحانه أن يشد أزره، ويقوي عضده بشقيقه صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد، حفظه الله، وأن يكلأهما بعينه التي لا تنام ويحوطهما بكنفه الذي لا يضام، وجميع أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

دعوة الحق

افتتاحية العدد

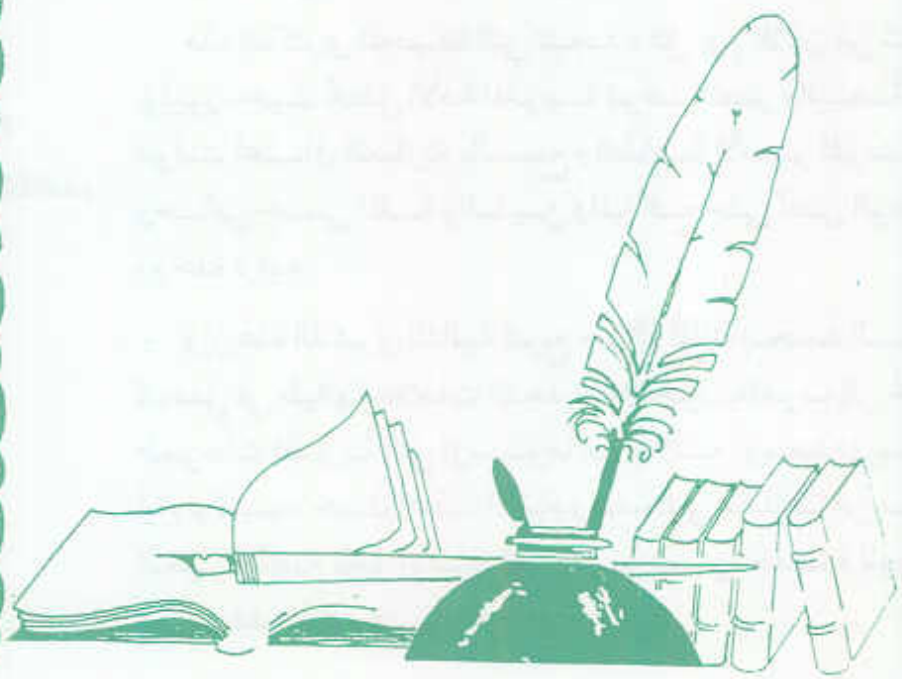

افتتاحية العدد

عيد العرش مسيرة أو تجديد

لرئيس التحرير
الأستاذ هاشم العلوي القاسمي

تحل الذكرى الثانية لعيد العرش المجيد، وقد تربع عليه حضرة صاحب الجلالة أمير المومنين، السلطان المعظم سيدي محمد السادس ابن الحسن بن محمد بن يوسف، بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف، قدس الله روح أجداده الملوك العظام.

هذه الذكرى المجيدة التي تتجدد كل يوم ثلاثين من شهر يوليوز، حيث تحتفل الأمة المغربية بموعد النصر والبيعة التي طوقت أعناق المغاربة بالسمع والطاعة لأمير المومنين وحامي حمى الملة والدين والمدافع على أمن الوطن ووحدة ترابه.

وإن هذه الذكرى الثانية لتربع جلالة الملك محمد السادس لتحمل في طياتها علامات التجديد والتحول بالمغرب إلى تحقيق طموحات المغاربة التي توسموها في جلالته، وسعدوا بها عبر أيام تزكيته، حيث أعطت الأيام وستعطي معلما من معالم التغيير والتقدم نحو الأمام، فهي بداية مسيرة جديدة للوصول إلى الهدف المنشود.

وقد واكبت «دعوة الحق» مراحل ومحطات هذه المسيرة، فكانت تتركز كلها في فتح الملفات الاجتماعية وإعطائها ما تستحقه من النظر البعيد، والدراسات الدقيقة، والاعتبار الجاد المشروع.

وأبرز هذه الملفات : ملف التضامن الاجتماعي الذي أصبح يكون مؤسسات تضامنية اجتماعية واقتصادية وصحية وعلمية وتشريعية. فقد اهتمت المؤسسات الوطنية وفقا للتوجيهات السامية المولوية بالقضايا الحساسة في هذا الاتجاه، التي طرحتها مشكلة الجفاف الذي أصاب البلاد في السنوات الأخيرة، وبدأ مشروع التغلب عليه، على أساس التضامن الاجتماعي، والتعاون الشامل بين القوى الحية في البلاد.

وقد تجندت الأمة طاعة لمولانا أمير المومنين للتغلب على هذه المشكلة الكبرى، التي تقض مضاجع المغاربة شمالا وجنوبا، شرقا، وغربا، بل تؤثر حتى على البنية الديمغرافية للبلاد، فتؤدي إلى اختلالات توازنية في المجتمع المغربي.

وقد عملت مؤسسات الدولة، وفقا لتوجيهات أمير المومنين على إعطاء الأولوية والأسبقية لمسألة التضامن الاجتماعي، على أساس أن يصبح «استثمارا» مؤسساتيا يخلق الشغل، ويحول عناصر المجتمع من عناصر تواكلية لا تقدم خدمات للمجتمع، إلى عناصر فاعلة وعاملة، تأخذ وتعطي، تنشىء وتبني. وهذا يعني تحويل المجتمع من مجتمع جامد سكوني إلى مجتمع متحرك فاعل خلاق، مبدع من أجل بناء مغرب جديد.

إن تحقيق هذا المشروع، وتنفيذ ملفه المرسوم ليس عملية سهلة، وقد بدأت المنجزات في هذا السياق تخطو خطواتها الثابتة، بدقة وصدق.

ولم تقف الأمور عند هذا المستوى التضامني المرسوم، فقد تواصلت المسيرة بطابعها التجديدي في مستويات أخرى، من أجل تحقيق تنمية شاملة، مثل «ملف التعليم»، حيث بدأ مشروع «محو الأمية» و«محاربة الجهل»، انطلاقا من المبدأ الإسلامي الذي أعلن الحرب على الجهل منذ بدء الوحي والدعوة الاسلامية: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

فقد بدأت المسيرة في هذا الاتجاه إيمانا بأن كل نهضة اجتماعية واقتصادية وسياسية لا تعطي أكلها إلا بالعلم، العلم الذي يواكب مقتضيات العصر، ويحافظ على مبدإ الوسطية الإسلامية، ويحقق المصلحة العليا المبنية على التسامح والمرونة والاعتدال.

والتجديد الذي بدأت تبرز معالمه، أسس على فلسفة إشراك جميع المواطنين في تحقيقه؛ وهذا نابع من المبدإ السامي الذي قرره جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وهو ضمان حق المشاركة والمساهمة لجميع المواطنين في البناء وتسيير أمور مجتمعهم، بغية ضبط وتنظيم «شأنهم العام». فكل جماعة هي أدرى بشؤونها دون أن تشتط وتخرج عن النسق المرسوم لها في ظل التوجيه المولوي السامي. فالشأن العام في وطننا المغربي أخذ بُعْداً جديدا في عهد جلالة محمد السادس حفظه الله، وأخذ يخطو خطوات ثابتة نحو فتح ملفاته الاجتماعية والاقتصادية، ودراستها ومعالجتها بحكمة وتبصر من شأن ذلك أن يخلق مجتمعا مغربيا جديدا معاصرا، بحقوقه الإنسانية، وأصوله المغربية الحضارية والدينية، وبقيادته السامية.

أدام الله نصر مولانا أمير المومنين، ووفقه لمصلحة البلاد والمسلمين، وأمده بعونه وتوفيقه، وسدد خطاه، وأحيى ذكرى عيد عرشه على مر الأيام والسنين، وشد أزره بصنوه السعيد وشقيقه المجيد المولى الرشيد وسائر الأسرة الملكية الشريفة، حفظهم الله بما حفظ به الذكر الحكيم.

وتتقدم «دعوة الحق» من خلال هذا العدد بأحر تهانيها إلى السدة العالية والشعب المغربي العتيد.

رئيس التحرير
هاشم العلوي القاسمي

عواطف ومشاعر

إلى

رمز المكارم والمفاخر

مولانا أمير المؤمنين وسبط الرسول الأمين

صاحب الجلالة الملك محمد السادس

أدام الله عزه وعلاه

بمناسبة عيد العرش المجيد

والذكرى الثانية

لتربع جلالته على عرش أسلافه الميامين

مقالات ودراسات

بمناسبة

عيد العرش المجيد

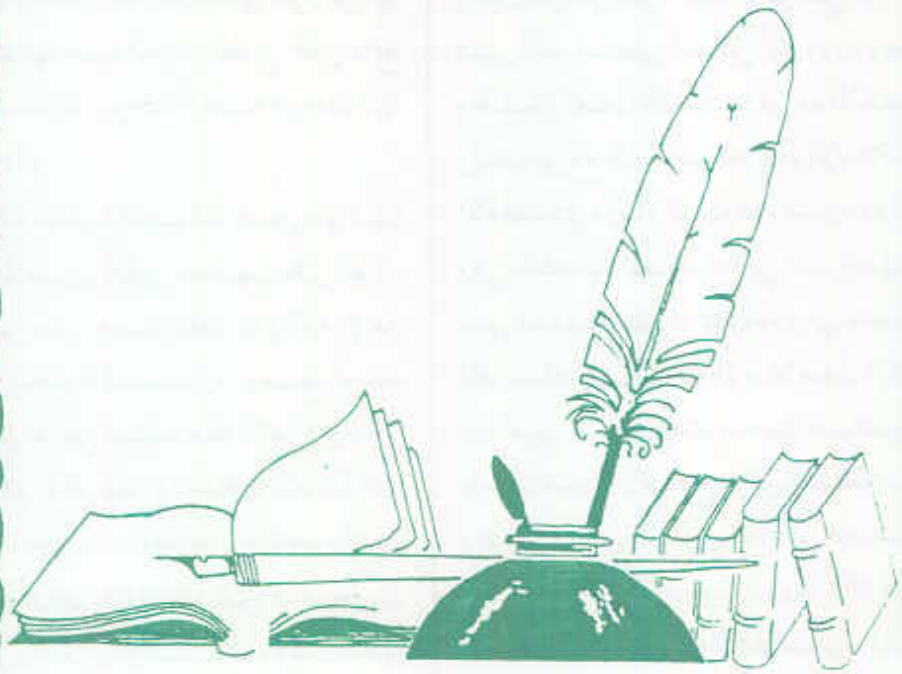

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس
ملك الإصلاح والتغيير والتحرير

للأستاذ إدريس خليفة
رئيس المجلس العلمي الإقليمي وعميد كلية أصول الدين
- تطوان -

حقق المغرب في مختلف العصور بقيادة ملوك الدول التي تعاقبت على الحكم فيه منجزات اجتماعية واقتصادية وسياسية، في طليعتها وحدة الأمة واجتماعها حول ثوابتها الدينية والوطنية، والتفافها حول العرش المغربي الذي دافع عن حرية المغرب واستقلاله ووحدة أراضيه ووحدة دينه وعقيدته وهويته وأصالته.

وفي عهد الدولة العلوية المجيدة، عمل ملوكها ووراءهم الشعب المغربي الذي بايعهم على الولاء والطاعة، والإخلاص على حماية المغرب والدفاع عن حدوده ودرء أخطار محاولة استعماره، ومسح هويته، وطمس معالم حضارته التي تستمد مقوماتها من الدين واللغة والتراث وذاكرته الوطنية والثقافية الهائلة التي تختزن قدرا كبيرا من التجارب والمعلومات والتصورات.

وفي هذا النطاق خاض الملك المغفور له محمد الخامس معارك تحرير المغرب واستقلاله، وبذل النفس والنفيس لإعلاء كلمة الله، ووضع حد للوجود الاستعماري بالبلاد، وجاء بعده ابنه ووارث سره أمير المومنين الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه الذي كان وزيره وأمين سره في فترة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال، فبنى المغرب على أساس الشورى وحقوق الإنسان، وتحقيق العدل الاجتماعي، والانفتاح على العالم، والتضامن مع الشعوب العربية والإسلامية، وتحقيق التقدم الاقتصادي، وبناء السدود، واسترجاع المناطق المغتصبة، وفي مقدماتها الصحراء التي استرجعها بعدما نظم إليها مسيرة سلمية خضراء عظيمة، وهي منجزات كبيرة، أهلت المغرب لدخول مرحلة الإصلاحات الكبرى التي ينجزها ابنه أمير المومنين الملك محمد السادس نصره الله الذي يؤمن بأهمية الإصلاح، وكونه مناط أمن المغرب وتقدمه وتطوره لا على المستوى الداخلي فحسب، بل كذلك على المستوى الخارجي بسبب العولمة وآثارها، والانفتاح على المحيط الاجتماعي والاقتصادي، والعلاقات المغربية الإسلامية، والمغربية العربية، والمغربية الإفريقية، والمغربية

المغاربية، وهي كلها آفاق واسعة كبيرة، تتطلب كثيرا من الصبر والدرس والتخطيط والاستخبار والعلم والتعليم والتوجيه والمتابعة، كما تتطلب إقرار ما يجب إقراره داخليا، والتفرغ لما يجب التفرغ له خارجيا، فإكراهات الداخل تستدعي الحسم في أمرها بمقتضى الشرع والدستور والعرف الوطني، والوحدة الوطنية، والبعد عن المعارك المفتعلة، والمشاكل المستوردة، والمصالح الجزئية، وإكراهات الخارج تقتضي التفكير والإعداد والتخطيط والتتبع دون إعاقة داخلية من تلك الإكراهات المشار إليها.

وأمير المومنين الملك محمد السادس نصره الله مؤهل للنجاح الباهر في قيادة هذا الإصلاح بوراثته السلالية العلوية الكريمة آل بيت رسول الله ﷺ، ووارثته التاريخية لأمجاد الآباء والأسلاف ملوك هذه الدولة الذين كان لهم شأن كبير في حماية الثغور، والذب عن الهوية والأصالة، وجمع الكلمة، ومقاومة الفتن، وإخماد الثورات، ومحاربة الشعوذة والعناية بالتعليم، وبتعليمه وتأديبه على يد والده الذي عكف على تربيته تربية إسلامية مبنية على مقومات الفطرة، ومقتضى التجديد، والانفتاح على العصر، وبالتجارب التي اكتسبها وليا للعهد، وهو يشاهد والده يدير شؤون الحكم وفق المستجدات، ويبني الوطن طبقا للاحتياجات، ويصدر الظهائر، ويوجه الأمة بخطبه ومراسلاته ومحاوراته وكتبه، ويستقبل الوفود، ويجمع الحشود والجيوش، ويتابع كلال الليل بكلال النهار لإسعاد الأمة، وفاء بمقتضيات الأمانة والمسؤولية المذكورة في النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب**﴾، وكقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، الحديث، وبوحدة الأمة واجتماع كلمتها عليه بمقتضى عقد البيعة الكاملة الشاملة التي تمت له مباشرة بعد وفاة والده - رحمه الله - ويجب الأمة له هذا الحب الذي يتجلى في أكثر من مظهر تجاوبا وحماسا وطاعة وإصغاء واستعدادا لخوض كل المعارك وراء جلالته.

إن هذا الإصلاح التي يقوده جلالته له صورتان :

- صورة التوجيه.
- وصورة التنفيذ.

وهما صورتان بارزتان في هذا الإصلاح، ذلك أن الإصلاح الذي تبنى على أساسه النهضة، يتطلب تصورا شاملا للقضايا والمشاكل والمعوقات، ومعرفة بالإمكانات، ونقدا ذاتيا للسلوكات، ومعرفة بأسباب الفشل والنجاح، ثم دعوة إلى الأخذ بأمثل السبل الكفيلة بتحقيق مشاريع الإصلاح المقترحة، بمعنى توجيه الدعوة لتنفيذ الإصلاح على مقتضى ما صاحبه من تصور، ثم مباشرة الإصلاح العملي طبقا لذلك.

وهو المنهج الذي سار عليه أمير المومنين الملك محمد السادس منذ اعتلاء العرش، حيث عالج منذ ذلك التاريخ ملفات كثيرة بأسلوب قوي صريح محكم حكيم صارم فصيح، وهو ما أطلقت عليه الصحافة اسم الإشارات القوية التي تعني القوة والجرأة والعمق والوضوح.

وهذا المقال لا يعني أبدا بيان هذا المنهج ولا يمكنه تتبع كامل مظاهره وحقائقه، ولكن لابد من ذكر بعض معالمه الكاشفة عن بعض مضامينه لإفادة القارئ وتوضيح معالم الموضوع، وهي معالم تشمل نظام الدولة، والوحدة الترابية، والتطور والحداثة في إطار المحافظة على الهوية والأصالة، والعناية بالتعليم، والتضامن الاجتماعي، ومحو الأمية، والعناية بالمسجد، وتفعيل دور المجالس العلمية، والعولمة، وقضية فلسطين، وحقوق الإنسان وغيرها من القضايا المهمة على الساحة الوطنية والدولية.

لقد أكد أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس في أول خطاب للعرش (16 ربيع الثاني 1420هـ موافق 30 يوليوز 1999م) وهو يتحدث عن نظام الدولة: «أن المغرب متشبث أعظم ما يكون التشبث بنظام الملكية الدستورية والتعددية الحزبية، والليبرالية الاقتصادية، وسياسة الجهوية واللامركزية، وإقامة دولة الحق والقانون، وصيانة حقوق الإنسان، والحريات الفردية والجماعية، وصون الأمن، وترسيخ الاستقرار للجميع، وهي مبادئ تدل على أن المغرب دولة تحافظ على الأصالة، وتنفتح على العصر ومرتكزاته القانونية، وتأخذ بأحدث النظم الفكرية والاقتصادية في المجال السياسي والاجتماعي والحقوقي، وكل ذلك يضمنه الدستور الذي ينص على أن المغرب دولة ملكية دستورية، يسود فيها الملك ويحكم بمقتضى الدين والدستور والعرف.

وأكد في نفس الخطاب أن المغرب ملتزم باستكمال وحدته الترابية بتعاون مع الأمم المتحدة من أجل وضع حد لكل المؤامرات التي تستهدف هذه الوحدة.

وبين فيه أن المغرب يسير في طريق التطور والحداثة محافظا على خصوصيته وهويته دون انكماش على الذات، في كنف أصالة متجددة، وفي ظل معاصرة ملتزمة بقيمنا المقدسة».

والتفت جلالته فيه إلى قضية إصلاح نظام التربية والتعليم والميثاق الوطني لهذا الإصلاح، فأكد عنايته بهذا الملف لما له من أهمية قصوى وأثر كبير في تكوين الأجيال، وإعدادها لخوض غمار الحياة، والمساهمة في بناء الوطن، بكفاءة واقتدار، وبروح التفاني والإخلاص، والتطلع إلى القرن الواحد والعشرين بمكتسبات العصر العلمية، ومستجداته التقنية، وما تفتحه من آفاق عريضة للاندماج في العالمية»، وهو إصلاح ضروري للنهوض بالوطن وتشغيل الشباب، والانفتاح على التقنيات، ومواكبة العولمة كما يقول جلالته.

وأوضح في نفس الخطاب عنايته بمشكل محاربة الفقر، واهتمامه بالتخفيف من حدته، واهتمامه بتفعيل دور مؤسسة «محمد الخامس» للتضامن من أجل مزيد من العناية بشؤون الفقراء والمحتاجين والمعوقين.

وفي خطابه بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب (8 جمادى الأولى 1420هـ موافق 20 غشت 1999م) بين جلالته وهو يتحدث عن نظام الدولة أن المغاربة متمسكون بـ«بيعة الإمامة الشرعية التي تطوق عنقنا وعنقك، موصولة بما سبقها على امتداد أزيد من اثني عشر قرنا، موثقة السند بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، ومشدودة العرى إلى الدستور المغربي الذي ينص على أن الملك هو أمير المؤمنين، والممثل الأسمى للأمة، ورمز وحدتها، وضامن دوام الدولة واستمرارها، وعلى أنه ضامن حمى الدين والبلاد وحوزة المملكة، وعلى أنه الساهر على احترام الدستور، وعلى أن له صيانة الحقوق وحريات المواطنين، وعلى أن شخص الملك مقدس، لاتنتهك حرمته»، وهي عبارات دالة على أهمية البيعة في حياة الأمة، وعلى طابعها الديني المنبثق من الكتاب والسنة، وكون الملك أميرا للمؤمنين، وكونه يحمل مسؤوليات جسيمة في الدفاع عن الدين والوطن والحقوق والحريات، وكون الملك لذلك شخصا مقدسا، له على الأمة حق الطاعة والاحترام والإكبار والإخلاص والوفاء، لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يومر بمعصية»، وحديث جابر رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر،

والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

ويعالج جلالته في هذا الشأن معضلة البطالة التي ترهق الشباب العاطل مؤكدا أن التقدم العلمي ومواكبة التطور لا يمكن إدراكهما وأفواج من الشباب المتعلم والمؤهل عاطلة عن العمل، وكذلك الأمر بالنسبة لشؤون المرأة التي تتطلب العناية والاهتمام، وشؤون المعوقين جسديا المحتاجين للدعم والمساندة.

واهتم جلالته بشأن المسجد ودوره التاريخي والحضاري، فأمر بفتحه في وجه دروس محو الأمية الأبجدية والدينية والوطنية لتتخلص الأمة من عار الجهل، ويتمكن من لا يعرف القراءة والكتابة من الأميين من الانفتاح على العلم وركوب قطار التنمية، والتخلص من الشعور بالدونية والحرمان، (خطاب ذكرى ثورة الملك والشعب غشت 2001م).

وفي نطاق العلم والعلماء ورعاية الشأن الديني، اهتم جلالته بالمجلس العلمي الأعلى، وبالمجالس العلمية الإقليمية حيث نصب جلالته رؤساءها بمدينة تطوان خلال رمضان المنصرم، وحدد لها توجها جديدا لتؤدي رسالتها الدينية والوطنية: بتأطير المواطنين، والمواطنات بتحصين عقيدتهم، وحماية فكرهم، وإنارة عقولهم، وذلك بمقتضى توسيع نطاق الوعظ والإرشاد، والدروس التوجيهية، والمساهمة في عملية محو الأمية، وتنظيم دورات تكوينية للقيمين الدينيين تحت إشراف وتنسيق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مع الاهتمام بالمرأة، وأن تكون المجالس العلمية القدوة والمثال، وأن تعكس روح الإسلام القائمة على الوسطية والاعتدال والتسامح، مما يتطلب الحوار والإقناع والعناية بقضايا السلوك والمعاملات، وهي توجيهات مولوية سامية، تركز على أهمية هذا القطاع المرتبط بالعقيدة والفكر والسلوك، والذي يضمن للأمة أمنها الروحي، ويحميها من شرور الخرافة والشعوذة والانحراف، وتربيتها أحسن تربية إذا توفر المنهج المطلوب منهج الحوار والإقناع والتبليغ والعناية بقضايا السلوك والمعاملات كما نص على ذلك جلالته.

ومن مظاهر هذا الإصلاح عناية جلالته بزيارة مختلف أقاليم المملكة، ومن بينها أقاليم الشمال التي شد إليها عددا من الرحلات والزيارات التي حركت الهمم والعزائم لتحقيق نهضة اقتصادية وعمرانية شاملة تعود بالخير على أبنائها وعلى المغاربة جميعا.

ويطول القول في إبراز جهود ملكنا الشاب المصلح الهمام على مدى سنتين من اعتلاء جلالته عرش أسلافه الكرام، فهي مجالات واسعة وأعمال كثيرة، عمت الوطن قاطبة، ووجدت عند المواطنين تجاوبا واحتفاء وإكبارا، وجعلت من الملك أمير المؤمنين -حفظه الله وأدام عزه ونصره- ملك الإصلاح والنهضة والتجديد، والأفق المشرق السعيد، والغد المرتقب الواعد المجيد.

تطوان - ادريس خليفة

من وحي الذكرى ومقاصد الاحتفال بعيد العرش المجيد

للأستاذ إبراهيم بن أحمد الوافي
كلية الآداب - أكادير

تكاد بلادنا تتميز بما خصها الله عز وجل به من خصائص في كثير من الميادين والمجالات، وما أنعم به عليها من جليل النعم والخيرات، وإن أهم ما يميزها عن غيرها من الشعوب شرقا وغربا هو خصوصية نظامها في الإمامة العظمى، ذلكم النظام العريق الضارب بجذوره في تاريخ الدعوة الإسلامية، والمستمد أصوله وثوابته من كتاب الله وسنة رسوله ، وإكرام عترته وأهل بيته، مصداقا لقوله ﷺ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي..».(1)

وإن المقلب لصفحات تاريخ المغرب الإسلامي الممتد عبر ما يزيد عن اثني عشر قرنا، سرعان ما تطالعه خصوصية العلاقة التي تربط بين الملك والشعب، ويدرك مدى التلاحم التلقائي الحاصل بين القمة والقاعدة، إذ لا تكاد مناسبة من المناسبات تمر دون أن تترك أثرها الحميد، وتغذي ذلك الرصيد التليد الذي هو سر التواصل والاستمرارية.

إن العرش المجيد هو قمة ما في هذا البلد العتيد، نظرا لما نيط به من جليل المهام، والمسؤوليات الجسام، فهو الحامي لحمى الملة والدين، والساهر على وحدة البلاد ومصالح المواطنين، كما يعد موئلا لرفع الحيف والمظالم عنهم، لأن السلطان هو ظلهم الوارف الذي به يستظلون، وتحت حمايته يحتمون، وحوله في السراء والضراء يلتفون، وبذلك لا يزيده توالي السنون إلا ثباتا ورسوخا، ولا الشدائد والمحن إلا تمكينا وشموخا.

إن المغاربة حينما يحتفلون بعيد العرش يعبرون عن عميق مشاعرهم وأحاسيسهم الدينية والاجتماعية، ويرسخون مبادئ أسسها أجدادهم عن جدارة واقتناع، وتحولت مع الأيام إلى ظاهرة مغربية سياسية عريقة في المجد، هي نسيج وحدتها في التلاحم والتآزر والتمازج

1) الترمذي : المناقب / باب 32 حديث : 3788.

بين الراعي والرعية، وهي ضاربة في أعماق التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي المغربي، شديدة الالتصاق بالكيان والوجدان، لأن هذا الاحتفال هو تعبير عن المشروعية التي تكتنف السلطة السياسية في البلاد، والتي تم تنصيبها وتقليدها على أساس التراضي بين الطرفين لقيادة الأمة، لما فيه صلاحها في دينها ودنياها...

إن بيعة الناس لأمير المؤمنين هي بيعة دينية شرعية، تؤكد على حضور الإسلام في هذه الديار، وهي التي تؤكد السلطة الشرعية الدينية للملك؛ لأن أهل الحل والعقد حينما يوقعون يؤكدون سلامة الاختيار، ويوافقون على تحقق الشروط الشرعية التي تزكي ذلك التعاقد المأمور به في قوله تعالى : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾.(2)

وهنا تكتسي البيعة صبغتها الدينية، لأن كل مسلم لا يكتمل إيمانه بالله عز وجل إلا إذا كان منضويا تحت لواء بيعة شرعية تجمع أمر المسلمين، وتوحد صفهم وكلمتهم، مع الالتزام بالسمع والطاعة، في المنشط والمكره، لأن حياة الناس لا تصلح بغير ذلك.

أخرج أصحاب السنن وغيرهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال : «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».(3)

وهذا الحديث بمثابة تمنيع لوحدة الأمة، ولم شملها، وجمع كلمتها، جاءها في شكل وصية نبوية جامعة بين التذكير والموعظة، وإيصال المعاني الشرعية البعيدة الأثر والتأثير، ووصفت بأنها موعظة مودع، لأن المودع يجد ويجتهد في القول والفعل، ويحرص ويستقصي ما لا يستقصي غيره، فهو خائف على أمته من التفرقة والتشتت، لأن ذلك هو سبب كل شر وبلاء، وطريق إلى الزوال والانتهاء، ولذلك حثهم على السمع والطاعة لولاة الأمر، لما فيه من انتظام الأحوال، وراحة البال، وسعادة في الحال والمآل.

وسئل الحسن البصري عن دور أولي الأمر وأهميتهم الدينية والسياسية فأجاب : «إنهم يولون من أمورنا خمسا : الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود؛ والله ما يستقيم الدين إلا بهم...(4)

وقد وصى صلى الله عليه وسلم في «حجة الوداع» فقال : «يا أيها الناس اتقوا الله وإن أُمّر عليكم عبد حبشي مجدع، فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله».(5)

وورد في البخاري زيادة : كأن رأسه زبيبة.

وكل ذلك إمعانا في جمع الكلمة، ووحدة الصف ونبذ التفرقة.

2) سورة الفتح – الآية : 10.
3) أخرجه الإمام أبو داود «4607» والترمذي «2676» وأحمد «4 : 126، 127» والدارمي «1/ 44»، «وابن ماجة» «43، 44» (جامع العلوم والحكم لابن رجب / مؤسسة الرسالة – ط : 2 ص : 109).
4) جامع العلوم والحكم : ص : 117.
5) رواه أحمد «6 : 402»، والترمذي «06، 17»، وقال حسن صحيح.

وقد حذر رسول الله أفراد المسلمين من خطر التساهل في أمر البيعة باعتبار أن كل واحد منهم يتحمل مسؤوليته فيها، وإن ناب عنهم في تنفيذها أهل الحل والعقد من الأمة، فقال : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». (6)

إن المغرب عبر تاريخه العريق لم يكن دائما في راحة ودعة وطمأنينة من أمره، وإنما ظلت تتجاذبه الأحداث، وتختبره الظروف والمحن، نظرا لموقعه وخيراته، ودينه وعقيدة أهله، وأصالة مقدساته؛ ولكن تحصينه بالعقيدة الإسلامية السمحة، وبالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، جعله يخرج من كل المؤامرات منتصرا، وسيظل كذلك ما صلحت النيات، وسلمت الطويات، وتجند الجميع وراء جلالة الملك، مقتنعين ومتشبعين بروح المبادرة، وإيثار مصالح البلاد العليا، وجعلها فوق كل غرض واعتبار، من أجل تأكيد الثقة بالنفس، والتصدي بالعزم والحزم للمشكلات والمعوقات التي تقف في وجه طريق التقدم والنماء.

وإن أسلافنا - رحمة الله عليهم - لما اختاروا الانضواء تحت ظل الإسلام ما أخطأوا التقدير أبدا، وإنما اقتنعوا تمام الاقتناع بوفرة مزايا هذا الدين الذي بسببه تجتمع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما أيقنوا بأنه الدين الخالد الصالح لكل زمان ومكان، والقادر على هداية الإنسان، وصار هذا المنهج ديدن ملوك المغرب، في ضوئه يسوسون البلاد، ويدافعون ويبنون ويشيدون، ويمتزجون مع الرعية في مسيراتها وأحزانها، لا يغمض لهم جفن في سبيل إحقاق الحق وإسعاد الجميع.

إن هذا المكسب الالتحامي العريق، الناشئ عن الحفاظ على المبادئ السامية للبلاد، لغة، وقرآنا، وعقيدة، وشريعة؛ دافع عنه المغاربة عبر تاريخهم الطويل بكل فخر واعتزاز، ليوفروا لأجيالهم وأحفادهم بلدا، وأرضا، وسلطانا، وملكا، ومملكة.

فعلى الأجيال صغيرها، وكبيرها، شبابها، وكهولها، ذكورها، وإناثها، أن يعوا خصوصية بلادهم، ويرعوا أمانتها حق رعايتها، ويحصنوا أنفسهم بمكونات شخصيتهم المغربية العربية الإسلامية، في ظل تلاطم أمواج العولمة التي أصبحت تهدد من لا رصيد له من الأفراد والأمم والشعوب.

كما أنه يجب علينا ألا نقدم للأجيال الأحداث، وما يرتبط بها من تظاهرات مجردة عن كل ما ترمز إليه في عمقها وبعدها القريب والبعيد، حتى لا تنقلب الحقائق في الأذهان، ويحصل الاستخفاف بالمقومات والأركان.

إن الاحتفال بعيد العرش هو قبل كل شيء احتفال بإنجاز ما تعاقد عليه الراعي والرعية كل من جهته، والمهام المنوطة به، كما أنه تعبير عن الفرح بالنجاح في قيادة سفينة البلاد إلى بر الأمن والأمان، في ظل التعاون والتجاوب، والتآزر وتكاثف الجهود، للسير نحو الهدف المنشود.

ومن جهة أخرى فهو تعبير عن الفرح بأداء الواجب الديني الذي هو واجب البيعة المقلد به كل مسلم جهة ربه، وملكه، ورمز بلاده الذي طوقه الله بأمانة حماية الدين والوطن، وجعله قرة عين للجميع، وأهله للنهوض بأعباء المهمة الجسيمة الملقاة على عاتقه، مدعوما بالدعوات الصالحة التي يخصه بها شعبه، وكل مسلم مخلص غيور في مشارق الأرض ومغاربها، بكل تضرع وإخلاص،

6) صحيح مسلم : كتاب الإمارة، 58.

ليحقق الله الآمال المرتجاة على يديه، ويسوق إليهم كل خير لديه.

وإن توديع الأمة المغربية لرائد نهضتها جلالة الملك الحسن الثاني تغمده الله برحمته، وبيعة خلفه ووارث سره من بعده، جلالة الملك محمد السادس حفظه الله ونصره، وأعز أمره، وخلد في الصالحات ذكره، لأكبر دليل على ما نقول من توفر البلاد على حصانة بمقدساتها الدينية، والسياسية، وسيرها في الطريق اللاحب، الذي أهلها إلى مركز الريادة والقدوة.

أبقى الله عز وجل نعمه علينا كاملة غير منقوصة، وبارك لنا في أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الملك محمد السادس وجعله حصنا حصينا، وملاذا أمينا لأمته وشعبه، وشد أزره بصنوه السعيد الأمير المولى رشيد، وباقي الأسرة الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.

أكادير- إبراهيم بن أحمد الوافي

عيد العرش المجيد
وتتابع مسيرة بناء المغرب الحديث

للأستاذ محمد يعقوبي خبيزة
كلية الشريعة - فاس

إن الاحتفال بذكرى عيد العرش المجيد تهتز لحلوله قلوب المغاربة أجمعين بالاستبشار والترحيب لأنه يذكرهم بما حققوه من انتصارات، وما أشادوه من منجزات نتيجة تكتلهم وراء العرش العلوي المجيد... مما يعمل على استمرارية التحام العرش بالشعب بحبل من الله متين.. يربط ماضيه التليد بحاضره السعيد، لمواجهة المستقبل العتيد، في إطار من القيم الإسلامية الخالدة التي آمن بها المغاربة منذ القديم، ورصدوا جميع إمكاناتهم ليضمنوا لها الديمومة والتمكين.. وكيف لا وهي منبعثة أساسا من الإسلام، ونور كتابه المبين، الذي جاء فيه:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.(1)

ومن المعلوم أن المغرب يحتفل الآن بعيد العرش المجيد وهو بين ماض قريب من عهد جلالة الملك الحسن الثاني - خلد الله في الصالحات ذكره - وبين مطلع عهد جديد لجلالة الملك محمد السادس - أطال الله بقاءه...

وإن المقارن بين العهد الزاهر لجلالة الملك الحسن الثاني - رحمه الله - وبين العهد الطالع لجلالة الملك محمد السادس - نصره الله - يجد نفسه يردد بكل صدق واعتزاز، بالنسبة للعاهلين الكريمين، المثل القائل: «إن هذا الشبل من ذاك الأسد» وبالنسبة للشعبين الوفيين، المثل القائل: «إن هذا الخلف من ذاك السلف».

ولئن كان رصد منجزات العهدين مما لا يمكن حصره في مجلد ولا مجلدات... فإنه لا يسعنا - بمناسبة عيد العرش المجيد - إلا أن نذكر ونذكر بملامح من العهدين، وفاء للعاهلين الكريمين، وإشادة بما أنعم الله به علينا بهما

1) سورة المائدة - الآيتان : 15 و 16.

من نعَم تعمل متضافرة على تتابع مسيرة البناء والتجديد لمغربنا الحديث.

● ملامح من العهد الحسني الزاهر :

وإذا كان عصر محمد الخامس رضي الله عنه هو عصر الانعتاق والتحرير فإن عصر الحسن الثاني - أسكنه الله فسيح جنة النعيم - هو عصر بناء صرح المغرب الجديد باستكمال وحدته الترابية، والدفع به قدما إلى مختلف ميادين الحضارة وسبل التنمية، وإشاعة الثقافة الإسلامية...

ففي هذا العهد كانت تلكم المسيرة السلمية الحسنية الخضراء التي عبأها جلالة الحسن الثاني - رحمه الله - بروح الإيمان والقرآن، فحققت على يديه ما لم تستطع أن تحققه الجيوش المدججة بمختلف أنواع السلاح والعتاد، وكانت نتيجتها ذلكم الانتصار على قوى البغي والعدوان، وتوحيد تراب المملكة في ظل الاستقلال من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال...

وفي هذا العهد الحسني السعيد، الحافل بالمكرمات والغني بالمأثورات، حقق بلدنا من خطوات الرقي والازدهار ما يسجل بمداد الاعتزاز والفخار...

ففي ميدان التربية والتعليم انتشرت المدارس والمعاهد والجامعات بنسبة منقطعة النظير، سواء منها تلك التي تعنى بعلوم العصر الحديث، أو تلك التي تعنى بالتعليم الإسلامي الأصيل... فكان ذلك منطلقا إلى هذه النهضة الشاملة التي تعرفها مجالات التعليم والفلاحة والصناعة والتجارة في عهد جلالة الحسن الثاني الذي جعل وكده النهوض بشعبه إلى مصاف الدول الراقية...

ولما كانت نهضتنا الحقيقية لا تتم إلا بالعودة إلى التعاليم الإسلامية، وإشاعتها بين مختلف الفئات الشعبية، والحفاظ عليها نقية طاهرة... فقد أنشأ جلالته «**دار الحديث الحسنية**»، بجانب «**جامعة القرويين**» وكلياتها المختلفة، ليكرع من معينها طلاب المعرفة الإسلامية، ويتعمقوا في دراسة أصول الإسلام وقواعده الشرعية من خلال الكتاب والسنة.

وفي ثالث جمادى الآخرة من عام 1401 للهجرة أصدر جلالته ظهيرا شريفا يحمل رقم 270 - 1880 يتعلق بإحداث «**المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية**»، وتحديد المهام التي تضطلع بها هذه المجالس الأخيرة، من إحياء الكراسي العلمية، وتوعية للفئات الشعبية بقيم الأمة الخالدة، والمساهمة في الحفاظ على وحدتها العقدية والمذهبية، وفق عقيدة الأشاعرة ومذهب المالكية... من أهل السنة والجماعة... كل ذلك انطلاقا من المساجد العديدة التي تزخر بها ربوع المملكة الشريفة، والتي يغدق عليها بسخاء في سبيل زيادة أعدادها الوفيرة، والتي توجت بـ «**مسجد الحسن الثاني**» بالدار البيضاء، تلكم المعلمة التاريخية والحضارية التي سارت بذكرها الركبان...

وهكذا أنشئت الكراسي العلمية، والحلقات الوعظية، رجاء أن تعمل على بث الثقافة الإسلامية والتوعية الدينية بين مختلف طبقات الأمة طيلة السنة... تحت إشراف المجالس العلمية، والرئاسة المولوية السامية... وليقبل عليها الشباب المسلم بكل شوق ورغبة... يعمرها بالذكر والعبادة والتفقه في الدين، والنهل من ينابيع المعرفة الأصيلة.. ثم ينطلق بعد ذلك بنفس مطمئنة إلى الحياة الواقعية ليستخدم سائر إمكاناته المادية والمعنوية في سبيل أداء أمانة الاستخلاف عن الله في الأرض، بإعمارها بكل ما يستطيع من خير في دائرة العبودية المطلقة لله عز وجل... وتلك هي مهمة الإنسان السامية التي بأدائه لها

بغاية الاستطاعة يرجى له الفلاح، والفوز بالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة...

وفي هذا السبيل أحيي جلالة الحسن الثاني - خلد الله في الصالحات ذكره - سنة «**الدروس الرمضانية**» التي يجتمع فيها أمام جلالته العلماء من مختلف الآفاق الإسلامية والدولية كي يدلي كل منهم بما لديه من حصيلة علمية منتخبة، وأفكار نيرة رائدة، انطلاقا من وحي الكتاب والسنة... حتى إذا ما بثتها وسائل الإعلام المختلفة أشرقت لها القلوب التواقة إلى المعرفة والحكمة، وتلقتها العقول المفكرة بالاستيعاب والمناقشة... فيتبلور من خلال ذلكم تيار فكري زاخر بالعطاء والخصوبة، ومتناسب مع المستوى الثقافي والحضاري للأمة...

ومن هذا القبيل أيضا أمر جلالته بإحياء الدراسة بجامع القرويين وغيرها من معاهد التعليم الأصيل، والرجوع بها إلى سالف عهدها الزاهر المجيد... مما حدا بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى افتتاح هذه الدراسة العتيقة الأصيلة بانطلاقة مباركة خلال السنة الدراسية 87 - 1988، لتعم فيما بعد مختلف جهات المملكة الشريفة، وليقبل عليها حفاظ القرآن الكريم ومتون العلم الأصيل... كي يكرعوا من معينها الفياض، ويتعمقوا في مختلف علوم الإسلام على الطريقة، ووفق المنهج اللذين كانت عليهما الدراسة قديما «**بجامع القرويين**»... وذلك رجاء أن يتخرج من هؤلاء الطلبة علماء للإسلام في المستوى الذي حققه سلفنا الميامين، فيكونوا خير خلف لخير سلف...

وهكذا عاد ذلكم التعليم العريق ليصل ماضيه التليد بحاضره السعيد تحت ظل العرش العلوي المجيد... ويواصل مسيرته الإسلامية المظفرة بخطى ثابتة مباركة آتت أكلها في نهاية السنة الماضية، بتخرج الفوج الأول منه، حاملا «**شهادة العالمية الأصيلة**» في ظل عرش جلالة سيدي محمد السادس دام له النصر والتمكين.

ولم تقف جهود جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله على حدود المغرب... بل إن جلالته ليعد بحق أبرز شخصية إسلامية قيادية في العالم بأسره... إذ كان جلالته يجاهد بكل ما أوتي من اتزان وحكمة، وسداد رأي وحصافة، وأناة ومثابرة... لخدمة قضايا الإسلام والعروبة والدول الافريقية.

فانطلاقا من المغرب وتتويجا لجهود جلالته الموفقة انطلقت «**منظمة الوحدة الافريقية**» سنة 1961، وأنشئت «**منظمة المؤتمر الإسلامي**» سنة 1969، كما أنشئت «**لجنة القدس**» التي أجمعت الدول الإسلامية على إسناد رئاستها إلى جلالته الشريفة ليخطط إلى تحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين من أيدي المغتصبين الصهاينة...

ومن المغرب أيضا انطلقت «**وحدة المغرب الكبير**» لتكون نواة لوحدة الدول الإفريقية والعربية والإسلامية تحت راية دين الإسلام وتعاليمه الخالدة...

وما أن حل مطلع القرن الخامس عشر للهجرة حتى توجه جلالته رحمه الله إلى الأمم الإسلامية بتلكم الرسالة الجامعة التي يصف لهم فيها أدواءهم بكل صدق وواقعية ويوجههم فيها إلى سبيل استعادة أمجادهم التليدة، ومركزهم الوسط بين أمم الأرض قاطبة... فيقول جلالته في إحدى فقراتها الرائعة:

«...**ولنقف على قدم الاستعداد بكل ما يلزم من العدة والعتاد واثقين بحقنا، متمسكين في نفس الوقت بديننا، معتزين بحضارتنا، حريصين على حفظ مقوماتنا، والدفاع عن كياننا، ملتزمين في حياتنا اليومية بآداب عقيدتنا وتعاليم شريعتنا.**

ولنتسلح لمواجهة مسؤولياتنا الثقيلة والمتنوعة في هذا العصر باكتشاف القوة الفكرية التي هي قوة العلم، وأدوات القوة المادية التي هي قوة السلاح، وطاقات القوة الروحية التي هي قوة الأخلاق.

ولنجعل شعارنا اليومي الدائم: العلم النافع، والعمل الصالح، والإنتاج المستمر، والكسب المشروع، والرقي المطرد، والتنافس المحمود، والسير الدائم إلى الأمام وضرب المثل لبقية الأقوام.

ولنحول دنيا الإسلام الواسعة التي لا تغيب عنها الشمس إلى مسجد كبير نعبد الله جميعا في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عن الله في الأرض، طبقا لما جاء في كتابه، كل بقدر ما آتاه الله من علم وفهم، وخبرة وتجربة... وما وهبه من مواهب فطرية ومكتسبة.

ولنكن معاشر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في مستوى مسؤوليات هذا القرن الجديد، ولنجعل منه حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد.

وعلينا أن نتخذ كتاب الله في جميع خطواتنا دستورا ورائدا، ونجعل رسوله المصطفى إماما وقائدا، فبذلك نعود إلى حضيرة الإسلام الصحيح، ونربط الماضي بالحاضر، ونعد الحاضر للمستقبل، ونفتح صفحة أخرى بيضاء نقية في تاريخ أمتنا وتاريخ البشرية...»اهـ.

ولكل ما سبق يحق لنا أن نعتبر عهد جلالة الحسن الثاني - خلد الله في الصالحات ذكره - هو عهد انطلاق بناء صرح المغرب الجديد بما حققه من منجزات رائدة في سائر الميادين...

● ملامح من العهد المحمدي الواعد :

ولقد تابعت مسيرة البناء والتجديد لمغربنا الحديث سننها اللاحب، وصراطها المستقيم، على عهد جلالة الملك سيدي محمد السادس دام له النصر والتمكين، في إطار من قيمنا الإسلامية الخالدة، وتفتح على ما يعرفه العالم من تطورات متوثبة... ومن ثم فإننا نجد جلالته يقول في أول خطاب للعرش:

«إننا نطمح إلى أن يسير المغرب في عهدنا قدما على طريق التطور والحداثة، وينغمر في خضم الألفية الثالثة مسلحا بنظرة تتطلع لآفاق المستقبل في تعايش مع الغير، وتفاهم مع الآخر، محافظا على خصوصيته وهويته دون انكماش على الذات، في كنف أصالة متجددة، وفي ظل معاصرة ملتزمة بقيمنا المقدسة».

ولا يخفى أن التوفيق بين الأصالة والمعاصرة أمر قد برع فيه ملوك الدولة العلوية الشريفة بصفة عامة، وجلالة الحسن الثاني رحمه الله بصفة خاصة، ولذلك نجد جلالة محمد السادس يلتزم بنفس النهج الذي سلكه والده فيقول في خطاب ثورة الملك والشعب لعام 1999:

«وإذا كان جلالة الملك الحسن الثاني - تغمده الله بواسع رحمته - قد رحل إلى جوار ربه فإننا نحن محمد السادس قد خلفناه في خدمتك - شعبي العزيز - وخدمة المغرب، وسنبقى على النهج الحسني سائرين...».

وبهذه الروح الوثابة فقد صمم جلالة محمد السادس - نصره الله - على مواجهة المشاكل التي تعترض سبيل تحقيق التنمية الشاملة، والتجديد المستمر، مع الحرص على استثمار الأواصر الوطيدة التي تجمع بين العرش والشعب في عملية التجديد وبناء المستقبل... ولذلك نجده يقول:

«...نود أن نؤكد مدى الأواصر العميقة التي تربطنا بك، متجلية في تشبثك بأهداب عرشنا، وتعلقك بشخصنا في حب، متبادل قوي، وإنا نحثك على بذل المزيد من الجهود في حرص على الوحدة والإجماع، وتمسك

بالمقومات ونظر بعيد إلى المستقبل، إننا إذا سرنا على هذا النهج حققنا ما نطمح إليه لبلدنا العزيز...».

كما نجده يقول:

«...لسنا نملك عصا سحرية نزعم بها حل جميع هذه المشاكل وغيرها، ولكننا عازمون بحزم وعن قريب - إن شاء الله - على مواجهتها بما نتوفر عليه من إمكانات، وبما نملك من طاقات معنوية هي زادنا وعمدتنا، وبما يلزم من تعبئة، وتضامن، وتضحية، ومن صدق، وإخلاص، وضمير حي يقظ وهي شروط بدونها لا تكون المواطنة الصالحة، ولا يتحقق أي تقدم...».

ولعل أهم ما يجلي حرص جلالته على استثمار وتنمية الأواصر الوطيدة التي تجمع بين العرش والشعب.. هو عنايته الفائقة بالناحية الاجتماعية للمواطنين منذ أن كان وليا للعهد؛ إذ نجده يقول بمناسبة ترؤسه «للأسبوع الأول للتضامن، ومحاربة الفقر» سنة 1998 :

«فعملنا في المجال الاجتماعي قد نحسن اليوم في مجالات التربية والصحة والتشغيل والسكن.. وإشعارنا لأنفسنا بهذا التحسن أمر ضروري لأنه يحفزنا على المضي في نفس الطريق، وعلى مضاعفة الجهود، لأنه يجعلنا على ثقة بأننا في تقدم مستمر، وأن ما اتخذناه من وسائل والتزمنا به من برامج للتنمية قد أصبح يعطي اليوم نتائجه من غير أن يوهمنا بأننا حققنا كل ما نسعى إليه في هذا المجال، فالظواهر التي ماتزال تشغلنا هي في مجال الفقر والبطالة والأمية، وتهميش فئات عريضة من مجتمعنا، وتدني مستوى الخدمات الصحية والإحسانية والتأمينية والتربوية للمعوزين والمحرومين...».

ولذلك فإننا نجد جلالته - حفظه الله - قد كرس - ومنذ أن كان وليا للعهد - أسبوعا من كل سنة يتخذ مناسبة من أجل خلق صحوة وجدانية وعملية للتضامن ضد الفقر والحاجة... وما كاد جلالته يتولى عرش أسلافه المنعمين حتى عمل على تفعيل وتحريك دواليب «مؤسسة محمد الخامس للتضامن» التي كان قد أنشأها والده المنعم، فكان له الباع الطويل فيما تحققه في هذا المضمار من نتائج إيجابية يطال نفعها الفئات المحرومة، والشرائح الاجتماعية المعوزة، وكل من هم في وضعية صعبة، فضلا عن إغاثة المنكوبين، ومساعدة المعوقين، الذين أصبحوا متعلقين بجلالته في عناية خاصة يوليها لهم في جميع خطبه السامية، ويتبعها بالتنفيذ العملي بما يشيده من مؤسسات خيرية عديدة، وتفقد أحوالها باستمرار في كل مناسبة سانحة... تنفيذا لما التزم به في قوله:

«وسنولي عنايتنا كذلك لمشكلة الفقر الذي يعانيه بعض أفراد شعبنا، وسنعمل بمعونة الله وتوفيقه على التخفيف من حدته وثقله، وفي هذا الصدد كان والدي -رحمه الله- شرفني بقبول اقتراح إنشاء مؤسسة اختار لها من بين الأسماء اسم «مؤسسة محمد الخامس للتضامن»، تهتم بشؤون الفقراء والمحتاجين والمعوقين، وعاهدنا أنفسنا على تفعيل دورها، وإحاطتها بكامل الرعاية والدعم...».

ولما كانت العلاقة وطيدة بين التعليم والتنمية الشاملة للأمة فقد كان من أولى الأولويات التي شملها جلالة محمد السادس بكريم عنايته ميدان التربية والتعليم... حيث تم اعتماد «ميثاق التربية والتكوين» الخاص بإصلاح مختلف مستويات التعليم ببلادنا، وتجديد هياكل مؤسساته، وذلك لما يرجى أن يحققه من أهداف يحددها جلالته بقوله :

«وسنولي هذا المشروع ما هو جدير به من عناية تتناسب وما نعلق عليه من آمال في هذا المجال الحيوي، وفي التغلب على البطالة ومحو آثارها، وفتح أبواب الشغل

مشرعة أمام شبابنا الناهض، وحثهم على الاجتهاد والابتكار، وأخذ المبادرة في غير توان أو تواكل».

ثم يقول جلالته:

«...إننا سننكب كذلك على «ملف التعليم» في ضوء «مشروع الميثاق» الذي أنجزته «اللجنة الملكية الخاصة للتربية والتكوين» وبالعناية التي هو جدير بها لأهميته في إعداد النشء، وتأهيل أجيال المستقبل...».

وكما عني جلالة محمد السادس بالمجال الوطني فإنه قد عني بتوجيه الأحداث على الصعيد العالمي... ولا أدل على ذلك من أنه قد جاب تقريبا العالم بأسره لعقد اتفاقيات مختلفة الأهداف والأغراض، كللت جميعها بالتوفيق والنجاح... بفضل ما خصه الله تعالى به من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، جعلته يغزو قلوب الحكام، وساسة العالم، وجعلت الصحافة الوطنية والعالمية تشيد بكل إعجاب وإكبار واعتزاز بما لجلالته من رؤية شمولية للأحداث والوقائع، ونظرة ثاقبة في تحليل القضايا والمسائل الشائكة، وبعد نظر واسع، وحنكة بديعة، ونباهة نادرة...

ولا غرو في أن يتمتع جلالة محمد السادس بكل تلكم الصفات الحميدة والشيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة، والألمعية الفذة... إذ إنه نفحة من نفحات والده - رحمه الله - الذي عمل على تنشئته تلكم النشأة الطيبة المباركة، وأن يربيه تلكم التربية القويمة الفذة.. ليكون خير خلف لخير سلف...

وهكذا نجد جلالة محمد السادس يتابع مسيرة البناء والتجديد لمغربنا الحديث، وذلك بما يبذله من جهود هادفة إلى تحقيق أماني الشعب المغربي، التواق إلى نهضة واسعة، وتنمية شاملة، وحياة رغيدة...

وبفضل هذا الاهتمام المتبادل بين الراعي والرعية فقد توطدت وشائج الميثاق الوثيق الذي يربط بينهما برباط البيعة الشرعية، والولاء الديني، الذي يستوجب الطاعة والإخلاص، والوفاء بالعهد على الدوام، عملا بقول الحق سبحانه:

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾.(2)

فاس - محمد يعقوبي خبيزة

2) سورة الفتح - الآية : 10.

عيد العرش
عيد بيعة وولاء

للأستاذة سعدة العلمي
كلية الآداب، فاس

دأبت الأمم والشعوب المعتزة بكيانها على الاحتفال بأعيادها الدينية والوطنية والإشادة -من خلال ذلك- بأمجادها وبطولاتها وجعلها منارا يهتدى به في مستقبل أيامها.

وعيد العرش يعد مناسبة غالية على كل أفراد الشعب المغربي، وتصادف هذه السنة الذكرى الثانية لتربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره على عرش أسلافه المنعمين، وهي ذكرى عزيزة على الأمة المغربية يعبر فيها المغاربة عن مدى تعلقهم بالعرش العلوي المجيد، ومدى حبهم وولائهم له، وهي فرصة لتجديد العهد، عهد البيعة والوفاء للدوحة النبوية الشريفة، ولآل البيت الأكرمين، إذ أنها أقدس رابطة جمعت عبر التاريخ بين العرش والشعب.

فالمغرب ومنذ أن وصله الإسلام ومن الله عليه بالرسالة المحمدية وهو على هذا العهد من الولاء والوفاء لآل البيت، عملا بما جاء في الكتاب المبين: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾**.(1) **﴿لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾**.(2)

ولهم في رسول الله خير أسوة، فله عقدت البيعة؛ فقد روى ابن إسحاق «أن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».(3)

فالبيعة التزام بالطاعة، وتعهد بها لله ولرسوله ﷺ: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا**

1) سورة الفتح - الآية : 10.
2) سورة الفتح - الآية : 18.
3) سيرة ابن هشام : 2/ 72، وذكر أن البيعة تتم ببسط اليد إذ لم يكن هناك وثيقة مكتوبة / انظر في ذلك أيضا «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» : ص: 48 من تأليف محمد حميد الله، وفي اللسان: البيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، وبايعه على الأمر مبايعة: عاهده... وفي الحديث أنه قال: ألا تبايعوني على الإسلام؟ وهو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته، ودخيلة أمره... اللسان: - بيع -.

الرسول وأولي الأمر منكم﴾،(4) فالبيعة ميثاق وترابط بين الراعي ورعيته أساسها الكتاب والسنة، وقد رعى المغرب أمانة البيعة حق رعايتها عبر التاريخ إذ هو البلد الوحيد الذي حافظ عليها من بين كل الأقطار الإسلامية وجعلها أساسا للملك والخلافة ونظام الحكم في الإسلام.

ولقد كانت بيعة المغاربة الأولى لملكهم الأول سبط الرسول ﷺ المولى إدريس الأول سنة 172هـ، ومنذ هذا التاريخ والمغاربة يعتبرون البيعة رباطا مقدسا لا يزيد عبر الزمان إلا قوة ومتانة والتحاما يتجدد بتجدد الملوك وتوالي الحقب.

ولقد تعاقب على هذا البلد الحبيب ملوك صدقوا ما عاهدوا الله عليه، سواء في الدولة الإدريسية أو المرابطية أو الموحدية أو المرينية أو السعدية أو الدولة العلوية الشريفة.

ويسجل لنا التاريخ معالم حضارية متنوعة تشهد بما كان للمغرب من تطور حضاري، وما حققه من أمجاد وانتصارات وإنجازات تاريخية مازالت آثارها قائمة إلى الآن، وما واجهه من تحديات داخلية وخارجية مما جعله كعبة القصاد من سائر أنحاء المعمور، وكل هذا في ظل العرش وملكيته الراسخة.

هذا، وقد ساهمت الدولة العلوية المجيدة في الكثير من هذه المكارم منذ حلوا بهذه البلاد، وكانت هجرتهم من الحجاز إلى المغرب هجرة خير وبركة على المغرب وأهله من المولى علي الشريف الذي تمت بيعته عن طواعية واختيار «1041هـ - 1631م» إلى جلالة الملك محمد السادس - أيده الله ونصره - فهو سبط الرسول وخليفته، وظل الله الممدود على عباده، ومن كان ظل الله في أرضه، وخليفة رسول الله ﷺ فولايته عامة ومطلقة، لما في ذلك من جمع للشمل، وتوحيد للأمة، لأن الخلافة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، ونيابة عن النبي ﷺ؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون: «الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة...»،(5) فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به، ومنزلة الخليفة من الأمة كمنزلة الرسول ﷺ من المومنين، له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة، وله حق القيام على شؤون دينهم فيقيم فيهم حدوده، وينفذ شرائعه... فكل ولاية مستمدة منه، وكل خطة دينية أو دنيوية متفرعة عن منصبه، فهو الحاكم الزمني والروحي،(6) به يجمع شمل الأمة، وتحفظ من الأهوال والأهواء، إذ برهبته تتألف الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتنقمع من خوفه النفوس المعاندة، لأن في طباع البشر من حب المغالبة والقهر ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوي، ورادع كفي...»(7)

إن إسناد القيادة في هذا الوطن لآل البيت هو اختيار شعبي لم تفرضه قوة خارجية ولا ضغوط داخلية، وإنما هو شكل من أشكال العودة إلى نظام الخلافة الذي بقي على مر العصور، وتعاقب الدول، وفي هذا ما يذكرنا بقول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

4) سورة النساء - الآية : 59.
5) انظر/ مقدمة ابن خلدون: ص: 166 / ط: بيروت.
6) انظر/ النظم الإسلامية : ص: 2 - 3 / تأليف: كل من / ذ : حسن إبراهيم حسن، ود: علي إبراهيم حسن.
و«الإسلام وأصول الحكم» ص: 14 / 15 تأليف: علي عبد الرازق، وت: ممدوح حقي ط: 1966.
7) الشهب اللامعة: لابن رضوان: 59 - 60 ت د/ علي سامي النشار - دار الثقافة.

والملوك العلويون -ومنذ اعتلائهم عرش هذه البلاد- وهم يعملون جاهدين من أجل النهوض بهذا الوطن، ولَمّ شتاته، وتوحيد كلمته، وتحرير أراضيه، والتاريخ حافل بأمجادهم، وجلائل أعمالهم، ومنشآتهم العامرة، وانتصاراتهم العظيمة.

وإن احتفالنا بعيد العرش هو تجديد للبيعة والولاء لعاهلنا المفدى صاحب الجلالة والمهابة محمد السادس، سبط المصطفى، وهو ارتباط وثيق بين هذا الملك وشعبه، واعتزاز بالقومية، وشعور بالأمان لتلك المسيرة التاريخية المظفرة التي بقيت راسخة عبر قرون عدة، بفضل ما بذله ملوك الدولة العلوية في سبيل رفاهية هذا الوطن وإسعاده.

ولنا في المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني - طيب الله ثراه، ونور ضريحه- خير أسوة لما قدمه لهذا الوطن، فلقد كان الأب الروحي للمغاربة أجمعين عمل - رحمه الله - على تحقيق المسلسل الديمقراطي بهذا البلد بإصدار الظهير الشريف المتعلق بتأسيس الجمعيات، وإصدار أول دستور للبلاد بعد الاستقلال، كما أبدع بفكره الخلاق المسيرة الخضراء، التي ستظل فخرا لهذه الأمة، وعزا لأهلها، إذ بها استرجعنا أقاليمنا الصحراوية، واستكملنا وحدتنا الترابية.

أضف إلى ذلك حرصه - طيب الله ثراه - على إنشاء الجامعات ومراكز العلم، مما ساهم في إيجاد نهضة ثقافية وعلمية عارمة.

ولتعزيز المجال الديمقراطي بالمغرب أنشأ «مجالس استشارية» عدة من أجل تثبيت دولة الحق والقانون.

وحفاظا على جوهر الإسلام وروحه تم بناء معلمة حضارية تجابه التاريخ، وتشهد بما للصانع المغربي من إبداع، وتخلد العبقرية الحسنية القادرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة فهو كما قال الشاعر:

ملك مآثره تشيد بجهده
والدهر بالإكبار عنه تكلما

فرحمه الله، وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه، ولوارث سره جلالة الملك محمد السادس النصر والتأييد من الله عز وجل، فقد ورث عن أجداده الشهامة والعبقرية والشعور بالمسؤولية، وحب المصلحة العامة، ومناصرة السنة النزيهة البعيدة عن شوائب الضلال، ففضائله الجمة منذ توليه العرش لا تحصى، فقد شملت رعايته المولوية الخاص والعام، والقاصي والداني، في مسيرة شاملة شملت ميادين مختلفة، فكانت التفاتة مولوية مباركة تمثلت في إحداث ثورة فلاحية لمقاومة الجفاف، ومد قنوات الماء للسقي والري واستصلاح الأراضي وتشجيرها، مذللا العقبات، ومحققا المطامح والرغبات.

كما أولى جلالته للميدان الاجتماعي عناية خاصة تجلت في إنشاء المؤسسات لرعاية المعوقين والمحتاجين والفقراء والمساكين، إنها إنجازات كبيرة متجددة ومتواصلة دينية ودنيوية يرعاها سليل العترة النبوية، وفرع الدوحة العلوية الشريفة، كما أعطى جلالته للمرأة المغربية انطلاقة جديدة وواعدة في سبيل تحقيق مطامحها، فتولت أعلى المناصب، وتحملت أجل المسؤوليات، وراعيها في ذلك راعي الأمة جلالة الملك محمد السادس.

فهنيئا لك أيتها المرأة المغربية بهذا الملك الشاب الهمام، سليل الأمجاد، الذي بمرآه تبتهج النفوس، ويعمها البشر والحبور.

وهنيئا لك أيها الشعب المغربي بهذا العيد السعيد، الذي به تزيد إشراقا وروعة، وما هو إلا كما قال الشاعر:

عرش به وطني يعيش موحدا
لولا حمايته لكان مقسما

عرش وشعب في الحياة تآخيا
والحب بينهمـــا تمازج بالدمـــا

وهنيئا لعاهلنا بعيد العرش المجيد فقد حباك الله يا سبط المصطفى بخير منزلة بين الورى، وأعطاك حبا في القلوب مؤبدا، وأعمالكم في جيد مغربنا ستظل قلائد عقيان تتعانق الأقلام لتخليدها، والأعلام راقصة بها، آملة الارتقاء بالمغرب إلى مستوى رفيع، علميا، وثقافيا، وسياسيا، واقتصاديا، وعمرانيا.

وهذا اليوم السعيد يوم ذكرى تربع جلالتكم على عرش أسلافه المنعمين هو يوم بيعة وولاء، يوم عهد ووفاء، يوم تظل ذكراه على مر الأزمان والحقب، فهو عرش الخالدين يسمو متعاليا، فما أعذب الذكرى، وأحلى التلاقيا:

بعيدك يا من كنت للعيد عيده
تغنيت نشـــوانا أزكي ولائيـــا

والسلام على مقامكم العالي بالله.

فاس – سعيدة العلمي

للأستاذ عبد الحق بنطوحة
كلية الآداب - القنيطرة

لا يخفى على أي دارس لتاريخ المغرب الحديث، مدى ما تشكله سنة 1933م بالنسبة لجميع المغاربة من إحساس وطني كبير، ومشاعر جياشة تجاه رمز البلاد وموحدها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، إذ في هذه السنة بالذات أجمع الوطنيون الأحرار على جعل ذكرى جلوس ملك البلاد على عرش أسلافه الكرام عيدا وطنيا تلتئم فيه أفئدة الشعب المغربي قاطبة، وتهفو بحماس لامزيد عنه إلى تمجيد هذه الذكرى الخالدة، الشيء الذي لم تجد معه سلطات الحماية بدا من الاعتراف بها وإقرارها، لما صاحبها من مَدٍّ وطني كبير.

وليس من شك أن الاحتفال بهذه الذكرى الوطنية الخالدة كانت مناسبة عزيزة على قلوب المغاربة للتعبير عن تعلقهم بقائدهم وآمالهم فيه للسير بهم إلى شاطىء النجاة، [عبر القضاء نهائيا على الاستعمار وأذنابه، الذين استرخصوا وطنهم وشعبهم من أجل تحقيق أغراض دنيئة ورخيصة].

على أننا نجد وطنيين أباة أحرارا عملوا ما في وسعهم لتوعية أفراد الشعب بقضيتهم الأساس، وبذلوا في ذلك أرواحهم ومهجهم من أجل أن ينعتق المغرب من ربقة الاستعمار، ويتخلص إلى الأبد من جميع أشكال الذل والعبودية التي لاتتناسب مع حضارته العريقة ومجده التليد.

وإذا كان لنا من وقفة عند طبيعة هذه الجهود الوطنية المبذولة لفضح مكائد الاستعمار ومخططاته الجهنمية، محاولة منه لطمس معالم ومقومات الشعب المغربي الدينية واللغوية والتاريخية؛ فالأحرى بنا أن نقف عند علم من أعلام الوطنية المغربية الذين خاضوا النضال الوطني على واجهات متعددة، سواء في الداخل أو الخارج.

لقد كان المرحوم الأديب الشاعر محمد بن اليمني الناصري «ت: 1971م» أحد هؤلاء الذين صدعوا بموقفهم الرافض لوجود الاستعمار بالمغرب، وتوسلوا في ذلك بمختلف الوسائل المتاحة لديهم؛ بدءا من حلقات الدروس

النهارية والليلية الحرة التي كان أحد مؤسسيها البارزين، ومرورا باشتغاله في ميدان القضاء، الذي اشتبك فيه مع سلطات المراقبة الفرنسية إلى أن قدم استقالته منه، وانتهاء بإقامته بمصر مديراً لبيت المغرب فكان له هناك حضور دائم في مختلف الهيئات الدينية والسياسية، حيث تنعقد التجمعات المغربية والإسلامية الكبرى للدفاع عن المغرب: عرشا وشعبا، فكان يلقي فيها الخطب، ويرتجل القصائد، ويستنهض الهمم لمناصرة المغرب ومقاومة الاستعمار.

كما كان على اتصال وثيق بالأمين العام الأول لجامعة الدول العربية، الدكتور عبد الرحمان عزام، ثم بأمينها العام الثاني، الدكتور عبد الخالق حسونة، فكان يوافيهما بمجريات الأحداث التي تجري بالمغرب: شمالا وجنوبا على وجهها الصحيح، ولاستنهاض همم الدول العربية لتبني قضية المغرب والدفاع عنها باستمرار، وذلك قبل أن يلتحق وفد الجبهة الوطنية بالقاهرة؛ والذي كان من بين أعضائه شقيقه زعيم «حزب الوحدة»، المرحوم الأستاذ محمد المكي الناصري، وهو الذي تولى إنشاء وتسيير «مركز الوحدة المغربية» في الشرق، لموافاة كبريات الصحف في مصر والعالم العربي بنشراته المنتظمة التي تتضمن التعريف بأخبار المغرب، وتطورات قضيته الوطنية، ووقوفه في وجه الاستعمار، وقد كانت الصحف العربية تفتح صدرها لنشر ما يقدمه لها من نشراته الإخبارية الموثقة.

وفي هذا السياق، نسوق حديثا إذاعيا أدلى به المرحوم الأديب الشاعر محمد بن اليمني الناصري لإذاعة الشرق الأدنى بالقاهرة، بمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لجلوس المغفور له محمد الخامس على عرش أسلافه المكرمين، وسوف يستشف القارئ الكريم من خلال هذا الحديث - الوثيقة الإذاعية النادرة - المغزى العميق الذي يرمي إليه صاحبه منه؛ وهو إطلاع العرب المشارقة بقضية المغرب العربي، وكفاحه المستميت ضد الاستعمار وجبروته بقيادة عاهله المفدى رمز الوحدة والاستقلال.

أيها المستمعون الكرام:

لقد دعتني إذاعة الشرق الأدنى لإلقاء كلمة مختصرة حول الذكرى الحادية والعشرين لجلوس حضرة صاحب الجلالة ملك المغرب مولاي محمد بن مولاي يوسف أيده الله على عرش أسلافه المقدسين، فلبيت الدعوة شاكرا لوكيلها المحترم وسائر موظفيها هذا الشعور الجميل نحو الشعب المغربي المجيد وملكه العظيم.

أيها السادة :

إن عيد العرش لم يكن معروفا بالمغرب، ولا جرت العادة بإقامة ذكراه المجيدة، ولكننا بذلنا جهدنا كله لإقامة هذه الذكرى الخالدة، فمهدنا لها بدعاية طيبة واسعة النطاق، منوهين بفضائلها ومزاياها ومنافعها التي منها إحياء الماضي المجيد، حتى تغلبنا على خصومنا الاستعماريين، وأقمناها على ما أذكره الآن «سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف»، رغم كل العقبات التي وضعها خصومنا، لأننا كنا نرى أن مبدأ التشبث بالعرش، والتعلق به، والدفاع عن سيادة الجالس عليه، أمر حيوي للوطنية المغربية في سائر أدوارها وأطوارها، وأنه تنبني عليه كثير من المهمات وجلائل الأعمال، داخليا وخارجيا، واجتماعيا وسياسيا.

ومنذ ذلك الحين أصبح الشعب المغربي عن بكرة أبيه يقيم هذه الذكرى القومية في كل سنة، ويتخذها عيدا قوميا وطنيا صرفا؛ يعبر فيه بحرية وحماس عما يكنه لملكه ووطنه من حب وإجلال وتقدير، ويعرض فيه أمام العالم أمجاده التاريخية التي رددت صداها القرون، ويرفع فيه راية الوطن دون سواها فوق الدور والمتاجر، خفاقة

لخفقات القلوب، ويحتفل به احتفالا وطنيا شعبيا لانظير له فيما نعلم في مشارق الأرض ومغاربها، يتزاور فيه الخاصة والعامة تزاورا ينبئ عن تقديس الشعب لمبادئه وعقيدته، وتعلقه بملكه ودولته، وشعوره بعظمة تاريخه، ووحدة كيانه، وتماسك أجزائه، وارتباط حاضره بماضيه، وسمو قصده وجلال غايته، وتمسكه بالمثل العليا في كل حركاته وخطواته.

أيها السادة :

لولا هذه الذكرى لما توصلنا إلى إفهام الشعب حقيقة الوطنية النزيهة الصادقة، فقد أدرك منذ قمنا بإقامتها أن الوطنية حركة دفاعية تدفعنا إلى الدفاع عن كافة الحقوق القومية المهضومة، وأن الحقوق القومية منها حقوق للعرش وحقوق للشعب، وأن من دافع عن الشعب دون العرش أو عن العرش دون الشعب فهو ليس بوطني كامل؛ وذلك لأن العرش المغربي في نظرنا جزء لايتجزأ من ميراث الأمة، بل هو رمز الوجود السياسي والدولي المتواصل المتسلسل منذ قرون وأجيال، وأن من لم يكن مواليا له مدافعا عن حقوقه، خصوصا في الأزمة الخانقة التي يجتازها المغرب العربي منذ 120 سنة إلى الآن، كان ساعيا إلى حتفه بظلفه، وجادعا مارن أنفه بكفه، بل داعيا إلى تهديم أمتن أساس قام عليه بناء الوحدة المغربية القومية المقدسة، على أن السلطة الأجنبية المفرقة لاتقاوم مقاومة فعالة إلا بتأييد السلطة الشرعية المغربية الموحدة، ولا تؤيد السلطة القومية العليا إلا بالالتفاف حولها في كافة مناطق المملكة المغربية، ومن جميع طبقات المواطنين.

لهذا وغيره كان شعار «**حزب الوحدة**» المغربية الذي أمثله في الشرق، والذي يتزعمه الزعيم المراكشي الكبير السيد محمد المكي الناصري : «الشعب بالعرش والعرش بالشعب»، «المغرب للمغاربة أولا وأخيرا»، ولهذا ضربنا على هذه النغمة في بعض قصائدنا العرشية التي مطلعها :

أوحى إليَّ العرش من عليائه
وطنية تختال في أفيائه

وعلى هذا الأساس كَوَّنَّا الرأي العام المغربي، وأمكن لنا توجيهه في اتجاه معين للوصول إلى غايات معينة، تعتبر غايات مقدسة، تلائم المصلحة العامة من الوجهتين الداخلية والخارجية.

أيها المستمعون الكرام :

لولا هذه الذكرى لما أصبحنا نقدس مغربيتنا، ونتمسك بقوميتنا، ونحتفظ بحقنا الطبيعي في اختيار ما نشاء ورفض ما نشاء، من النظم والاتجاهات: سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، فبفضل إحياء هذه الذكرى أدركنا أننا مايزون للأجانب المحتلين لبلادنا باسم الحماية في سائر مقوماتهم، وأصبح من لوازمنا أن نمايزهم في الاتجاهات التي نريدها لأنفسنا، حيث أن لنا سلالة غير سلالتهم، ونفسية غير نفسيتهم، وعقلية غير عقليتهم، وتقاليد غير تقاليدهم، وتاريخا غير تاريخهم، وثقافة غير ثقافتهم، وعقيدة غير عقيدتهم، ولسانا غير لسانهم، وأجدادا غير أجدادهم.

على أن العوامل التي أثرت فينا هي غير العوامل التي أثرت فيهم منذ فجر التاريخ إلى الآن، فلا يمكن أن يصلح في وطننا ما قد يصلح في بلادهم، وكيف لا وقد أثبتت التجارب المريرة أن الشرق شرق، والغرب غرب، على أن في قضية مصر العزيزة وفلسطين الشهيدة وأندونسيا وغيرها لعبرة للشرق كله، وخصوصا قادته وساسته. فالمغرب يلزم أن يكون للمغاربة، والنهضة القومية يجب أن تختط لنفسها طريقا خاصا بها في الحياة، ويلزم أن تكون دعائمها على الدوام وإلى الأبد : الإسلام والعروبة.

أيها المستمعون الأعزاء :

إن يوم الاحتفال بهذه الذكرى يعد من الأيام المشهودة في المغرب كله بمناطقه الثلاث، ففيه يحطم الشعب المغربي كل

القيود ليعبر عن شعوره الحقيقي نحو ملكه ووطنه، وليضرب بأوامر المستعمر الغاصب في حرية وانطلاق عرض الحائط، وفيه يظهر بكل جلاء تضامنه وتظافره وقوته الكامنة، وتتجلى قوميته في أجلى وأجمل مظاهرها، وهذا الشعور إذا نما وتكامل:

إن الشعور بكل معنى قوة
يفني السلاح ولا انطفاء لجمره
والضغط يوقده كسلك الكهربا
يبدي الضياء متى ضغطت بزره

أيها السادة :

في ذلك اليوم المشهود نرى الزرابي الجميلة والبسط البديعة مبثوثة مبسوطة في شوارع المدن المغربية وأسواقها، وعليها المياثر والوسائد، والأنماط والنمارق المنمنمة المنمقة، وأواني الشاي وأنواع الحلويات يتبادلها المتزاورون والمتفرجون، وأجواق الموسيقى الأندلسية الشيقة تعزف الألحان المطربة، التي تحلق بأرواح سامعيها ونفوسهم إلى عالم اللطف والجمال والسعادة، ترى ذلك في كل مكان، بحيث تقول عند رؤيتها : ليس في الإمكان أبدع مما كان.

في ذلك اليوم العظيم يتسابق الشعب إلى ميدان العمل الوطني الصرف، ويتنحى عن الميدان السياسي الحزبي، لأن النزهاء من زعمائه علموا أن الوطنية جهاد شريف، وأن السياسة الحزبية حرفة ربما انحرف محترفوها عن الجادة، فلوثت الشرف، وحالت دون الوصول إلى أسمى هدف.

أيها السادة :

هنا أذكر، والشيء بالشيء يذكر، أن أول حفلة أقيمت لهذه الذكرى المجيدة بالشرق العربي هي تلك الحفلة الشيقة التي أقامها «ببيت المغرب» في السنة الأولى من تأسيسه، مؤسسه زعيم «حزب الوحدة» المغربية الأستاذ السيد محمد المكي الناصري، أي منذ نحو عشر سنوات، أقامها داخل ذلك البيت الذي كان هو المثل الأعلى للبيوت العلمية والثقافية الشرقية في مصر، قبل أن تصيبه عين الكمال، ويحل به من المستعمرين الغاصبين الانحلال والاختلال.

وإني لا أزال أذكر، كما لايزال يذكر من حضرها من ساسة الشرق وقادته ورجال صحافته، ما كان لهذه الذكرى من أثر في تعريف إخواننا المصريين وغيرهم من الشرقيين بقضية المغرب العربي وإخراجه من عزلته، الأمر الذي لازال مرتسما في الأذهان، بارزة آثاره الجميلة من صور ووثائق للعيان، وكان على رأس الحاضرين إذ ذاك حضرة صاحب السمو الأمير مولاي المهدي نجل صاحب السمو مولاي الحسن خليفة جلالة ملك المغرب في المنطقة التي منيت بالاحتلال الإسباني من الوطن العزيز، فكان لها بسبب وجوده فيها وتشريفه لها طابعها الخاص وأثرها الجميل.

وقد ألقى فيها الزعيم الناصري المذكور خطبة ارتجالية من خطبه الوطنية المعروفة، ألقت على القضية المغربية إذذاك أنوارا كاشفة، عرفت كافة الحاضرين ومن وراءهم أن قضية المغرب جزء لايتجزأ من قضية الوطن العربي، كما ألقيت قصيدة طنانة، فكان لذلك أثره الطيب الفعال، في مصر والشرق كافة إذذاك، فأصبحت قضية المغرب منذ ذلك الحين في فاتحة القضايا التي تشغل مفكري مصر العزيزة، وغيرهم من مفكري الأمم العربية المجيدة، وبدأت تظهر على مسرح الصحافة الشرقية شيئا فشيئا معززة بالوثائق والحقائق، إلى أن أسست «الجامعة العربية»، وأصبح الدفاع عن المغرب العربي من لوازمها الشاغلة لها، إلى أن ينال المغرب بحول الله تعالى استقلاله التام.

القنيطرة – عبد الحق بنطوجة

عيد العرش المجيد

عيد التأييد والتعلق بملوك المغرب رموز الوحدة الوطنية في التاريخ المعاصر

للأستاذ أحمد الأزمي
كلية الآداب - فاس

كل من عاش وعاصر فترة الحماية والاستقلال إلى يومنا هذا، ممن قضى نحبه أو لازال على قيد الحياة، لا يجادل في أن ملوك المغرب من محمد الخامس طيب الله ثراه إلى عهد محمد السادس أيده الله بنصره، ساروا جنبا إلى جنب مع شعبهم في كل الخطوات التي يخطونها في القرارات السياسية الصعبة والمصيرية التي يقدمون على تنفيذها. وبما أن مكونات الشعب المغربي، أحزابا ونقابات ومنظمات غير حكومية، نساء ورجالا كانت دوما في وئام وتلاحم تام مع هؤلاء الملوك، فإن مظاهر البهجة والحبور التي يعبرون عنها يوم عيد العرش في كل أنحاء المغرب، ليست سوى تجليات ومظاهر للتأييد والمباركة والرضى عن كل خطوة يخطونها في المجالات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية.

ولأبرهن على ما أقول، سوف أقسم هذا العرض إلى ثلاثة أقسام، قسم خاص بمظاهر التأييد والالتحام في عهد محمد الخامس، طيب الله ثراه، وآخر بالحسن الثاني تغمده الله برحمته، وثالث بأمير المؤمنين محمد السادس دام له النصر والتأييد.

- مظاهر التأييد في عهد محمد الخامس :

1 - فكرة تأسيس عيد العرش :(1)

في سنة 1933، عملت كتلة العمل الوطني على إصدار جريدة داخل المغرب بالفرنسية تحمل اسم «عمل الشعب»، واضطلعت هذه الصحيفة التي كان يديرها محمد حسن الوزاني بمهمة نقد سياسة سلطات الحماية، غير أن أهم ما قامت به هذه الصحيفة وأكثره أثرا في تاريخ الحركة الوطنية، هو دعوتها إلى تأسيس «عيد العرش» ليكون عيدا وطنيا يحتفل به المغرب في 18 نونبر من كل

1) أحمد عسة، المعجزة المغربية، دار القلم، بيروت 1975، ص: 196.

عام، وكان يوم 18 هذا هو يوم وصول محمد الخامس إلى الحكم ويوم مولده، وبذلك أصبح هذا العيد تكريسا علنيا للتعاون بين الملك والحركة الوطنية.(2)

وقد تزامن هذا الإجراء مع لجوء علال الفاسي إلى العاصمة الفرنسية بباريس. خوفا من أن تعتقله سلطات الحماية بالمغرب، وهو اللجوء الذي استغله الفرنسيون لإيقاع العداوة بين علال الفاسي وملك المغرب، فكتبت السلطات الفرنسية تقريرا زعمت فيه أن اللاجئ إلى باريس، حل بها بتكليف من كتلة العمل الوطني، بغية إقناع السلطات الفرنسية بإرجاع المولى عبد الحفيظ سلطانا على المغرب، غير أنه لما وصل إلى علم جريدة «عمل الشعب» هذا الخبر المزيف تكلفت لجنة تحريرها بمهمة الرد عليها ردا عمليا، فنادت بالاحتفال بعيد العرش كل عام، ليتاح للشعب المغربي إظهار مدى تعلقه بملكه والتفافه حوله، وحول نجله الأمير مولاي الحسن. وبذلك ما أن حل الثامن عشر من شهر نونبر 1934 حتى تبارت مدن المغرب وبواديه في إعلان بهجتها بعيد العرش وصاحبه، فازدانت الشوارع، وصدحت الفرق الموسيقية بالألحان، وأرسل محمد الوزاني برقية باسم لجنة «عمل الشعب» إلى الملك مهنئا بالعيد، كما أرسل علماء القرويين وطلابها ومختلف الفئات الشعبية برقيات مماثلة إلى صاحب العيد، وبذلك فشلت المؤامرة التي كان يدبرها الفرنسيون لإحداث القطيعة بين رجال الحركة الوطنية وملك البلاد، وفي ذلك يقول علال الفاسي: «ومع أن جلالة الملك أعقل من أن يصدق أمثال هذه الترهات، فإن الكتلة الوطنية لم تقف موقف المتفرج من عمل الفرنسيين، وقد أرادت أن تظهر عمليا عواطف الوطنيين الحقيقية نحو ملكهم العظيم من جهة، وتفضح الفرنسيين وتكشف عن نفاقهم من جهة أخرى، فاهتدت إلى فكرة سديدة هي تأسيس عيد العرش المغربي يوم 18 نونبر».(3)

2 - مظاهر التأييد :

مظاهر وتجليات تأييد الشعب المغربي، جماعات وأفرادا، متعددة على طول فترة الكفاح الوطني ضد المستعمر وبعده، ومن هذا التأييد ما اكتسى صبغة النضال السياسي الفكري، ومنه الكفاح المسلح الذي دخل في صدام دام ضد المحتل والمتعاونين معه، وسوف نقتصر في هذا العرض على تقديم بعض الأمثلة لذلك فحسب.

أ - على مستوى الحركة الوطنية : (النضال السياسي) :

كان رد فعل الحركة الوطنية ضد الظهير البربري الصادر بتاريخ 16 ماي 1930 قويا، وهو الظهير الذي أراد أن يحدث شرخا في جسم الأمة المغربية(4) عندما نص على ضرورة إحداث قوانين ومحاكم عرفية خاصة بالبربر. فقام الشعب المغربي كرجل واحد معبرا عن رفضه لهذا الظهير باعتبار أن الإسلام والعروبة توحد بين كل مكونات الشعب المغربي. وما يهمنا في هذا الموضوع هو أن وفدا تكون في مدينة فاس، انتخب عنه لجنة، كان علال الفاسي من أعضائها، وتقدم بمطالب إلى الدوائر العليا، تطالب بإلغاء الظهير البربري، وبربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية، وبذلك يكون التأييد للملك والتعلق به أمرا معمولا به، قبل تأسيس عيد العرش وبعده. وعندما قرر رجال الحركة الوطنية تغيير اسم التنظيم الذي يعملون في إطاره لأسباب موضوعية

2) محمد حسن الوزاني، حرب القلم، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت، 1981، ج: 1، ص: 20.
3) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لجنة نشر تراث زعيم التحرير المرحوم علال الفاسي، الرباط، 1984، ص: 161.
4) *Brahim Boutaleb, Abdelaziz Amine, et autres Histoire du Maroc, Casablanca, 1967, p. 392.*

وسياسية من «كتلة العمل الوطني» إلى «الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية»(5) في أبريل من سنة 1937، كان أهم أساس انبنى عليه عملهم هذا، هو تمسك المغرب بالنظام الملكي، باعتبار أن هذا البلد لم يعرف منذ أربعة عشر قرنا شكلا آخر للحكم غير الملكية.

ولو حاولنا تتبع كل مظاهر التأييد التي عبر عنها رجال الحركة الوطنية تجاه ملك البلاد لما استطعنا إلى ذلك سبيلا، لكثرة هذه المظاهر، غير أننا لا نود ختم هذا الموضوع دون الإشارة لأهم تأييد وأعظمه، وهو الذي ورد في وثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944، عندما طالبت هذه الوثيقة باستقلال المغرب(6) ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة «ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده»، طالبة منه في الوقت نفسه أن يقوم بالإجراءات اللازمة لدى الدول التي يهمها الأمر للاعتراف، بهذا الاستقلال وضمانه، وهو ما تم العمل به من الجانبين: الحركة الوطنية، وملك البلاد إلى أن تحقق الاستقلال.

أ - على مستوى الكفاح المسلح :

لن أطيل في هذا الموضوع لأن أخبار الجهاد والمعارك البطولية، ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي، سارت بذكرها الركبان، سواء تعلق الأمر بعبد الكريم الخطابي في الريف.(7) أو موحى وحمو الزياني في جبال الأطلس(8) أو ماء العينين في الصحراء المغربية وسوس،(9) ناهيك عن بطولات المقاومة وجيش التحرير التي اندلعت شرارتها بعد نفي محمد الخامس. ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أن كل هذه التضحيات البشرية والمادية التي استرخص فيها المغاربة الغالي والنفيس، كانت تعبيرا عن حب المغاربة لبلادهم وتأييدهم لملكهم واستعدادهم للموت من أجله.

- مظاهر التأييد في عهد الحسن الثاني :

قبل الحديث عن أبرز قرارات الحسن الثاني السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حظيت بتأييد الشعب المغربي ومباركته لها، أرى من المفيد أن أقدم الخطوط العريضة لبعض جوانب الفضيلة، والحس الوطني القوي، والإخلاص للدين والوطن، في شخصية هذا الملك.

1 - بعض جوانب الفضيلة والإخلاص في شخصية الحسن الثاني :

ويمكن رصد هذه الجوانب من خلال أقوال جلالته رحمه الله وخطبه وتصريحاته. ففي أول خطاب له إلى شعبه الوفي، بعد توليته الملك في 3 مارس 1961، يقول : «وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول»(10)

5) علال الفاسي، م س، ص: 196.
6) محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1990، ص: 103.
7) أحمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، جزآن طنجة 1974.
8) محمد العلمي، حركة تحرير الأطلس، الدار البيضاء، 1979، ص: 27 وما بعدها.
9) محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب (1912 - 1939) دمشق 1972، ص: 94.
10) ضمن أول خطاب وجهه جلالته إلى شعبه الوفي إثر توليته الملك في 3 مارس 1961 .

والمتمعن في هذا النص القصير في حجمه، الغني بمعانيه، يدرك أن المغفور له الحسن الثاني، كان واعيا بجسامة المسؤولية وخطورتها(11) منذ أن انتقل والده إلى دار البقاء، رغم حداثة سنه. وقد التزم بتحمل هذه المسؤولية وفقا لتعاليم الدين الإسلامي وقيمه السامية. وبما أن المغاربة متشبثون بكتاب الله وسنة نبيه، فقد وجدوا في ملكهم الأمير المسلم ذي الإيمان الراسخ الذي لا يمكنه أن يكذب ولا أن ينكث العهود، فصاروا يؤيدونه بشكل تلقائي في كل ما يقدم عليه من خطوات.

إن إيمان الحسن الثاني القوي بالعقيدة الإسلامية ومقاصد تعاليمها المستمدة من الكتاب والسنة وخصوصا ما يتعلق بالاستخلاف إيمان لا يتزعزع، ويرد على لسانه ما يؤكد ذلك في كل مناسبة، من ذلك قوله: «... اقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض، فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين...».(12)

ومن مظاهر إيمان هذا الملك بالله، وتشبثه بكتابه العزيز، كثرة استشهاده بآيات بينات من القرآن، وكان من عادته رحمة الله أن يبدأ خطبه بالحمد لله والصلاة على الرسول ﷺ ويختم بآية قرآنية أو أكثر.

إن المجال لا يسع هنا للاسترسال في عرض مثل هذه الأمثلة لكثرتها. وكان غرضي من إدراج النصين السابقين هو الربط فقط بين جوانب الفضيلة في شخصية الحسن الثاني، وبين تأييد شعبه له اللامشروط.

2 - بعض قرارات الحسن الثاني السياسية والاجتماعية وتأييد شعبه لها :

فكر الحسن الثاني رحمه الله متعدد الأبعاد، وبصفته قائد دولة حديثة، يجمع بين الأصالة والتجديد، فإنه من الصعب على أي دارس الإلمام بكل مكونات فكره وتجلياتها وخصوصياتها، سواء تعلق الأمر بإنجازاته الوطنية الكبرى في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أو بإسهاماته الإيجابية في السياسة الدولية، وخصوصا القضية الأكبر أثرا، في مستقبل المغرب وبناء دولته الحديثة، وهو أمر ارتاحت له كل مكونات الشعب المغربي، وأقصد بذلك الجانب الديمقراطي، والوحدة الترابية للمملكة المغربية.

أ - الجانب الديمقراطي :

هل كان للمغرب دستور قبل سنة 1962؟ يمكن أن نجيب بالنفي إذا ما استثنينا مشروع دستور سنة 1908 الذي نشر في أربعة أعداد متتابعة بجريدة أسبوعية تحمل اسم «لسان العرب» كان يصدرها بطنجة السيد فرج الله تمور.(13) وهو المشروع الذي ظل الجدل يدور حوله إلى أن خضع المغرب للاحتلال الفرنسي الذي استمر حتى سنة 1955 تاريخ عودة محمد الخامس من منفاه، وحصول المغرب على حريته واستقلاله.

وابتداء من سنة 1962، وعلى امتداد العقود التي تولى فيها الحسن الثاني رحمه الله حكم البلاد، عرف المغرب مجموعة من الدساتير كان وراء هندستها وإبداعها، الملك نفسه، بصفته ديمقراطي الطبع، وحقوقي التكوين الجامعي، هدفه وضع القواعد التشريعية والأسس

11) روم لاندو، الحسن الثاني ملك المغرب، ترجمة بنحمان الداودي، الرباط 1999، ص: 139.
12) نص جلالة الملك الحسن الثاني تغمده الله برحمته ورد في دعوة الحق، عدد 268، عام 1988، ص: 79.
13) دساتير دول المغرب العربي، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية 1998، عدد 17 ص: 131.

القانونية لبناء دولة الحق والقانون، منذ تسنمه عرش البلاد، وهذه الدساتير هي:

- دستور 1962.(14)
- دستور 1970.(15)
- دستور 1972.(16)
- الدستور المراجع سنة 1992.(17)
- الدستور المعدل بموجب استفتاء 1996.(18)

ويفسر تعدد هذه الدساتير، وعي جلالة الملك الحسن الثاني بحيوية شعبه وتطوره من سنة إلى أخرى ومن عقد إلى آخر، لذلك كان الواجب والمنطق والضرورة الملحة تفرض مراجعة بعض بنود ومقتضيات الدستور المعمول به، مما يحتم العمل على إصدار دستور جديد تتلاءم فصوله مع تطلعات الشعب الراهنة ومطالب القوات الحية، من أحزاب، ونقابات، ومنظمات غير حكومية، وظل جلالته ينقح ويضيف، ويشذب هذا الدستور إلى آخر نفس من حياته، وبذلك يمكن القول على حد تعبير أحد مستشاري جلالته: «إن التاريخ الدستوري المغربي يسجل لجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني حل المعادلة الصعبة للتركيب الخلاق للتحديث الديمقراطي للدولة المغربية مع حفاظها على جوهر هويتها المتميزة وثوابتها التاريخية...».(19)

وعن رأيه في الديمقراطية أجاب جلالته أحد الصحفيين بقوله: «من الأحسن أن تمنح (يقصد الديمقراطية)، بدلا من أن تنتزع، وسترى أنه في الدستور الجديد الذي وافق عليه الشعب بعد أن عرض عليه في استفتاء شتنبر 1992، سترى أني تنازلت عن عدد من صلاحياتي بغية تشخيص المسؤوليات بشكل أفضل، فإذا كانت المظلة هي شعار الملكية، فإن هناك الكثير ممن استظل بها. في الوقت الذي صرت معرضا لضربات الشمس...».(20)

وهذا يعني أن هذا الملك كان يضحي بكل شيء من أجل إسعاد شعبه، وهو الشعب الذي كان يوافقه على كل خطواته لأنه يعلم مدى حبه له. وما من شك في أن المجهود الفكري والعمل الإبداعي الخلاق، الذي أفرغه الحسن الثاني في هذه الدساتير بحسه الوطني القوي، وإيمانه العميق بالمثل الإسلامية العليا، هو الذي أفضى بمغربنا الحبيب إلى أن يعيش تجربة التناوب، هذه التجربة الديمقراطية الفريدة من نوعها في العالم العربي خصوصا والثالث عموما.

ب - جانب الوحدة الترابية :

كان جلالته رحمه الله يرى في قضية استرجاع الصحراء المغربية قضية المغرب الأولى، وهي القضية التي أخذت منه كل وقته، وضحى من أجلها بكل الغالي والنفيس،(21) وذلك بعد أن أقرت محكمة العدل الدولية بوجود روابط ولاء بين أهالي الأقاليم الصحراوية وملك

14) نفسه، ص: 141 وما بعدها.
15) نفسه، ص: 161 وما بعدها.
16) نفسه، ص: 181 وما بعدها.
17) نفسه، ص: 201 وما بعدها.
18) دستور 1996، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية 1998، عدد 18.
19) محمد معتصم، التركيب الخلاق بين الأصالة والتجديد في الفكر الدستوري والممارسة الحسنية للحكم، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دورة أبريل 2000، الجزء 1، ص: 127.
20) *ERIC Laurent, Hassan II la memoire d'un Roi Paris. 1973. p. 100.*

المغرب، سواء قبل الاستعمار الإسباني أو أثناءه، على أساس البيعة المستمدة من الشريعة الإسلامية، طبقا لقوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾.(22)

وهكذا ما أن أصدرت محكمة العدل الدولية حكمها في قضية الصحراء حتى أعلن في الرباط عن عزم جلالة الملك على توجيه الخطاب إلى شعبه يوم 16 أكتوبر 1975. لكن ما هو الموضوع الذي سوف يتحدث عنه في هذا الخطاب؟ جاء الموعد واختفت التكهنات عندما أعلن جلالته وسط دهشة الجميع عن توجيه مسيرة سلمية إلى الصحراء، قوامها 350 ألف متطوع رجالا ونساء.

ومرة أخرى يستجيب الشعب لنداء ملكه، بشكل تلقائي وبأعداد فاقت القدر المطلوب من المتطوعين، وهو ما عبر عنه جلالته بقوله: «وما كدنا نعلن نبأ المسيرة حتى وجدنا فيك الاستجابة والطاعة والتسابق للخير، مما أنت مجبول عليه من تلك الخصال الحميدة...و» وإذا كان جلالة الحسن الثاني تغمده الله برحمته، قد أبدع في ابتكار هذه الوسيلة النضالية السلمية، فإن إبداعه كان أكثر في تحديد عددها المقسم بشكل معقلن بين الرجال والنساء، وفي توفير كل الآليات التنظيمية واللوجيستيكية لتأطير هذا العدد الهائل من البشر ونقله من مختلف مدن وأقاليم المملكة إلى الصحراء ذهابا وإيابا، مع ما يلزم ذلك من وقود ومؤن وماء، واحتياطات أمنية.

انطلقت المسيرة في اتجاه الصحراء يوم 6 نونبر 1975،(23) واجتازت الحدود المصطنعة، ووطأت أرجل الشعب المغربي أرض الصحراء المغربية الحبيبة. وفي مساء يوم العاشر من نفس الشهر، وجه جلالة الملك الحسن الثاني خطابا إلى المتطوعين يخبرهم أن المسيرة قد أدت رسالتها،(24) بعد أن جنحت إسبانيا إلى قبول مبدأ تصفية الاستعمار في الصحراء المذكورة، فلبى الجميع نداء ملكه وعاد كل من شارك في المسيرة من حيث أتى، وبقية المسلسل النضالي معروفة سواء في عهد الحسن الثاني أو بعده.

إن مثل هذا الانضباط لا يمكن أن يتم بين حاكم ومحكوميه إلا إذا كانت المحبة التي تجمع بينهما قوية، صافية، صادقة، ومتبادلة، لا تعادلها إلا مظاهر الإكبار والإجلال التي دأب الشعب المغربي على التعبير عنها كلما حلت ذكرى موعد عيد العرش المجيد، سواء في عهد محمد الخامس أو في عهد الحسن الثاني أو في عهد محمد السادس الزاهر أيده الله بنصره.

- مظاهر التأييد في عهد محمد السادس :

في يوم 30 يوليوز ستحل الذكرى الثانية لتربع صاحب الجلالة محمد السادس على عرش أسلافه الكرام، وهي مناسبة تلبس فيها كل مدن المغرب وأقاليمه حلة جديدة ليعبر سكانها عن فرحتهم وتأييدهم وتعلقهم بملكهم الشاب الذي نفذ إلى قلوب كل المواطنين، بما يبذله من جهد متواصل من أجل إسعادهم، وخصوصا الفقراء منهم. ورغم المدة القصيرة التي مرت على توليه حكم البلاد، فإن

21) الصحراء المغربية، نشر وزارة الدولة في الإعلام، دون مكان ولا تاريخ، ص: 23 وما بعدها.
22) سورة الفتح، الآية :10.
23) إبراهيم دسوقي أباضه، وعادت الصحراء، ط : المحمدية، 1976، ص: 181.
24) نفسه، ص: 200.
25) *Mustapha Sehimi, citations de S.M. Mohammed VI Edition Okad, Rabat 2000 p. 14.*

القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أقدم ويقدم على اتخاذها، لا تزيد شعبه إلا إعجابا به.

ولذلك فإن الباحث يحتار في اختيار الملفات التي يريد النبش فيها، لإبراز أهم القضايا التي تقض مضجع الملك محمد السادس، وتشكل أولوية الأولويات بالنسبة له، خصوصا وأن القضايا والمشاكل تتساوى بالنسبة له، داخلية كانت أو خارجية، سياسية أو اجتماعية أو ثقافية. مثل:

- ملف الصحراء المغربية.
- قضية الشغل.
- قضية الانتقال الديمقراطي.
- قضية حقوق الإنسان.
- الملف الاجتماعي.
- المفهوم الجديد للسلطة.
- التنمية القروية.
- الشراكة مع أوربا.
- ملف التربية والتعليم.
- قضية المرأة.
- بناء المغرب العربي.
- العولمة.
- قضية فلسطين والقدس.
- التعاون العربي الإفريقي.

هذه الملفات كلها وغيرها التي تحظى بعناية جلالته تحتاج إلى مجلدات وعقود من الزمن لكل من أراد أن يتعمق في دراستها وإبراز مضامينها. ولذلك سوف نكتفي في هذا العرض بإعطاء انطباعات جلالته عن بعض هذه الملفات، من خلال ما ورد على لسان جلالته في بعض خطبه ورسائله وتصريحاته، أو من خلال بعض الدراسات حوله.

1 - حول الملكية والحداثة والمؤسسات الدستورية :

في أول خطاب له يوم 30 يوليوز 1999، ذكر جلالته أنه: «فيما يتعلق بالمؤسسات الدستورية سينحصر همنا في تقديم التوجيهات والنصائح الثمينة، ولعب دور الحكم، الذي هو فوق كل انتماء».(25) وسيعود جلالته لنفس الموضوع، في خطابه الثاني يوم 20 غشت رابطا ذلك بالملكية والحداثة، واضعا نفسه في نفس خط العمل الذي كان يسير عليه والده قدس الله روحه، فيما يخص فكره السياسي العصري والمجدد، الذي يجسده إرساء قواعد ملكية دستورية تروم مشورة الشعب، ليظل بذلك وفيا للنهج الحسني ومرتبطا بالبيعة التي تلزمنا وتلزمك،(26) بيعة تستمد وجودها من الكتاب والسنة، وترتبط بشكل وثيق مع الدستور المغربي الذي ينص على أن الملك أمير المؤمنين، هو القائد الأعلى للأمة ورمز وحدتها، وضمان استمرارية الدولة، وحامي الدين والوطن والوحدة الترابية داخل حدودها الحقيقية، والساهر على احترام الدستور الذي يضمن الدفاع عن حقوق وحريات المواطنين».(27)

إن المتمعن في هذه الأفكار السامية، يجد أن جلالته واعيا تمام الوعي بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه، ومقرا العزم على القيام بكل ما يلزم من أجل أن تتبوأ رعيته المكانة الحضارية التي تليق بها بين دول العالم، خصوصا ما يتعلق بالوحدة الترابية والعقيدة الاسلامية، والجانب الديمقراطي، وحقوق الإنسان.

26) مخاطبا شعبه.
27) *Mustapha Sehimi, op. p. 16.*

2 – الصحراء المغربية، قضية المغرب الأولى :

بخصوص هذا الموضوع ورد في خطاب العرش، يوم 30 يوليوز 1999 : «نجدد التزامنا بإتمام وحدتنا الترابية التي تشكل أقاليمنا الصحراوية ضمنها، القضية الوطنية المركزية، ونحن ننتظر تنظيم الاستفتاء التأكيدي تحت رعاية هيأة الأمم المتحدة»(28) وهو في ذلك يسير على نهج والده رحمة الله عليه، عندما عاد للتأكيد على أهمية الصحراء بالنسبة له في خطابه بمناسبة تخليد الذكرى التاسعة والأربعين لثورة الملك والشعب، يوم 20 غشت 1999.(29) هذه القناعة بمغربية الصحراء هي التي أكدها أيضا في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة زيارة الرئيس الصيني الرسمية للمغرب، يوم 28 أكتوبر 1999 بالرباط، وفي جوابه على سؤال من مجلة «التايمز» الأمريكية في الموضوع يوم 26 يوليوز 2000،(30) وفي كل فرصة أتيحت له.

3 – المرأة والطفولة والشغل :

ملف المرأة والطفولة من الملفات الاجتماعية التي تحظى بعناية جلالته بشكل لافت للنظر، وبذلك نجده يتساءل بخصوص موضوع المرأة: «كيف نأمل تحقيق التقدم والرفاهية، في الوقت الذي ترى فيه النساء اللائي تكونن نصف المجتمع، مصالحهن ضائعة، دون الأخذ بعين الاعتبار الحقوق التي منحها إياهن ديننا الحنيف، وجعلهن بذلك متساويات مع الرجال، وهي حقوق تتناسب مع مهمتهن النبيلة، ودون إنصافهن ضد الظلم والعنف الذي يمكن أن تتعرضن له، في وقت حققت فيه النساء مستوى يسمح لهن بمنافسة الرجال، سواء في الميدان العلمي أو في الشغل».(31)

وفي رسالة من جلالته بمناسبة انعقاد الدورة الوطنية لبرلمان الطفل بالرباط يوم 25 ماي 2000، نقرأ على الخصوص: «بالرغم من المنجزات الكبيرة التي تم تحقيقها في الميادين المرتبطة بحماية الطفل وتنمية ظروف عيشه، مثل التربية والتعليم والصحة، فإن مسلسل الدفع بتحسين وضعية الطفل يجب أن يتواصل لمدة طويلة، لأن التحديات التي تفرضها بعض الظواهر الاجتماعية لازالت مستمرة في التأثير بشكل سلبي على الجهود الكبيرة التي نبذلها...».

أما معضلة البطالة فتحتل بالنسبة لجلالته الدرجة الثانية بعد قضية الوحدة الترابية، يتضح ذلك من مضمون خطاب جلالته الافتتاحي للدورة التشريعية الثالثة للبرلمان يوم 8 أكتوبر 1999.

إن اهتمام الملك محمد السادس بكل هذه الملفات الاجتماعية وغيرها، بشكل لا يعرف الكلل ولا الملل، علاوة على قضايا السياسة الخارجية كقضية فلسطين، وبناء المغرب العربي، والشراكة مع أوربا، ونجاحه بذلك في زرع الأمل في النفوس،(32) هو الذي يجعل رعيته تهتف بحياته عندما يجود الزمان باللقاء به، وتعبر عن فرحتها العارمة وتأييدها له كلما حلت ذكرى عيد العرش، يوم تربعه على عرش أسلافه الكرام، كيف لا وهو يجسد أمل هذه الأمة المشرق.

فاس – أحمد الأزمي

28) *Ibid, p. 57.*
29) *Ibid, p. 57.*
30) *Ibid, p. 58.*
31) خطاب جلالته بمناسبة الذكرى التاسعة والأربعين لثورة الملك والشعب، يوم 20 غشت 1999.
32) كامل الكيلاني، محمد السادس أمل المغرب المشرق الدار البيضاء، 2000.

الحركة الوطنية وعيد العرش

للأستاذ أحمد البوزيدي
كلية الآداب - فاس

منذ ما يقرب من سبعين سنة والشعب المغربي يخلد كل سنة ذكرى عيد العرش المجيد، ذكرى جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه المنعمين.

ولا مشاحة إذا قلنا: إن هذا العيد كان ولا يزال يعتبر من أهم الأعياد الوطنية، ذلك أن الشعب المغربي كان يجد في هذا العيد المناسبة المنتظرة ليعبر عن وفائه وامتنانه لشخص الملك، لما كان يسديه من أعمال جليلة لهذا البلد، وحدبه على وحدته، وصيانة حدوده.

أليس هو العيد الذي يتقدم فيه ممثلو الأمة من: الوجهاء، والأعيان، والمنتخبين، وزعماء الأحزاب الوطنية على اختلاف ميولاتهم وانتماءاتهم السياسية أمام الملك لتجديد مراسم البيعة ؟

أليس هو العيد الذي يكون فيه المغاربة قاطبة في موعد مع التاريخ، بخروجهم إلى الشوارع والأزقة، في مظاهر احتفالية رائعة، للإعراب عن تعلقهم بأهداب صاحب العرش، ولتأكيد أواصر المحبة، ووشائج الالتحام بين العرش والشعب.

فكيف كانت بداية الاحتفال بعيد العرش ؟

وما هو دور الحركة الوطنية في تعميم فكرة الاحتفال بعيد العرش في كل أصقاع البلاد ؟

أولا : دور العلماء في بعث الروح الوطنية :

تزامن تاريخ توقيع معاهدة الحماية الفرنسية سنة 1330هـ/ 1912م، وانطلاق القوات الفرنسية للاستيلاء على الأراضي المغربية، مع ظهور بوادر حركة إصلاحية بدأت ملامحها تتوضح من خلال سلسلة من الدروس العلمية القيمة، وما يتخللها من شحنات للتوعية الاجتماعية، وقد برز في هذه المرحلة شيخ الجماعة أبو شعيب الدكالي بعد عودته من المشرق(1) وما يزال التاريخ

1) مجموعة من المؤلفين، عبد الله كنون/ أعلام المغرب/ نشر مؤسسة «أونا» مطبعة إديال دون تاريخ. ص : 10.

يذكر لهذا الشيخ ما كان يلقيه من دروس بفاس ومراكش، تختلف في طرائق تبليغها ومناهجها عما كان سائدا إبانه بجامعي القرويين وابن يوسف، وقد كانت دروس هذا الشيخ تشكل حربا شعواء ضد الخرافة، والتقليد الجامد، والجهل الذي يحاول تكريسه بعض جهلة المتصوفة، وتدل كل القرائن على أن بعض المتعاونين مع الفرنسيين كانوا يعملون بشتى الوسائل على تكريس هذا الواقع المتخلف، الذي يخدم على المدى البعيد أهداف الاستعمار الفرنسي.

ويبدو أن المقيم العام الفرنسي، «المارشال اليوطي»، قد استشعر التعارض الكبير بين دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي مع الأهداف الاستعمارية بالبلاد، لذلك حاول استقطاب الشيخ، فأسند إليه «وزارة العدل» في الحكومة الشريفة، إلا أن ذلك لم يمنع أبا شعيب الدكالي من متابعة إلقاء دروسه، حيث كان يركز أكثر من ذي قبل على توعية عامة الناس وخاصتهم بالدعوة الصريحة لمحاربة البدع، والطرق الصوفية المنحرفة، واتضح لسلطة الحماية أن إغراءاتها لم توت أكلها مع الشيخ أبي شعيب الدكالي، فاحتالت إلى أن استقال من منصبه، حيث تفرغ كلية للتدريس، وبث الروح السلفية بين طلابه.

أما صاعقة هذه الحركة الإصلاحية، ورائدها الذي لا يكذب أهله فهو «شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي»،(2) فقد كان ابن العربي العلوي متأثرا بالحركة السلفية التي غرس بذورها في المشرق كل من «جمال الدين الأفغاني» و«محمد عبده» و«رشيد رضا» من خلال ما ينشرونه من مقالات ودراسات عن تخلف المجتمع الإسلامي، وما كانوا يقترحونه من حلول للنهوض بالأمة الإسلامية.(3)

كانت دروس «شيخ الإسلام» بجامع القرويين وبعض مساجد مدينة فاس متميزة، وتستقطب عشرات الطلاب، وقد طارت شهرته كعالم متمكن، فانتدبه المخزن سنة 1334هـ / 1915م قاضيا بفاس الجديد.

ولا نستبعد أن تكون لسلطة الحماية يد في تعيين الشيخ ابن العربي، حيث يعرف عن المقيم الفرنسي «المارشال ليوطي»، رغبته في استقطاب العناصر الحية والفاعلة في المجتمع المغربي للاستفادة منها في الواجهة السياسية، وسواء كان هذا التعيين في منصب القضاء بإيعاز من سلطة الحماية أم لا، فإن مهنة القضاء قد سمحت لشيخ الإسلام بالاطلاع أكثر على خبايا المجتمع، ومشاكل الناس ومشاغلهم، واكتشف إلى أي حد كان الناس سادرين في غياهب الجهل والخرافة، فكان أن قرر مضاعفة الحصص التي كان يخصصها للتدريس، سواء «بمدرسة مولاي ادريس» الحكومية، أو بـ: «المدرسة الحرة بالزاوية الناصرية» بالإضافة إلى ما كان يلقيه من دروس عليا بجامع القرويين.(4)

كانت دروس الشيخ ابن العربي العلوي، تعتبر من عدة نواحي استمرارا للدروس التي كان يلقيها العلامة أبو شعيب الدكالي، خاصة الجانب المتعلق بالثورة على التقاليد، والثورة على الخرافة والمتخرفين، والثورة على الطوائف والزوايا التي انحرف شيوخها عن النهج الإسلامي القويم.(5)

2) محمد الوديع الأسفي/ السلفي المناضل محمد بن العربي العلوي/ الدار البيضاء - 1986.
3) نذكر بأن بعض الفئات المتنورة من المغاربة كانت تتوصل عن طريق البريد الدولي بطنجة بنسخ من جرائد «العروة الوثقى» و«المنار» اللتين كان يصدر كل منهما الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا.
4) محمد الوديع الأسفي/ م. س - ص: 59.
5) عبد الكريم غلاب/ الماهدون... الخالدون/ كتاب «العلم» الدار البيضاء - 1991 / ص: 9.

وقد كان الشيخ من خلال دروسه المكثفة يستقطب العشرات ليس فقط من المتعلمين، وإنما أيضا من عامة الناس، لما حباه الله من «شجاعة، ونصاعة الحجة، وطلاقة اللسان، واستحضار الأمثلة والشواهد في وقتها وحينها».(6) وهذا ما جعل العلامة «محمد المختار السوسي» يصف الشيخ ابن العربي بأنه: «موقظ الهمم»،(7) وبالفعل فإن دروس الشيخ ابن العربي كانت توقظ الهمم الغافية، وتبث الأمل في النفوس الآيسة، وتبعث روح المقاومة في الأجساد الواهية التي أضحت في ذلك الوقت عرضة لدعاية الفرق الضالة من جهال المتصوفة، وضعاف النفوس من المتفقهة، الذين تجندوا لتعميق مظاهر اليأس والقنوط بين الناس، ويدعون أن الاستسلام للاستعمار الفرنسي هو «قضاء مكتوب، ومقاومته تعتبر مقاومة لإرادة الله».(8)

وكان الشيخ - بما متعه الله من سعة العلم، وذلاقة اللسان، وقوة البرهان- لايترك أية مناسبة تمر دون تسليط سياط حججه على كل من يداهن الاستعمار الفرنسي؛ وهكذا وبفضل دروس شيخ الجماعة وشيخ الإسلام ظهرت بجامع القرويين ثلة من الشباب المتنور، قطعت على نفسها عهدا أن تتجند لنشر الثقافة والعلم المضادين لأهداف المستعمر، وبعث الروح الوطنية، وما لبثت حركة الشباب المتنور أن تطورت إلى حركة سياسية تطالب بجلاء الاستعمار عن البلاد والعباد.

وفي الوقت الذي كان فيه تلامذة الشيخ ابن العربي العلوي، والمتأثرون بدروسه، يتداولون ويناقشون طرق الانتقال بأفكار الشيخ إلى أرض الواقع، بتأسيس عدد من المدارس الحرة في أهم الحواضر المغربية، والتطوع للعمل بها، أعلن محمد بن عبد الكريم الخطابي الجهاد بشمال البلاد ضد الاستعمار الإسباني، وذلك سنة 1340هـ/ 1921م، وقد ألهبت الانتصارات التي حققها محمد بن عبد الكريم على الإسبان حماس المغاربة، وأنعشت الآمال في النفوس للتحرر من الاستعمار.

استشعر محمد بن عبد الكريم تجاوب فئات عريضة من المغاربة مع حركته ضد الإسبانيين، فوجه عددا من الرسائل إلى علماء الأمة يستنهض هممهم، ويدعوهم لاستنفار المغاربة للجهاد والمقاومة، وقد كان العلامة ابن العربي العلوي من أهم المتعاطفين مع حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي.(9)

ثانيا : من التنظيمات السرية إلى الحركة الوطنية :

كانت سلطة الحماية الفرنسية تراقب بنوع من الانزعاج والقلق تطور حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، وترصد ردود الفعل عند المغاربة عامة،(10) وعند القبائل إخفاء تعاطفها وتضامنها مع المجاهدين، بل إن هذه القبائل المحادية لمناطق الاحتلال الإسباني بصفة خاصة، إذ لم تستطع هذه القبائل إخفاء تعاطفها وتضامنها مع المجاهدين بل إن هذه القبائل شكلت جبهة غربية «بمنطقة ورغة»، وأصبحت تهدد نواحي فاس ووزان.(11)

6) محمد معروف الدفالي/ القرويين والصراعات السياسية في مغرب الحماية/ مجلة أمل البيضاوية - العدد الثاني/ 1992 - ص : 77.
7) عبد الكريم غلاب / م. ص. ص : 261.
8) محمد إبراهيم الكتاني/ ظروف نشأة الحركة الوطنية السلفية بالمغرب / مجلة الموقف - العدد : 4 - 1987 / ص : 34 - 35.
9) محمد وديع الأسفي/ م. ص ص : 60.
10) نذكر بأن الفقيه سيدي الطيب بن لحبيب الملولي سجل في تاريخه عن درعة أصداء انتصارات ابن عبد الكريم على أنها نصر من الله وفتح قريب، مما يدل على أن المغاربة في الجنوب قد تجاوبوا مع هذه الحركة الجهادية.
11) عبد الله كنون/ محمد بن عبد الكريم الخطابي/ مجلة أمل- العدد : 12 / السنة الرابعة - 1997 / ص : 25-26.

وأمام هذا الانتشار للمقاتلين في مناطق محسوبة على سلطة الحماية الفرنسية، تحركت هذه الأخيرة لمساندة الإسبان ضد حركة ابن عبد الكريم قبل فوات الآوان، وقد تمكنت القوات الاستعمارية المتحالفة في تصفية هذه الحركة، واضطر ابن عبد الكريم إلى الاستسلام لسلطة الحماية الفرنسية التي نقلته هو وعائلته إلى فاس».(12)

كان وقع استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى سلطة الحماية الفرنسية سنة 1344هـ / 1926م قويا على المغاربة عامة، وطلبة وعلماء القرويين بشكل خاص، فتجند عدد من العلماء المتأثرين بأفكار شيخ الإسلام، والطلبة المتخرجين عليه بفتح حلقات للنقاش، وتدارس أوضاع البلاد في ظل الاستعمار، ثم ما لبثت هذه الحلقات أن تحولت إلى تنظيمات سرية، جعلت من بين أهدافها نشر الوعي بين المواطنين، والعمل على تحقيق استقلال البلاد على المدى البعيد.(13)

تشكل التنظيم الأول في رحاب القرويين من خيرة الطلبة من أهل فاس والوافدين على المدينة من جهات مختلفة، ومن أبرز طلبة هذا التنظيم نذكر على سبيل المثال: **علال الفاسي**، و**الحسن بوعياد**، و**المختار السوسي**، و**محمد القري**، وغيرهم.

وفي إطار تنظيم عمل الخلايا في التنظيم أسندت رئاسة اللجنة الثقافية إلى محمد المختار السوسي، ورئاسة اللجنة السياسية إلى علال الفاسي، وإلى هذه اللجنة يرجع الفضل في بلورة الأفكار الوطنية الداعية إلى المطالبة بالاستقلال.

كان أعضاء التنظيم يتوزعون على مساجد فاس لإلقاء دروس في الفقه والحديث والتاريخ، وعقد تجمعات خطابية، وإلقاء قصائد شعرية حماسية، لبث الروح الوطنية في عامة الناس، وقد كان سكان فاس يتجاوبون بعفوية تامة مع الأفكار التي ينشرها التنظيم، خاصة أن العلماء والطلبة كانوا يلحون في دروسهم على حماية الدين، ومناهضة الاستعمار.

وهكذا لم تمض إلا سنة واحدة على نهاية حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، حتى أصبح التنظيم السري يضم حوالي مائة عضو، من بينهم عدد كبير من وجهاء وأعيان فاس، وظهرت «صحف ونشرات سرية مثل «**أم البنين**»، و«**القمر**»، و«**السيف القاطع**»...، وكانت هذه النشرات السرية توزع على الراغبين في الاطلاع على الشؤون السياسة والأدبية والعلمية»،(14) وكانت نشرة «**أم البنين**» التي يشرف على إصدارها علال الفاسي، وكانت هذه النشرة تطبع بانتظام في حوالي أربعين صفحة، وتوزع بطريقة سرية بمدن مراكش والرباط وتطوان.(15)

كان علماء وطلبة المدن الأخرى يترددون على فاس للاتصال بأصدقائهم من المتعلمين والمثقفين بالقرويين، وكانت الحلقات النقاشية تدور حول طرق العمل للتصدي للاستعمار، وما لبث هؤلاء المثقفون أن قاموا بتأسيس عدة تنظيمات وجمعيات سرية على غرار ما كان سائدا بالعاصمة العلمية، وهكذا ظهرت بالرباط «**جمعية أنصار الحق**» ثم ظهرت جمعية أخرى باسم «**أنصار الحقيقة**» ومن أبرز أعضائها أحمد بلا فريج، ومحمد المكي الناصري،

12) محمد العربي الشاوش/ تقويم الحركة الوطنية المغربية/ دعوة الحق – مارس 1976 / ص : 134.
13) عبد الكريم غلاب/ م. س ص : 23-24.
14) زين العابدين الكتاني/ الصحافة المغربية: نشأتها وتطورها / الجزء الأول – الرباط – طبع وزارة الأنباء/ د – ت ص : 213. نقلا عن محمد الدفالي/ م. ص – ص 80.
15) علال الفاسي/ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي/ ص : تطوان – دون تاريخ/ ص : 139.

ومحمد القباج، ومحمد بنونة،(16) وقد ظهرت فروع لجمعية «أنصار الحقيقة» بمدن تطوان على يد عبد السلام بنونة ومحمد داود،(17) وبطنجة على يد عبد الله كَنون، ومحمد بودرقة، وغيرهم.

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه التنظيمات والجمعيات السرية تتلمس طريق التحرير بتأسيس المدارس الحرة، وإصدار صحف ونشرات، لنشر روح الوطنية والوعي بين الشباب المغربي، اختطفت المنية فجأة السلطان مولاي يوسف، فاختارت فرنسا أصغر أبنائه سيدي محمد بن يوسف، ونصّبته سلطانا على المغرب، وذلك يوم الجمعة 23 جمادى الأولى سنة 1346هـ/ 1927م.(18)

كانت فرنسا، باختيارها لأصغر أبناء السلطان خليفة له، تهدف إلى فرض نوع من الحجر على السلطان، لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية باسمه، إلا أن الرياح ستجري بعكس إرادة سلطة الحماية بفضل الالتحام بين الشعب والعرش، وبفضل شجاعة الملك الشاب، ويقظة رواد الحركة الوطنية المؤطرين في التنظيمات والجمعيات السرية، بعدما أقدمت سلطة الحماية على إصدار الظهير البربري بتاريخ 17 حجة الحرام 1348هـ موافق 16 ماي 1930م.(19)

كان الظهير البربري في منطوقه ومضمونه، وما تبعه من مراسم توضيحية صادرة عن سلطة الحماية يهدف فيما يهدف إليه إلى تفتيت الأمة المغربية، وضرب وحدة عقيدتها.(20)

تسرب خبر هذا الظهير من دوائر سلطة الحماية على يد الوطني السيد عبد اللطيف الصبيحي، ثم انطلقت حركة الاحتجاج من المسجد الأعظم بمدينة سلا(21) بقراءة اللطيف، ثم امتدت حركة الاحتجاج إلى أهم المدن الأخرى مثل: الرباط، والدار البيضاء ومراكش، ومكناس،(22) إلا أن أعنف الاحتجاجات كانت بمدينة فاس، ذلك أن هذا السلوك الذي عبرت عنه فرنسا بطرحها للظهير البربري ليطبق في الحياة اليومية لعامة الناس قد أكد لعلماء وطلبة التنظيمات والجمعيات السرية بمدينة القرويين ما كانوا يتنبأون به عن خبث نوايا الاستعمار الفرنسي؛ وهكذا استمرت الاحتجاجات والمظاهرات بأزقة وشوارع مدينة فاس بقيادة رواد التنظيمات السياسية والثقافية، وقد سلطت سلطة الحماية، سياط قمعها على المحتجين، وزجت بعدد منهم في غياهب السجون.

وأمام هذه التطورات التي عرفتها الحركات الاحتجاجية تصدى عدد من أعضاء التنظيمات والجمعيات السرية إلى قيادة الاحتجاجات، وتوجيه المظاهرات، والعمل على توحيد شعارات التحرك ضد الظهير البربري، وقد تزايدت حشود المشاركين في هذه الاحتجاجات والمظاهرات بشكل تصاعدي منذ انطلاقها

16) عبد الكريم غلاب تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب/ ص: 2 - الرباط - 1987- ج: 1- ص: 38 - 39.
17) أعمال ندوة «محمد داود»: الحركة الوطنية ومسألة الثقافة/ نشر اتحاد كتاب المغرب والمجلس البلدي لتطوان - 1989 ص: 45.
18) فيما يتعلق بظروف اختيار سيدي محمد بن يوسف لسلطنة المغرب، انظر: عبد الوهاب بنمنصور/ محمد الخامس والظهير البربري/ دعوة الحق - ع: 282 - 1991 ص: 54.
19) فيما يتعلق بفصول الظهير البربري الثمانية، انظر: الحسن بوعياد/ الحركة الوطنية والظهير البربري/ البيضاء 1979 - ص: 11 - 12.
20) انظر الفصول - 1 و 5 و 6 و 7 من الظهير البربري.
21) محمد معروف الدفالي/ القرويين والصراعات السياسية في مغرب الحماية/ مجلة أمل- العدد الثاني، السنة الأولى - 1992 - ص: 81.
22) الفرقاني محمد لحبيب/ الثورة الخامسة: صفحات من تاريخ المقاومة/ الدار البيضاء - 1990- ج: 1 - ص: 136.

في شهر ماي إلى غاية شهر يوليوز، وبعد ذلك تحرك بعض أعضاء هذه التنظيمات، وبمبادرة من محمد بن الحسن الوزاني، بالدفع بعجلة الاحتجاجات إلى الأمام، فتشكلت خلية وطنية، وقررت القيام بعمل خطابي لشحن عواطف المواطنين، والدفع بهم إلى الاحتجاج، وتأجيج المظاهرات.

وهكذا، ما كادت صلاة الجمعة تنتهي يوم 18 يوليوز 1930م بجامع القرويين حتى قام أحد أعضاء هذه الخلية، وهو السيد عبد السلام بن إبراهيم الوزاني، فألقى في المصلين خطابا حماسيا، وبعده محمد بن الحسن الوزاني، فألقى خطابا مماثلا، ثم انطلقت جموع المتظاهرين عبر أزقة مدينة فاس، وقد استمرت هذه المظاهرات من صلاة الجمعة إلى غروب الشمس، وتوجهت مجموعة من المتظاهرين إلى منزل الفقيه أحمد بن الجيلالي رئيس المجلس العلمي بفاس «لاستنكار الموقف المتخاذل للعلماء من الظهير البربري»،(23) وقد اعتبر عدد من الباحثين يوم 18 يوليوز 1930م ميلاد الحركة الوطنية.(24)

ثالثا : الحركة الوطنية والاحتفال بعيد العرش :

اهتزت سلطة الحماية بفاس، والباشا ابن البغدادي، لهذا التطور الذي عرفته حركة الاحتجاجات والمظاهرات، لذلك اقترح البغدادي على المتظاهرين تعيين وفد عنهم للتفاهم، إذ ما كاد وفد المتظاهرين يصل إلى مقر محكمة الباشا «بدار بو علي» حتى اعتقلُوا، وأمر الباشا ابن البغدادي زبانيته بجلد أعضاء الوفد(25).

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى تحركت القوات الفرنسية وطوقت أهم المنافذ والمساجد بالمدينة القديمة للحيلولة دون اندلاع المظاهرات، وفي نفس الوقت شجعت أعيان المدينة وبعض علمائها على فتح باب الحوار، فكان الاجتماع الأول مع ممثل فرنسا بالبطحاء يوم 29 يوليوز حضره حوالي سبعة عشر فردا من وجهاء وعلماء فاس، ورغم أن هذا الاجتماع الأول بين أعيان فاس ونائب حاكم فاس «الكولونيل سترول» لم يأت بجديد، فإن سلطة الحماية قد أمرت بإطلاق سراح المعتقلين بسجن الباشا ابن البغدادي، وقد تكررت الاجتماعات بين وجهاء مدينة فاس وسلطة الحماية التي وعدت بإعادة النظر في الظهير البربري.(26)

وفي يوم الحادي عشر من غشت 1930م قرئت بمسجد القرويين رسالة من السلطان سيدي محمد بن يوسف يدعو فيها إلى الهدوء والسكينة.

ويظهر أن هذه اللقاءات المتكررة بين أعيان فاس وسلطة الحماية، قد شجعت رجال الحركة الوطنية على تحرير مطالبهم وتقديمها إلى سلطة الحماية، وإلى المخزن الشريف، وقد حددت هذه المطالب في ست نقط أهمها.

23) محمد معروف الدفالي/ م. ص- ص : 82.
24) انظر على سبيل المثال لا الحصر.
- الحسن بوعياد/ م. ص - ص : 14.
- عبد الكريم غلاب، م. س - ص : 61.
- محمد معروف الدفالي/ م. س- ص : 82.
25) من بين المعتقلين الذين جلدوا بمحكمة الباشا نذكر على سبيل المثل: محمد بن الحسن الوزاني، عبد الرحمن بن عبد الله، الهاشمي الفيلالي، عبد العزيز بن ادريس، وعبد السلام الوزاني.
26) الحسن بوعياد/ م. س - ص : 17.

1 – إلغاء الظهير البربري، وسائر الظهائر والقرارات التي اتخذت في معناه.

2 – تكوين قضاء موحد لجميع المغاربة.

3 – ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية.

4 – ليس في المغرب دين قومي إلا الإسلام واليهودية.(27)

وقد وجهت الحركة الوطنية وفدا عنها إلى الرباط برئاسة الفقيه عبد الرحمن بن القرشي لمقابلة السلطان، وعرض المطالب عليه.

وقد انزعجت سلطة الحماية لهذا الاتصال إذ ما كاد أعضاء الوفد يرجعون إلى فاس حتى قامت سلطة الحماية باعتقال عدد منهم، والزج بهم في السجن بزقاق البغل؛ فخيم جو التوتر من جديد، وانطلقت يوم فاتح شتنبر 1930م حركة الاحتجاجات، وعاد الناس من جديد إلى «قراءة اللطيف» بالمساجد، والخروج في مظاهرات عارمة، وقد استمرت الاحتجاجات مدة عشرة أيام تخللها اصطدام «عنيف مع البوليس الفرنسي، واحتل الجيش أهم المواقع داخل المدينة، وطوق المساجد الكبرى مثل: القرويين، ومولاي ادريس، واعتقل المئات من المواطنين، ونفى عددا من الوطنيين إلى جهات أخرى من البلاد.(28)

وبعد تفاقم الأوضاع، وما أظهره السلطان من تعاطف كبير، وتفهم للدوافع المؤدية إلى «قراءة اللطيف» والاحتجاجات، حاولت سلطة الحماية إلصاق مسؤولية إصدار الظهير البربري بشخص السلطان،(29) وكان هدف سلطة الحماية من تحميل مسؤولية الظهير البربري، هو دق إسفين في التفاهم الكبير بين رجال الحركة الوطنية والسلطان، وقد تفطن رجال الحركة الوطنية لألاعيب سلطة الحماية، فقرروا سنة 1933م أن يحتفل المغاربة «يوم 18 نونبر من كل سنة بذكرى جلوس الملك الشاب سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه الممجدين، حيث يجد الشعب في هذا العيد المناسبة المواتية لتجديد الولاء للملك، وتأكيد أواصر الالتحام بين العرش والشعب».(30)

و«بعد موافقة الملك على هذا الاقتراح انحنت سلطة الحماية أمام إرادة الشعب، وأصدرت قرارا بتاريخ 31 اكتوبر 1934م يؤسس بموجبه «عيد العرش»، ثم نشر القرار في «الجريدة الرسمية» بتاريخ 2 نونبر من نفس السنة.

وهكذا يكون الاحتفال بعيد العرش انتصارا للحركة الوطنية على أساليب سلطة الحماية، كما أصبح مناسبة يتجدد فيها الاتصال بين الشعب والعرش».(31)

وبفضل الاحتفال بعيد العرش تمكن الملك محمد الخامس رحمه الله، من تخفيف ظروف الحصار الذي كانت تفرضه عليه سلطة الحماية، وأصبح رجال الحركة الوطنية لايتحركون في أمر من أمور مقاومة الاستعمار

27) علال الفاسي/ م. س – ص : 146.
28) علال الفاسي/ م. س – ص : 147.
29) سبق لنا أن أشرنا إلى مقالة عبد الوهاب بنمنصور بدعوة الحق عدد : 282 سنة 1991م، يكشف فيها عن الظروف المحيطة بتوقيع الظهير البربري.
30) بيان يناير 1944 بين مطلبيه : الاستقلال والديمقراطية/ منشورات. أمل – الدار البيضاء – 1996 – ص : 25 – 26.
31) محمد العربي الشاوش/ م. س، ص : 136.

إلا بتوجيهه، وإرشاداته، وهو أمر جعله عن حق بطل التحرير.(32)

كان الملك محمد الخامس يستغل مناسبة عيد العرش لتجديد مطالب الشعب، وتذكير سلطة الحماية بالتزاماتها نحو المغرب، وقد كان يضرب المثل لشعبه في إيثار المصلحة العليا.

وبهذه المناسبة كان أعيان البلاد من كل الجهات يهبون لتجديد ولائهم وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد، على مرأى ومسمع من سلطة الحماية التي لم تستطع أن تفهم عمق الروابط الروحية التي تتحكم في أواصر الالتحام بين الشعب والعرش.

وبعد سنوات من الكفاح المرير بقيادة بطل التحرير محمد الخامس تمكن المغرب من استرجاع سيادته واستقلاله، ليتخذ الاحتفال بعيد العرش مسارا جديدا، حيث كان الملك يستغل هذه المناسبة لعرض ما تحقق من إنجازات لبناء الوطن خلال سنة، وطرح المشاريع المستقبلية، والانتقال بالمغاربة من مرحلة إلى مرحلة أفضل في إطار المقدسات الثلاث التي ركز عليها خطاب العرش للعاهل سيدي محمد السادس نصره الله في السنة الماضية وهي: «الإسلام، والملكية، والوطن».(33)

إنها بحق القواعد المتينة التي يقوم عليها الالتحام بين الشعب والعرش على طول الأبد.

فاس - أحمد البوزيدي

32) تكشف لنا عدة مصادر في تاريخ الحركة الوطنية من الاتصالات العلنية والسرية بين رجال الحركة الوطنية ومحمد الخامس، والتنسيق التام الذي كان يتم بين القصر الملكي ورجال الحركة الوطنية.

33) من خطاب العرش / دعوة الحق- ع: 354 - 2000 - ص : 17.

مهام المجالس العلمية
من خلال خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله
قراءة في المضامين

الأستاذ أحمد بودهان
رئيس المجلس العلمي - الناظور

كان يوم الجمعة 18 رمضان 1421هـ موافق 15 دجنبر 2000 يوما مشهودا من أيام الله، لأنه كان عيدا في عيدين :

أولهما : العيد الأسبوعي للأمة الإسلامية كما هو معلوم، لأن الجمعة عيد المؤمنين.

وثانيهما : وهو بيت القصيد - يوم اللقاء والفرحة والبعث والتجديد والتدشين والتنصيب، مما يثلج صدور المواطنين عموما، وسكان مدينة تطوان الجميلة خصوصا.

ففي مساء هذا اليوم - والكل صائم وقائم - تفضل صاحب الجلالة الملك الشاب الصالح والمصلح حفظه الله، فدشن عدة مشاريع اجتماعية وإنسانية، تهم المعوزين بصفة خاصة. كعادته في هذا الشهر المبارك.. شهر رمضان المعظم، حتى أصبح يلقب بملك الفقراء، ويذكرنا بزمن عمر بن الخطاب...

أقول في مساء هذا اليوم الأغر توجه جلالة الملك إلى قصر الولاية لمدينة تطوان، فأزاح ستار لوحة بداية العمل داخل أروقته وهياكله فكان - بحق - مشروعا ضخما من حيث الروعة والفخامة، كما كان آية من آيات الفن المعماري المغربي الأندلسي، فإذا هو معلمة حضارية عمرانية نادرة في هندسته ورونقه وجماله، مما جعل جلالة الملك حفظه الله يختاره ليكون الأنسب لاحتضان علماء المملكة الذين رافقوا جلالته إلى هذا القصر الولائي لتدشينه، ثم الإعلان عن الحدث الهام الذي نحن بصدد الكلام عنه بخصوص اهتمام جلالته بمكانة العلم والعلماء، والمجالس العلمية، نعم بعد أن أدى جلالة الملك صلاة الجمعة بمسجد المدينة، مسجد تطوان العريق، مرفوقا بشقيقه الأمير مولاي رشيد وعلماء المملكة توجه الجميع إلى قصر الولاية لتدشينه كما أسلفنا....

وفي رحاب هذه المعلمة الحضارية والعمرانية الجديدة، وفي إحدى قاعاته الفخمة، جمع جلالة الملك علماء الأمة، وكل المسؤولين من الأطر العاملة في مجال التوجيه الديني بالمملكة، يتقدمهم السيد وزير الأوقاف والشؤون

الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري فأعلن جلالته في خطابه السامي، المنقول عبر كل وسائل الإعلام الوطنية عن ذلك المشروع الجديد والمتجدد، الذي يعتبر بمثابة نفخ روح جديدة في حياة الأمة المغربية من الناحية الروحية والمثالية والسلوكية والدينية، ويتعلق الأمر بتنصيبه حفظه الله «**للمجلس العلمي الأعلى**» وتجديده «للمجالس العلمية الإقليمية»، ونظرا لأهمية الحدث، وخاصة في مجال المحافظة على الدين والأصالة والرموز الوطنية المقدسة، فإنني أردت أن أساهم مساهمة متواضعة، لتخليد هذا الحدث على صفحات مجلة «دعوة الحق» ليبقى كوثيقة مرجعية، ولو من باب التذكير وخصوصا وقد كنت من جملة المدعوين المعنيين بالأمر، فعشت الحدث عن كتب، وليس الخبر كالعيان...

وهكذا كنا جميعا نتابع باهتمام كلام أمير المؤمنين وننصت إلى فقرات خطابه السامي، وفي مقدمتنا السيد وزير الأوقاف، والشؤون الإسلامية الساهر الأمين على تنفيذ توجيهات جلالته دائما في هذا المجال، وتنحصر مساهمتي المتواضعة هاته حول الخطاب الملكي المشار إليه، في تحليل بعض فقراته، بعد القراءة والتأمل للوقوف، ولو نسبيا على أبعاده وأهدافه ومراميه مفهوما ومنطوقا وإشارة وتلميحا، من أجل تحديد الخطوط العريضة، المكونة للمنهج المطلوب اتباعه في سياسة التوجيه الديني الملتزم الذي يريده جلالته ويحث عليه، جريا على عادة أسلافه، وتتميما لرسالة والده المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه في هذا المجال الديني...

وهذا الخطاب ينقسم إلى فقرات حسب أفكاره ومضامينه الهادفة، طبقا لما تقتضيه منهجيته المركزة والواضحة التي تتبعناها من خلال قراءة جلالته للنص...

كما سأحاول تحليل أفكار كل فقرة على حدة، وبالتالي تحديد المنهج الكامل الذي تجب مراعاته والالتزام به في توجيهنا الديني روحيا وسلوكيا وإنسانيا واجتماعيا، تنفيذا للتوجيهات الملكية السامية الواردة في الخطاب، وذلك من أجل أن نتمكن فعلا من أن نتعامل تعاملا حواريا موضوعيا منطقيا مقنعا هادئا مع كل ما يجري حولنا على الساحة العالمية من تيارات وتحديات، ونحن نعيش زمن العولمة، وعصر التكتلات والحريات وحقوق الإنسان وشبكات الإنترنيت المتطورة.

وهكذا فإنني سأبدأ بنقل نص الفقرة الأولى من خطاب جلالته، ثم أعقب ذلك بمحاولة لشرح وتحليل ما ورد فيها مع إعطاء العنوان المناسب لكل الفقرات وفي الأخير استنباط المنهج الكامل لفلسفة التوجيه الديني الشامل والكامل في فكر جلالة الملك محمد السادس، ذلك المنهج الذي يجب علينا أن نفهمه ونتفهمه ونبلغه للناس بكل أمانة وصدق...

● **الفقرة الأولى من الخطاب الملكي :**

قبل تحليل مضامين هذه الفقرة الأولى من الخطاب الملكي السامي، واستنتاج التوجيهات السامية، التي تشتمل عليها الفقرة - نورد نصها الذي يقول فيه جلالته على الخصوص بعد الافتتاح ما يلي :

«إننا نسعى إلى بعث جديد لهذه المجالس، حتى تواكب التطور الذي يعرفه المجتمع المغربي، وما نتطلع إليه من إصلاح وتغيير...».

من مهام المجالس العلمية التجديد لمواكبة التطور...

بالرغم من قصر العبارة في هذه الفقرة الأولى من خطاب جلالة الملك، فإن الذي يبدو واضحا أن جلالته

(حفظه الله) قد بين صراحة الهدف الأسمى من تنصيبه للمجلس العلمي الأعلى، وتجديده للمجالس العلمية الإقليمية، ويتعلق الأمر برغبة جلالته في نفخ روح جديدة في هذه المجالس، وبعث حيوية وديناميكية في أرجائها، لتحل محل بعض الهياكل القديمة، التي طال عليها الأمد منذ بداية الثمانينيات...

نعم.. إن الذي يتبع كلام جلالته، ويحلله تحليلا موضوعيا على ضوء سنة الحياة الخاضعة دائما للتطور والتغيير والتجديد، ليستنتج أن عهد جلالته عهد «التغيير» في كل شيء، وعهد التجديد في الهياكل التقليدية العتيقة، وعهد مسايرة الظروف حسب مقتضيات العصر الحديث، والتغيير الذي يريده جلالته هو تغيير في المفاهيم والعقليات والفروع وما إلى ذلك من الأمور القابلة للتجديد والتطوير، مع المحافظة على الأصول والجذور والمقدسات وذلك على أساس أن الإسلام دين مرونة وتجديد، ودين حضارة وتغيير من حسن إلى أحسن، لذا توجه جلالته في بداية خطابه إلى العلماء بقوله : «إننا نسعى إلى بعث روح جديدة لهذه المجالس حتى تواكب التطور الذي يعرفه المجتمع».

● **الفقرة الثانية من الخطاب الملكي :**

«.. إننا نريد من مجالسنا العلمية أن تكون مجالا رحبا يتيح للعلماء أن يؤدوا رسالتهم الدينية والوطنية، بدءا بتأطير المواطنين والمواطنات أينما كانوا لتحصين عقيدتهم وحماية فكرهم، وإنارة عقولهم وقلوبهم بما يجعلهم مؤمنين ملتزمين بدينهم ومقدساتهم غير مهددين بتيارات التشويه والتحريف...».

*** من مهام المجالس العلمية تأطير المواطن ليتحصن دينيا.**

وفي هذه الفقرة الثانية نجده (حفظه الله)، يواصل الكلام موضحا الهدف الذي أشار إليه في العبارة السابقة من كونه يتمثل في الرغبة في التغيير والتطوير، إلا أنه يحتاج إلى التأطير العام لكل المواطنين والمواطنات، حتى يدركوا جوهر دينهم، ويقبلوا على ما هو أهم، ويتركوا الشكليات. وبذلك تتحصن عقيدتهم، ويترسخ إيمانهم، وتزداد ثقتهم بالعلماء، وبالتالي يصبح المواطن ملتزما دينيا وأخلاقيا وسلوكيا، ومحبا لدينه ووطنه ومقدرا لرموزه ومقدساته.

لذا يقول جلالته : «إننا نريد من مجالسنا العلمية أن تكون مجالا رحبا يتيح للعلماء أن يؤدوا رسالتهم الدينية والوطنية بدءا بالتأطير...» ثم يوضح جلالته (حفظه الله) «أن تأطير المواطنين والمواطنات من طرف العلماء يجعلهم قادرين على مواجهة تحديات العصر، وبالتالي يكونون محصنين تجاه كل تحريض أو تشويه».

وفي هذا المجال يقول جلالته : «... وبهذا التأطير للعلماء يكون المواطنون غير مهددين بتيارات التشويه والتحريض».

فهذه الفقرة الثانية من خطاب جلالته تحمل المجالس العلمية مسؤولية تأطير المواطنين دينيا وروحيا حتى يصبحوا قادرين على تحدي كل التيارات الدخيلة والهدامة وما أكثرها...!

● **الفقرة الثالثة من الخطاب الملكي :**

«... وهذا يقتضي توسيع نطاق الوعظ والإرشاد، والدروس التوجيهية، والمساهمة الفاعلة في دروس محو الأمية، التي أمرنا بفتح المساجد لها، والمواظبة على تنظيم دورات تكوينية وتدريبية للقيمين الدينيين بتنسيق مع

وزارتنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية، مع ضرورة الاهتمام بالمرأة، وإشراكها في المجالات الحيوية التي هي جديرة بالإسهام فيها...».

*** من مهام المجالس العلمية توسيع دائرة الوعظ والإرشاد :**

وفي هذه الفقرة، نجده (حفظه الله) يتحدث عن توسيع نطاق عمل المجالس العلمية من مجال الوعظ والإرشاد، وتعميم الدروس الدينية، وبذلك يمكن لهذه المجالس أن تكون في مستوى التحديات، وفي مستوى مواجهة تلك التيارات المذكورة آنفا....

ولكي يحصل التحدي لابد من التأطير والتكوين والتوعية، ولكي يحصل هذا التأطير لابد من توسيع نطاق الوعظ والإرشاد، حتى يشمل محاربة الأمية، ويعم المساجد، ويشمل أيضا تكوين القيمين الدينيين، تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

كما أشار خطاب جلالته إلى الاهتمام بالمرأة ضمن اهتمامات المجالس العلمية...

ومن شأن هذا التوسيع في مجال الوعظ والتكوين والتدريب ومحو الأمية بإشراف المجالس العلمية يمكن استقطاب أكبر قدر ممكن من شرائح المجتمع والفعاليات...

وفي هذا يقول جلالة الملك : «... وهذا يقتضي توسيع نطاق الوعظ والإرشاد والدروس التوجيهية».. إلى آخر ما ورد في الفقرة أعلاه....

● **الفقرة الرابعة من الخطاب الملكي :**

«وحتى تتحقق الغايات الإيجابية التي نتوخاها من رسالة المجالس العلمية، فإن عليها أن تكون القدوة والمثال، وأن تعكس روح الإسلام القائمة على الوسطية والاعتدال والدعوة إلى التعارف والتعاطف، والتراحم، مما يتطلب اعتماد منهج الحوار والاقتناع والتبليغ بالتي هي أحسن، وكذلك العناية إلى جانب الفروض والطاعات بقضايا السلوك والمعاملات، وما يحث على نشر الفضيلة، ويقوي الإيمان بالمقدسات مع التركيز على التيسير، والابتعاد عن التعسير، مصداقا لقوله تعالى : ﴿**يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر**﴾».

*** من مهام المجالس العلمية مراعاة الحكمة والوسطية...**

في هذه الفقرة، نجد جلالته يذكر علماء المملكة الذين حملهم مسؤولية تسيير المجالس العلمية، بأن يستعملوا دائما الحكمة أثناء تأدية واجبهم الديني، وأن يكونوا مثاليين في سلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم مع المواطنين، حتى يصبحوا قدوة لغيرهم، كما ينصحهم جلالته باعتماد الوسطية والاعتدال رأفة ورحمة بالناس، وأن يعتمدوا منهج الحوار والاقناع دون تشدد أو تعصب، وبذلك يكسبون ثقة الناس بهم، كما يحثهم جلالته على استعمال أسلوب التخفيف والتيسير دون تعسير، طبقا للآية :

﴿**يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر**﴾.

وكل هذه التوجيهات الغالية من جلالته تندرج في مفهوم «الحكمة» في قوله سبحانه : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...**﴾ الآية.

والحكمة تعني العلم، وتعني الفهم، وتعني مراعاة أحوال الناس ومستواهم الفكري والاجتماعي.. الخ. لأن العلماء من واجبهم استعمال الحكمة، أي استعمال الطريقة المناسبة التي تلاءم وأحوال الناس أثناء ووعظهم وإرشادهم. وبذلك تتحقق الغايات.

● الفقرة الخامسة من الخطاب الملكي :

«ولن يتسنى لهذا العمل التربوي التأطيري أن يكتمل إلا إذا كانت المجالس حاضرة في مختلف الميادين العلمية والاجتماعية، ليتجلى دورها في المسجد والنادي، وأجهزة الإعلام، والمؤسسات الثقافية عامة، إضافة إلى مقراتها، التي ينبغي أن تكون مفتوحة في وجه المواطنين والمواطنات، للإجابة على أسئلتهم المتعلقة بدينهم، وتطبيقه في حياتهم الخاصة والعامة، والتوفيق بينه وبين مستجدات العصر..».

* من مهام المجالس الأساسية الحضور في الساحة وداخل المقرات :

يرى جلالة الملك في هذه الفقرة أن مهمة المجالس العلمية هاته، لاتؤتي أكلها المتوخى منها، ولا يمكن أن تقوم بواجبها كما أشرنا، إلا إذا فرضت وجودها، وأثبتت حضورها على الساحة. والمراد بحضور المجالس العلمية على الساحة في خطاب جلالته، هو إظهار فعاليتها، بتجاوبها مع الجمهور، وتلبية مطالب وحاجيات المواطنين والمواطنات بخصوص أمورهم الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وهذا الحضور الذي يريده صاحب الجلالة ميدانيا من المجالس العلمية، من شأنه أن يجعل هذه المجالس توسع دائرة عملها ليشمل الجانب الثقافي والفكري والاجتماعي، بالإضافة إلى التوعية الدينية الهادفة والمركزة، وبالإضافة إلى هذا الحضور المطلوب من المجالس العلمية على الساحة في كل مختلف المجالات ميدانيا، يأتي الأمر الآخر من جلالته لهذه المجالس بوجوب حضورها إداريا حسب توقيت زمني منظم يوميا، حتى يتمكن المواطنون من قضاء أغراضهم فورا حين يتوجهون إلى المجالس العلمية.

وفي وجوب هذين الحضورين المعنوي والحقيقي لهذه المجالس العلمية يقول جلالته : «ولن يتسنى لهذا العمل أن يكتمل إلا إذا كانت المجالس العلمية حاضرة...» الخ.

● الفقرة السادسة من الخطاب الملكي :

«... إننا لنرى أن تنهض المجالس العلمية بأمانة الإفتاء في النوازل الطارئة، وأن تنكب على هذه المهمة الملحة والعسيرة بروح جماعية يمكن الوصول بها إلى إجماع في الرأي بعد العرض على المجلس العلمي الأعلى».

* من مهام المجالس العلمية الملحة «الإفتاء»

هنا في هذه الفقرة القصيرة بالذات، والتي تعمدنا تخصيصها بحيز معين رغم أنها عبارة فقط، قد لا تصل إلى حد فقرة، نجد أن جلالة الملك يركز فيها على أهم مهمة من مهام المجالس العلمية، ألا وهي مهمة «الإفتاء»، إذ يلح على هذه المجالس أن تنهض بهذه الأمانة التي وصفها جلالته (حفظه الله) بالعسيرة، وبالملحة وبالأمانة، علما منه أن إصدار الفتوى ليس أمرا عشوائيا يأتي كيفما اتفق، أو يأتي تحت تأثير هذا الاتجاه أو ذاك، بل إن أمر الفتوى يحتاج إلى إطلاع واسع من جهة، وإلى معرفة الوقوف على الأشباه والنظائر والقرائن من جهة أخرى، وإلى آراء وأقوال علماء المذهب في النازلة المطروحة مع مراعاة ما يمكن أن يوجد من الخلاف داخل المذهب أحيانا، وكذلك مراعاة حالة المستفتي وفهم كلامه وغرضه من الفتوى.. الخ، لذا يقترح جلالة الملك فيما يخص الفتوى أن يكون هناك تعاون بين العلماء، وتنسيق بين المجالس بخصوص بعض الأمور الحساسة أو المستعصية من القضايا والنوازل المستحدثة للناس حسب تطور الحياة العصرية، ثم عرض هذه الفتاوى على أنظار المجلس العلمي الأعلى، بغية الوصول إلى ما يمكن أن نسميه - ولو تجاوزا - بالإجماع..

على الأقل الإجماع الوطني أو المحلي، أو نقول إنه «اتفاق» علماء المغرب خاصة.

● الفقرة السابعة من الخطاب الملكي :

«وبذلكم يمكن للمجالس أن تساهم في إيجاد نهضة علمية، وأن تقدم صورة حقيقية عن الإسلام، وتواجه الضلالات، وأن ترفع التحديات».

* من مهام المجالس العلمية إعطاء صورة حقيقية عن الإسلام :

وهكذا تأتي هذه الفقرة أو عبارة من كلام جلالة الملك في خطابه السامي، لنفهم أن المجالس العلمية لايمكن أن تؤتي أكلها، وأن تثبت وجودها، وأن تعبر عن حضورها في الساحة، إلا إذا برهنت بشكل قاطع على مستواها في مختلف الميادين، سواء تعلق الأمر بالتأطير العام المشار إليه، أو تعلق الأمر بتوسيع دائرة الوعظ، أو تعلق الأمر باستعمال الحكمة، أو الحضور المعنوي والفعلي ميدانيا وإداريا، أو تعلق الأمر بأمانة الإفتاء....

وعند ذاك - يقول جلالته يمكن للمجالس أن تقدم صورة حقيقية عن وجودها فعلا، وبالتالي تعطي صورة حقيقية عن ديننا الإسلامي...

وهذا في حد ذاته يجعلنا في مستوى التحديات، وفي مستوى مواجهة كل التيارات.. الخ

● الفقرة الثامنة من الخطاب الملكي :

«...لقد كان المغرب خلال تاريخه الحافل المجيد حصنا منيعا، وقلعة عالية للإسلام، وإننا لحريصون على أن يبقى كما كان البلد الذي يتمثل فيه الدين راسخا قويا باعتباره مكونات هويتنا، ومقومات شخصيتنا في تشبثنا بالمذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية وطريقة السلوك السني الهادف إلى تقويم النفوس، وتنقية الضمائر، مما كفل لبلادنا وحدتها وطمأنينتها».

* من مهام المجالس العلمية الجوهرية المحافظة على «الهوية» الوطنية :

هنا في هذه الفقرة الثامنة من خطاب جلالة الملك (حفظه الله)، يذكر المغاربة عموما، وعلماء الأمة الممثلين في هذه المجالس العلمية خصوصا، بضرورة المحافظة على التراث، انطلاقا من محافظتنا على هويتنا وشخصيتنا وأصالتنا وثقافتنا، وذلك على أساس أن المغرب كان ولا يزال عبر التاريخ القلعة الصامدة، والحصن الرابط لحماية رموزه ومقدساته من جهة، والدفاع عن عقيدة الإسلام ضد كل تيار أو دخيل، بل إن المغاربة هم الذين نشروا راية الإسلام في الأندلس، وفي أوروبا، وكذلك في تخوم إفريقيا...

لذا يذكر جلالة الملك علماء الأمة بهذه المواقف التاريخية للمغرب حتى يواصلوا رسالتهم في الحفاظ على هذه المكانة التي يتبوأها المغرب تاريخيا ودينيا وحضاريا، وبالتالي المحافظة على الهوية والأصالة والتراث، وخاصة ما يتعلق بالتراث، وخاصة ما يتعلق بالثالوث الثلاثي المغربي الشهير منذ قرون وقرون، والمتمثل في المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك التصوفي السني، وقد جمع ذلك ابن عاشر (رحمه الله) في منظومته بقوله :

«في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك»

وبهذه المحافظة على هذه الهوية المغربية نكون قد حافظنا على وحدتنا ورموز مقدساتنا....

● الفقرة التاسعة من الخطاب الملكي :

«وإن العلماء الذين هم النواب عن أمير المؤمنين في تبليغ أحكام الشرع، كانوا على مدى العهود وما زالوا في طليعة بناة الوطن وحراس كيانه، والمدافعين عن مقدساته، خدامـا للعرش الذي هو الدعامة لاستمرار الأمن والاستقرار، وكانوا بصدق وإخلاص وولاء ووفاء، وبمساندة عفوية وتلقائية متجاوبين مع ملوكه، الذين هم حماة الوطن والدين ورموز الشرعية والسيادة».

* من مهام المجالس العلمية المحافظة على أمانة العهد... عهد البيعة...

ويستمر جلالة الملك في خطابه السامي أمام علماء الأمة، ويذكر الجميع (حفظه الله) بذلك التجاوب التلقائي، والحب المتبادل بين الراعي والرعية عبر تاريخ المغرب، وفي كل عهد من عهود ملوكه العظام، ولا سيما علاقة العلماء بهؤلاء الملوك والأمراء طبقا لعهد البيعة..

وفي هذا الصدد يشير جلالة الملك إلى تلك الثقة الغالية التي يتمتع بها العلماء، والتي هي متبادلة دائما بين العرش والمجالس العلمية، باعتبار أن أمير المؤمنين في الشرع بالإضافة إلى كونه القائد الأعلى في الأمة، والساهر على مصالح شعبه الدينية والدنيوية، طبقا لمفهوم الخلافة والبيعة في الإسلام....

ويُذكّر جلالة الملك في هذه الفقرة علماء المجالس العلمية، بأنهم النواب الشرعيون عن الملك في أمور هامة وحساسة جدا، منها : قيامهم بتبليغ أحكام الشرع للناس نيابة عن أمير المؤمنين، ومنها المحافظة على العهد بين الملك والشعب وهو عهد البيعة، ومنها الطاعة لأمير المؤمنين، ومنها المحافظة على الولاء والوفاء وبذلك يسود الأمن، ويعم الهدوء والاستقرار، والمحافظة على رموز هذا الوطن.

● الفقرة العاشرة من الخطاب الملكي :

... إننا ونحن ننصبكم في المجلس العلمي الأعلى، رؤساء وأعضاء المجالس العلمية الإقليمية نحملكم مسؤولية دينية ووطنية سامية، ولنا اليقين أنكم بعون الله وتوفيقه ستنهضون بها على النحو الذي به تبلغون ما نطمح إليه من غايات.. ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

* من مهام المجالس العلمية الرئيسية الاضطلاع بالمسؤولية التي حملهم إياها الملك :

ويختم جلالة الملك (حفظه الله) خطابه السامي هذا، والذي كان موجها أساسا إلى علماء الأمة، بمناسبة تنصيبه (رعاه الله) للمجلس العلمي الأعلى وتجديده للمجالس العلمية الإقليمية... يختم خطابه بهذه الفقرة الأخيرة منه، والتي يذكر العلماء فيها بهذه المناسبة العظيمة، مناسبة تنصيبهم في مهامهم تلك، وفي نفس الوقت يحملهم مسؤوليتهم كاملة، وهي مسؤولية مزدوجة، دينية ووطنية...

ثم يبين جلالته للعلماء أنه حفظه الله واثق كل الثقة بأن العلماء سيقومون بمهامهم المذكورة على أحسن وجه إن شاء الله من أجل تحقيق الأهداف والغايات المتوخاة منهم، ويختم الخطاب بالآية الكريمة التي يأمرنا الله فيها بالعمل، وبلا عمل لا نصل إلى أي شيء.

ولا شك أن السادة العلماء كلهم يجيبونه بلسان الحال، ويقولون : «سنكون عند حسن ظنكم يا أمير المومنين».

هذه هي أهم فقرات خطاب جلالة الملك بمناسبة تنصيب المجلس العلمي الأعلى ورؤساء المجالس العلمية،

وهذه هي تحليلاتنا المختصرة لكل فقرة من فقراته التي أعطينا لكل واحدة منها عنوانها المناسب والآن ننتقل إلى تلخيص المنهج العام للتوجيه الديني المستوحى من خطاب جلالته.

*** خلاصة المنهج الملكي في التوجيه الديني من خلال خطابه السامي الموجه لعلماء الأمة :**

بعد أن أوردنا نص الخطاب الملكي السامي، مقسما إلى عشر فقرات، وبعد أن وضحنا باختصار مضمون كل فقرة على حدة - نحاول الآن جمع أطراف مضامين الخطاب ككل، لتحديد الخطوط العريضة للمنهج الكامل للتوجيه الديني في الخطاب الملكي، فنجده يشمل التوجيهات التالية :

أولا : في بداية الخطاب يبين جلالته الغاية من تنصيبه لهذه المجالس العلمية، وذلك من أجل بعث روح جديدة لهذه المجالس حتى تواكب التطور الذي يعرفه المجتمع.

ثانيا : نجد جلالته يرى أن تحقيق الهدف المذكور يحتاج إلى تأطير المواطن دينيا، وبالتالي يصبح محصنا عقديا ويستطيع أن يواجه التحديات، وتلك هي أولى مسؤوليات العلماء في هذه المجالس العلمية...

ثالثا : يرى جلالته أن التأطير يقتضي توسيع دائرة الوعظ حتى يشمل كل شرائح المجتمع، من المسجد إلى النادي إلى التكوين والتدريب للقيمين مع إشراك المرأة. والكل يتم بتنسيق مع الوزارة الوصية وهي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وبذلك تتسع مهام العلماء في هذه المجالس...

رابعا : إن جلالته يرى أن تحقيق التأطير عن طريق توسيع الوعظ، يقتضي أن يتحلى علماؤنا بالحكمة في أداء مهامهم، وأن يكونوا قدوة ومثالا يحتذى مع مراعاة روح تعاليم الإسلام القائمة على الوسطية والاعتدال، وهذه مهمة أخرى للمجالس العلمية...

خامسا : يلح جلالته في خطابه على حضور العلماء في الساحة، وخاصة الحضور الفعلي الميداني الذي يعبر عن المستوى اللائق بهم كعلماء الأمة، وأن يظهر حضورهم هذا في كل ناد، بجانب حضورهم الإداري للتسيير اليومي، ويعتبر هذا «الحضور» بمفهوميه : المعنوي والحقيقي في خطاب جلالته من أهم مهام علماء هذه المجالس...

سادسا : يشير جلالته في خطابه هذا الموجه لعلماء الأمة إلى مهمة أخرى من المهام الحساسة التي يجب على العلماء أن يعتنوا بها، ألا وهي مسألة «الإفتاء». ويعتبر من أجل وأخطر مهام المجالس العلمية...

سابعا : يرى جلالته أن هذا المنهج المقترح في التوجيه الديني، إذا طبقه علماؤنا كما ينبغي، فسوف يعطي - ولا شك - الصورة الحقيقية للإسلام، وبذلك تواجه الضلالات والتحديات...

ثامنا : وهنا تأتي مسألة «الهوية» في خطاب جلالة الملك، ليلح فيها على التمسك بتراثنا وشخصيتنا وثقافتنا، وعلى علماء الأمة المحافظة على ذلك، وخاصة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، والتصوف السني، بجانب المحافظة على رموز الوطن ومقدساته...

تاسعا : نجد أن خطاب جلالته في الفقرة التاسعة يذكر رعاياه عموما، وعلماء الأمة خصوصا بالمحافظة على الأمانة والثقة والحب المتبادل بين العرش والشعب من أجل دوام الاستقرار، واحترام عهد البيعة...

عاشرا وأخيرا : يختم جلالته خطابه بالتذكير بثقل المسؤولية التي حملها لعلماء الأمة، ويتمنى أن يقدروها

حق قدرها، وله - حفظه الله - كامل اليقين في أن علماء المجالس العلمية سينهضون بهذه المسؤولية وسيضاعفون العمل في شأنها ثم يختم جلالته بالآية : **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** صدق الله العظيم.

تلكم كانت أهم الخطوط العريضة للمنهج الملكي في فلسفة التوجيه الديني من خلال خطابه السامي الموجه لعلماء الأمة.

*** خطاب جلالة الملك بتطوان ودوره في بلورة مهام المجالس العلمية الإقليمية :**

إذا كان جلالة الملك محمد السادس (نصره الله)، قد شرف العلم والعلماء في خطابه السامي مساء يوم الجمعة 18 رمضان 1412هـ الموافق لـ 15 دجنبر 2000، حين نصب (حفظه الله) المجلس العلمي الأعلى، ورؤساء المجالس العلمية الإقليمية، فإنه - رعاه الله - قد شرف أيضا العلماء بخطابه هذا، الذي بين فيه الأهداف والغايات من هذا التنصيب، كما بين للعلماء فيه تلك الخطوط العريضة لمنهج التوجيه الديني في عهده الجديد «العهد المحمدي» الزاهر، وهذا يعني أن الخطاب الملكي المذكور سوف يكون بمثابة نبراس يضيء لنا مشاعل الطريق، كما رأينا في فقراته...

ولا شك أن السادة العلماء - بوعيهم الكامل بالمسؤولية التي حمّلهم إياها جلالته كما ورد في الفقرة الأخيرة سوف يعتبرون هذا الخطاب بمثابة مرجع يعتمدونه في مزاولة مهامهم إجمالا وتفصيلا، إطلاقا وتقييدا، تصريحا وتلميحا، حسب ظروف الأحوال، طبقا للحكمة الواجب اتباعها، والمتمثلة في مراعاة الوسط والاعتدال، والمرونة والتسامح، تخفيفا وتيسيرا على العباد، وبذلك يتحقق الهدف الذي يريده جلالة الملك حفظه الله، والذي يتمثل أساسا في تأطير المواطن دينيا وعقديا واجتماعيا حتى يتحصن إيمانيا، ويقتنع عقليا ونقليا، ويتصدى لمواجهة كل دخيل من التيارات المستوردة، وخاصة ونحن في زمن العولمة وزمن الأيديولوجيات والحريات وحقوق الإنسان.

وبالتالي يحافظ المواطنون جميعا على «هويتهم» الوطنية وثقافتهم وشخصيتهم وأصالتهم وتراثهم ورموزهم الوطنية المقدسة التي أشار لها جلالته في خطابه السامي...

ولا شك أن السادة العلماء سيبذلون كل ما في وُسْعِهِمْ بخصوص تطبيق تلك الدرر الغالية، والتوجيهات السامية، والنصائح الملكية الهامة، الواردة في الخطاب، وبذلك يشرفون جلالته كما شرفهم. والتشريف تكليف، ولكن عندما يأتي التشريف على يد أمير المؤمنين يبقى دائما تشريفا ما فوقه تشريف، رغم ضخامة التكليف وثقل مسؤوليته، إذ بقدر ما يعلو التشريف، بقدر ما تزداد مسؤولية التكليف....

فاللهم سدد خطى أمير المؤمنين، ووفق مسعاه، وأعنه يارب على أعماله الجليلة، ومشاريعه التي ينجزها خدمة للدين والوطن، وأقر اللهم عينه بشقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية العلوية الشريفة، وجدد اللهم رحماتك على روح والده المغفور له جلالة الحسن الثاني قدس الله روحه، وروح جده المفدى محمد الخامس طيب الله ثراه، آمين.

الناظور - أحمد بودهان

تأملات في بعض قضايا الحوار الحضاري
من خلال خطب
جلالة الملك محمد السادس

للأستاذ حسن عزوزي
عضو المجلس العلمي بفاس

سبق أن أعلنت الأمم المتحدة أن عام 2001 هو عام الحوار بين الحضارات، وإذا كانت السنة الماضية قد أعلنتها المنظمة الدولية عاما لثقافة السلام، فإن المرء لايحتاج إلى كبير جهد ليعلم أن هاجس السلام العالمي والحوار الحضاري هو الذي يهيمن على تفكير صناع القرار السياسي ومن يتحكمون في أزمة (جمع زمام) العالم.

وإذا كان تخصيص أول عام في الألفية الثالثة لثقافة الحوار بين الحضارات ينطوي على أكثر من دلالة يطغى عليها جميعا واقع الصراع المحتدم بين كثير من الدول والثقافات والتجمعات الإقليمية، فإن المتتبع الحصيف لشؤون الحوار الحضاري يدرك بسهولة أن تحقيق ما ينبغي تحقيقه على المستوى العالمي ليس بالأمر السهل الذي يدرك بمجرد إعلان هذه السنة سنة للحوار أو تلك السنة سنة لثقافة حقوق الإنسان أو للتعايش الحضاري أو غير ذلك، وإنما الأمر مرتبط بتحديات راهنة تتحكم فيها «ميكانيزمات» ضاغطة تشكل جميعها معوقات وعراقيل تحول دون بلوغ ما يصبو إليه الجميع. وإذا كانت هناك جهات معينة تسعى إلى تعزيز أسس الحوار الحضاري وتسييج دعائم التعارف الحضاري فإن الإسلام دينا وحضارة كان سباقا إلى نهج أسلوب الحوار البناء في منهجه في الدعوة إلى الله، كما أنه دعا إلى حوار الآخر مهما كان ذا منحى فكري ديني لايلتقي بالضرورة مع الأفق الفكري الديني للرسالة الإسلامية. ولقد كان المسلمون عبر التاريخ أشد حرصا على الانطلاق من نقاط الالتقاء في حوارهم مع الآخر استجابة للنداء القرآني : ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾.(1)

1) سورة آل عمران، الآية : 64.

وبأسلوب ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(2) وأسلوب: ﴿هاتوا برهانكم﴾، حسم الإسلام آفاق وأبعاد الدعوة إلى الحوار الديني والحضاري الفعال، ولذلك فقد حقق الحوار الحضاري عبر فترات طويلة من التاريخ الإسلامي نتائج مثمرة على صعيد نشر الرسالة في أرجاء واسعة من العالم بالرغم من تنوع وتعدد الثقافات والحضارات التي صادفت المد الإسلامي.

إن المقصود بالحوار الحضاري هنا هو ذلكم التفاعل الفكري الناشئ عن احتكاك المبادئ والثقافات والقيم، حيث تنفتح الحضارة على ثقافة الآخر وتطلع على مبادئه الفكرية والاجتماعية فيتم التفاعل بين الثقافتين ليكتسب كل منهما من الآخر بقدر قوة تأثير الأول وتقبل الثاني.

وتعتبر قضايا الحوار الحضاري من أبرز القضايا التي أولاها جلالة الملك محمد السادس حفظه الله عناية فائقة واهتماما بالغا، حيث إن متابعته للشأن الإسلامي في تفاعله مع الحضارة الغربية بصفته أميرا للمؤمنين وساهرا على تدبير الشؤون الدينية جعلته يثير كثيرا من قضايا الحوار الحضاري في خطبه وكلماته السامية مما سنعرض له ضمن المباحث التالية.

□ الانفتاح على الآخر شرط من شروط الحوار الحضاري :

لا شك أن أول الشروط التي لا يتم الحوار الحضاري أصلا دون توافرها هو أن يكون هناك انفتاح على الطرف الآخر قصد الاعتراف به أولا، فالحوار يقتضي قبولا مبدئيا - على الأقل - بوجود الآخر عن طريق الانفتاح عليه. يقول جلالة الملك محمد السادس نصره الله في كلمته خلال مأدبة العشاء التي أقامها على شرفه الرئيس الفرنسي جاك شيراك في شهر مارس من عام 2000 :

«إن الشعور الذي أعبر عنه هذا المساء هو شعور الجيل الذي أنتمي إليه جيل النساء والرجال الذين تجمعهم في المغرب حماسة الشباب والحكمة والتبصر التي تواكب بطبيعة الحال الكفاح الذي نريده أولويا من أجل أكبر وأفضل ما يمكن من التنمية، وأكبر وأفضل ما يمكن من النمو، وأكبر وأفضل ما يمكن من الإشعاع الروحي والقدرة على الانفتاح على الغير وعلى الآخرين...»

لقد عبر جلالته بصراحة عن تطلعات جيل الشباب المتبصر والمتحمس الآخذ بطرفي الحكمة والاتزان، وهي التطلعات الهادفة إلى تمكين وسائل الرقي الحضاري والتنمية الإنسانية المستديمة. وذلك ما لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق الانفتاح على الغير وعلى الآخرين، يقول جلالة الملك في رسالة ملكية سامية وجهها إلى المشاركين في الدورة الثامنة للمجلس الوطني للشباب والمستقبل :

«إن أي مجتمع مثل مجتمعنا يطمح إلى الاندماج الإيجابي في محيطه الخارجي مدعو لا ستثمار عوامل الرقي الكامنة في التحولات التي يعرفها العالم في مجالات الثقافة والعلوم والتكنولوجيا والتواصل، وإنجاح اختيار كهذا رهين بتبني قيم التسامح والانفتاح، وهي القيم التي تضمن التوفيق المستمر بين الأصالة والمعاصرة».

وليس المقصود بالانفتاح أي انفتاح كيفما كان وإنما ذلكم الانفتاح الموزون والمؤسس على هداية من الإشعاع الروحي والضامن - كما جاء في الرسالة الملكية - لأسس التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، إذ لا يخفى ما للطاقة الروحية من قدرة على شحذ الهمم وتبصير الإرادات وتوجيه العزائم نحو المواضع الأفضل لبناء التنمية

2) سورة النحل، الآية : 125.

الحضارية والتقدم المطلوب، وكل ذلك لا يمكن تحقيقه سوى عن طريق الانفتاح على الآخر والتعرف عليه، إذ الحوار مع الآخر والانفتاح عليه على المستوى الحضاري والعمل على إتاحة الفرصة لتوسيع دائرة التفاهم والتقارب من أجل الوصول إلى قناعات معينة يعتبر كل ذلك من المطالب الإسلامية الحيوية، فرسالة الإسلام العالمية الهادفة إلى استنقاذ البشرية جمعاء تفرض بصورة أكيدة العمل على ترسيخ آليات الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب.

ولعل من أبرز مؤشرات الدعوة إلى الحوار مع الآخر والانفتاح عليه في الإسلام إيماننا برسالات الأنبياء جميعا، إذ لا يكتمل إيمان مسلم إلا بذلك، قال تعالى : ﴿**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيئون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون**﴾.(3)

بيد أنه ليس من الحوار والانفتاح على الغير أن نتنازل عن شيء من مقومات عقيدتنا ومسلمات ديننا، فروح الإسلام السمحة والمرنة تنسجم أتم الانسجام مع مبدأ الحوار والانفتاح على الغير وفق شروط معينة وضوابط محددة لاتسمح بالتنازل عن أدنى مبدأ من مبادئنا أو الانسياق وراء بعض الشعارات الزائفة والمضللة التي أصبح ينادى بها في بعض اللقاءات الحوارية المحسوبة على الإسلام، لكن يجدر التنبيه إلى أن القول بعدم السماح بالتنازل عن أدنى مقوم من مقومات الدين قصد المحافظة على الثوابت والخصوصيات لا يعني بتاتا الانكماش على الذات والتقوقع والحذر من الانفتاح على الآخر، وهذا ما قد يفهمه البعض ممن لا يرون في الانفتاح على الغير أي مصدر خير للإسلام وحضارته، وقد نبه جلالة الملك على هذا الأمر حينما قال في رسالة ملكية سامية إلى المشاركين في الورش الدولي الخامس للمؤسسات الوطنية لإنعاش وحماية حقوق الإنسان: «إن المحافظة على الخصوصية والهوية لايعني الانكماش على الذات بل العمل من أجل حركية متجددة لمفهوم الأصالة في إطار المعاصرة الملتزمة بالقيم المقدسة التي تدعو إلى التسامح والجدل بالتي هي أحسن والدعوة إلى السلم كافة».

وهكذا يبرز جلالته أن العمل على المحافظة على الخصوصيات والمميزات والثوابت لايحول دون العمل من أجل حركية متجددة لمفهوم الأصالة مما يتطلبه تطور العصر ومسايرة الركب الحضاري المعاصر، لكن ذلك ينبغي أن يكون في إطار معاصرة ملتزمة ليس فيها تقليد أو تبعية أو انعتاق من الأصول والمبادئ، إنها معاصرة ملتزمة بالقيم المقدسة التي تدعو إلى التسامح والجدل بالتي هي أحسن والدعوة إلى السلم كافة.

❑ مرتكزات الحوار مع الآخر :

تعتبر القيم الثلاثة الواردة في الرسالة الملكية السامية من أبرز مرتكزات وأسس الحوار مع الآخر في المنظور القرآني.

فالتسامح الديني يعتبر أبرز الأسس والقيم التي يقوم عليها الحوار الحضاري في الإسلام، فإذا كان التسامح مع الذات يعتبر سمة مميزة تطبع المجتمع الذي يدعو الإسلام إلى قيامه فإن التسامح مع الغير من أصحاب الديانات الأخرى يشكل بدوره خاصية مميزة على اعتبار أن الحرية الدينية تقوم على أساس أن الدين عقيدة وإيمان واقتناع إذ

3)سورة آل عمران، الآية : 84.

﴿لا إكراه في الدين﴾.(4) ولقد كان المسلمون عبر التاريخ حماة لمبدأ التسامح الديني عن طريق إرساء أسس التعايش والحوار مع الآخرين. فالتسامح كمفهوم شامل يعتبر قيمة حضارية كبرى وفضيلة سامية في الإسلام ينبع من «السماحة» باعتبارها ملمحا جامعا يطبع المجتمع الإسلامي الذي كان دوما خاليا من كل تعصب وتطرف ومن كل عنف أو غلو سواء مع الذات أو مع الآخر.

ولقد تحدث جلالة الملك عن مبدأ التسامح الديني كما هو سائد في المغرب عبر التاريخ خاصة بين المسلمين واليهود من المغاربة فقال : «الشيء الوحيد الذي لايمكنني أن أتسامح فيه هو العنف والجهل، الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد، هناك أيضا اليهود الذين يعتبرون جزءا من المجتمع المغربي، وأمير المؤمنين ليس فقط أمير المسلمين ولكن أيضا أمير اليهود والنصارى والمؤمنين. صرح جدي رحمه الله يوما بأنه لا يوجد في المغرب مواطنون يهود ولكن يهود مغاربة، فالمغرب بلد مبني على التسامح».

إن التسامح الديني الذي تشهده العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطوائف والملل المستقرة بالمغرب يعتبر نموذجا ومثالا واضحا لموقف الإسلام الإيجابي من الآخر المختلف دينيا، فالله تعالى يقول : **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾**.(5)

وقد أظهر الإسلام لغير المسلمين الذين يشكلون أقليات في المجتمع الإسلامي من التسامح المفضي إلى التعايش والتساكن الشامل ما يكفل لهم حرية ممارسة والعيش مع غيرهم من المسلمين بفضل التعامل التلقائي الذي يفرضه - بشكل طبيعي - الوجود المشترك على أرض مشتركة. وهذا ما نص عليه جلالته في خطابه في افتتاح الدورة الربيعية لإكاديمية المملكة عندما أكد على أن المغرب ظل «في مقدمة الركب الحضاري بلدا للحوار بين الثقافات ومثالا للتوازن بين مقومات الأصالة والحداثة ومجتمعا للتعايش في ظل الكرامة والاعتدال والتسامح».

أما القيمة الثانية : التي تحدث عنها جلالته فهي الجدال بالتي هي أحسن، وواضح أن الجدال بالتي هي أحسن يرفض كل ما من شأنه أن يحول دون إظهار الحقيقة وإدراكها من تحامل مبيت وافتراء ملفق، فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن أساليب ناجعة من أجل الوصول إلى الحقيقة بطريقة علمية موضوعية وهو ما يكفل حماية المحاور في طرح فكره المختلف بطريقته الخاصة وليس لأحد الحق في اعتراضه ومقابلته بعناصر الإثارة الانفعالية.

ولقد عبر القرآن الكريم على أسلوب الجدال بالتي هي أحسن في في آيتين كريمتين هما : قوله تعالى : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**(6) وقوله : سبحانه : **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون﴾**.(7)

والذي يلاحظ أنه لما كان الجدل منزع جبلّي في الإنسان نظرا لما أوتيه من سعة الحيلة وقوة المعارضة

4) الحوار الذي أجرته مع جلالته مجلة «التايمز *Times*» الأمريكية يوم 26/ 6/ 200.
5) سورة الممتحنة، الآية : 8.
6) سورة النحل، الآية : 125.
7) سورة العنكبوت، الآية : 46.

واختلاف النزعات والأهواء كما في قوله تعالى : ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلا**﴾(8) ضبط القرآن الكريم هذا الأسلوب الحواري في إطار ما كان بالتي هي أحسن وهو ما تكرر في آيتي النحل والعنكبوت.

أما القيمة الثالثة : التي تحدث عنها جلالته فهي الدعوة إلى السلم كافة، وهي قيمة مثلى نابعة من روح التسامح التي يدعو إليها الإسلام، كما أن القرآن الكريم قد عبر عنها في غير ما آية، من ذلك قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾(9) وقوله عز وجل : ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾(10) ولا شك أن الدعوة إلى السلم كافة تعبر بوضوح عن الدعوة إلى عدم الاعتداء كما في قوله تعالى : ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾.(11)

إن فكرة السلم والسلام في الإسلام فكرة أصيلة متجذرة في أعماق التاريخ الإسلامي وهي تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته وفكرته العميقة عن الكون والحياة والإنسان، وهكذا يصبح السلام هو القاعدة الدائمة والحرب هي الاستثناء الذي تقتضيه الضرورة من بغي وظلم وفساد واختلال في موازين طبيعة الحياة كما أقرها التشريع الإلهي، إن روح الإسلام السمحة والسلمية تمكن من إشاعة الود والتراحم والتآلف بين بني البشر وتدعو إلى تحقيق الأمن بكل أشكاله وإقرار السلام، بجميع أبعاده، وهذه الروح هي التي اجتذبت وتجتذب دوما أفواجا من الناس إلى الإسلام، وهي التي يسرت له سبل الانسياح والانتشار في الأرض بتلك السرعة العجيبة المذهلة حيث يفزع إليه الناس من أصحاب الديانات الأخرى مستظلين بظلال السماحة والأمن والسلام.

وإذا كان جلالة الملك نصره الله قد أكد بقوة على ضرورة الالتزام بالقيم المقدسة التي تدعو إلى التسامح والجدل بالتي هي أحسن والدعوة إلى السلم كافة كشرط للحوار الحضاري على مد الجسور بين أصالة متجددة ومعاصرة ملتزمة، فإن جلالته قد شدد في مناسبات عديدة على أهمية الحفاظ على القيم والفضائل الإنسانية في عالم متغير يموج بالأفكار والنظريات والنزعات المادية.

بيد أن الذي نود الإشارة إليه هو مالفت جلالته النظر إليه من أن إنسان القرن الواحد والعشرين كلما أحاطت به رياح العولمة الكاسحة ازدادت لديه الحاجة إلى الحفاظ على هويته والإفصاح عن أصالته والعودة إلى إيمانه ومد جسور الحوار بين الأديان والحضارات. يقول جلالته في رسالة التهنئة إلى قادة الدول الصديقة بمناسبة حلول القرن الحادي والعشرين «كلما ازداد العالم إيغالا في العولمة زادت حاجة هوياته المختلفة إلى الإفصاح عن أصالتها وكلما زاد تهديد ضياع الإنسان لمرجعياته وانتماءاته، زادت الحاجة للإيمان ومد جسور الحوار بين الأديان والحضارات ضمن مفهوم متكامل للتقدم الإنساني يضمن حق الأجيال القادمة في العيش في محيط بيئي سليم قوامه الملاءمة بين التطور العلمي والحفاظ على المنظومة البيئية، والقيم الأخلاقية، وإنه مهما توالت السنون والقرون والأجيال وتغيرت معها الأفكار والنظريات واختلفت معايير النظر والتقييم فإن هنالك قيما وفضائل إنسانية خالدة لاينسخها الزمن ولا تزيدها الأيام إلا رسوخا والمتمثلة في التكريم الإلهي

8) سورة الكهف، الآية : 54.
9) سورة البقرة، الآية : 208.
10) سورة الأنفال، الآية : 61.
11) سورة البقرة، الآية : 190.

للإنسان إنها قيم وفضائل الحرية، والمساواة، والإخاء، والعدل، والإنصاف، والتضامن، والتسامح، والاعتدال واعتماد منطق العقلانية والعلم وسمو الأخلاق».

إن تأكيد جلالته على أهمية تعزيز القيم والفضائل الإنسانية المختلفة في نسج أسس الحوار الحضاري البناء أكبر دليل على اهتمامه البالغ بمنظومة الأخلاق والقيم المشتركة التي يتهددها الضياع والتمييع في ظل عوامل وظروف التغيير الجارفة التي تكاد تأتي على كل ما هو أصيل وفاضل وفطري ينبع من مشكاة الأديان السماوية ويقتبس نوره وضياءه من مخزون المبادئ والقيم الفطرية والضمير الإنساني المهذب. إنها مرة أخرى قيم وفضائل الحرية والمساواة والإخاء والعدل والإنصاف والتضامن والتسامح والاعتدال واعتماد منطق العقلانية والعلم وسمو الأخلاق» وهي جميعها تشكل منظومة أخلاقية كاملة ومتكاملة، كما أنها تعبر لكل من تأمل في حقيقتها ومضامينها عن قيمة وفضيلة «الوسطية» كقيمة مثلى سعى الإسلام إلى الدعوة إلى تمثلها وتحقيقها في كل المجالات، حتى إن الله تعالى قد أشاد بأمة الإسلام لكونها أمة وسطا، قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾.(12) وهذا ما أكد عليه جلالته عندما قال في رسالة بعث بها إلى خادم الحرمين الشريفين بمناسبة حلول العام الهجري الجديد 1421 :

«... وإذا كان تاريخ المسلمين قد اعتراه ما يعتري كل تاريخ من أطوار وتقلبات فإن نهضة المسلمين في هذا العصر لتؤذن بمشيئة الله بتجديد حياتهم وتنمية مجتمعاتهم وبناء وحدتهم واستكمال مقومات سيادتهم وعزتهم وكرامتهم والإسهام في توطيد دعائم السلام والحوار بين الحضارات والتعايش بين الأمم لتحقيق قيم «الوسطية» التي هي قوام الإسلام وجوهر رسالته من تسامح واعتدال وعدل وإنصاف».

□ **الدعوة إلى حوار إسلامي / مسيحي مثمر:**

تعتبر قضية الحوار بين الإسلام والمسيحية من القضايا الجوهرية في علاقات الإسلام بباقي الديانات في عصرنا الراهن، وقد جاءت الدعوة إلى الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم من خلال المبادرة إليه من جانب المسلمين مما يعني أنه يجب على المسلم أن يكون أكثر حرصا عليها من الآخر، قال تعالى : ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾.(13)

وبصفته أميرا للمؤمنين فقد حرص جلالة الملك حفظه الله أثناء لقائه بقداسة البابا(14) على إثارة موضوع الحوار الإسلامي - المسيحي في واقعه الراهن وما يتطلبه تفعيله وتعزيز آلياته من حرص أكيد من الطرفين الإسلامي والمسيحي على الانتصار للقيم الدينية النبيلة التي تشترك الديانتان السماويتان في الدعوة إليها وحمايتها، يقول جلالته : «وقد حرصنا خلال لقائنا بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني على تأكيد إرادتنا الراسخة كأمير للمؤمنين في العمل سويا مع قداسته من أجل تعايش الديانات

12) سورة البقرة، الآية: 143.
13) سورة آل عمران، الآية : 64.
14) كان ذلك يوم الخميس 13 أبريل 2000، وبعد سبعة أشهر من ذلك (11 نونبر 2000) بعث جلالته حفظه الله برسالة خطية إلى سماحة البابا قام بتسليمها إليه الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وكل هذا يدل دلالة قوية على مستوى اهتمام جلالته بقضايا الحوار الإسلامي - المسيحي.

السماوية والحوار المثمر بين الإسلام والمسيحية ضمن كلمة سواء لا نعبد فيها إلا الله وننتصر فيها لقيمها النبيلة القائمة على الحرية والسلام والعدل والفضيلة».

إن الإشارة الملكية السامية إلى الحوار المثمر بين الإسلام والمسيحية ضمن كلمة سواء يفهم منها أن بدء الحديث والحوار بمواطن الاتفاق طريق إلى كسب الثقة وفشو روح التفاهم والتعاون، وإذا كان الغرب المسيحي الذي هو طرف في الحوار مع الإسلام كدين وحضارة يرتكز على رصيد ديني من أصول وتعاليم النصرانية فإن الاهتمام بنقاط الاتفاق وتقريرها يفتح آفاقا من التلاقي والقبول والإقبال، وقد كان الإسلام سباقا إلى تقرير هذا الأسلوب من الحوار مع الآخر، إنه أسلوب قرآني يتحدد على وجه الخصوص في حوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قال تعالى : ﴿**وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون**﴾.(15)

وللإشارة فإن اجتماعات المجمع الفاتيكاني الثاني ما بين 1962 و 1965 قد نجم عنها توجه جديد لدى الكنيسة الكاثوليكية في العلاقات مع الإسلام، وكان للمقررات التي أصدرها هذا المجمع الأثر الحاسم في إيضاح موقف الكنيسة من الإسلام والمسلمين حيث جاء ما يلي : «تنظر الكنيسة باحترام شديد إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد، وهم يسعون جهدهم في الالتزام بنصائحه ووصاياه والخضوع لها بكل حوار مهم.. إلا أنه وبعد حدوث خلافات وعداوات على مر العصور الماضية بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع المقدس يهيب بالجميع ترك الماضي جانبا، ويحثهم على بذل الجهود للمزيد من التفاهم والعمل المشترك من أجل حماية التقدم والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية».(16)

بيد أن الإشكال القائم في هذا السياق يتمثل في كون الغرب لايعتمد على مرجعية الكنيسة ومجامعها، إذ أن القطيعة الحاصلة بين الغرب المادي والكنيسة النصرانية تحول دون تطبيق قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني وقرارات مجلس الكنائس العالمي، فنلاحظ من جراء ذلك دعوات ونداءات كنسية - سواء كانت رسمية أو فردية - إلى التسامح والتفاهم والتعايش مع المسلمين تقابلها هجمات شرسة وحملات مغرضة ضد الإسلام والمسلمين يفرزه الكيان الغربي بجميع مؤسساته الإعلامية ومنظوماته الفكرية، وهو ما ينجم عنه تكوين صورة سلبية عن الإسلام موغلة في تشويه حقائقه وتمييع قيمه ومثله، والازدراء بتعاليمه ومبادئه مما يستوجب القيام بتصحيح الصورة وتلميعها، وهو مانبه عليه جلالة الملك محمد السادس نصره الله في إحدى خطبه.

□ تصحيح صورة الإسلام لدى الآخر :

لا يخفى على كل متتبع لطبيعة العلاقات بين الإسلام والغرب أن حملات التشويه والتمييع الإعلامية التي توجه ضد الإسلام والمسلمين قد أضحت ذات أثر بالغ في تكوين صورة سلبية موغلة في الاستخفاف بالإسلام وقيمه ومثله، ولا يجادل أحد في كون وسائل الإعلام الغربي لها من الفعالية والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد بالغين للتصديق والاستيعاب السريع لكل المعلومات الخاطئة والمغلوطة التي تلصق بالإسلام والمسلمين، ولما كانت مثل هذه الصور السلبية والمشوهة تحتاج إلى تصحيح وتحسين، فقد دعا جلالة الملك

15) سورة العنكبوت، الآية : 46.

16) *Michel Pelong : Deux Fidélités, une espérance, Chrétiens et Musulmans aujourd'hui - Paris 1979 p 140.*

نصره الله إلى ضرورة القيام بتصحيح الصورة لدى الآخر والعناية ببيان حقيقته السمحة والمعتدلة، يقول جلالته في خطاب العرش لعام 2000: «وباعتبارنا أميرا للمؤمنين فقد أولينا عناية خاصة لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخر وبيان حقيقته لدى الآخر وبيان حقيقته السمحة المعتدلة والسلمية».

إن مما لا شك فيه أن نصرة قضايا الإسلام وما يرتبط بها تعتبر في عصرنا الراهن من آكد الواجبات، وتأتي قضية تصحيح صورة الإسلام في الغرب ضمن أولى الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها وبذل الجهود من أجل تحقيقها، وهو ما يمكن أن يتأتى من خلال العمل على استمرار الحوار مع الغربيين من أجل تبديد الصورة المشوهة عن الإسلام، وتصحيح المفاهيم الخاطئة العالقة في أذهانهم، وذلك من خلال إبراز سماحة الإسلام وسمو مبادئه، ونبل تعاليمه، وبعده كل البعد عما يلصق به من تهم مكذوبة وأراجيف مختلقة واقتراحات وطعون بالغة الازدراء بتعاليم الإسلام ومبادئه.

وإذا كنا نلاحظ بعض مظاهر التغيير إلى الأحسن فيما يتعلق بالصورة الخاطئة عن الإسلام كما كونها وميعها الغرب بكل مؤسساته الإعلامية والثقافية فإن ذلك لن يعفينا معشر المسلمين من البحث عن سبل تصحيح صورة الإسلام في العمل على إيجاد طرق تحسين وتلميع تلك الصورة التي طالها التشويه والتزييف لعقود عديدة. ويبدو هذا الأمر في الوقت الراهن من الأمور الواجبة المفروضة على كل من استأنس من نفسه القدرة على المساهمة في عملية التصحيح والتحسين، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن الأمر قد أضحى فرض كفاية لابد أن يقوم به بعض ذوي الغيرة من مفكري الإسلام المؤهلين لذلك.

ولا شك أن من أكبر دواعي استمرار وتمادي الإعلام الغربي في تهجمه وتشويهه لصورة الإسلام هو سكوتنا ولزومنا للصمت حيال مختلف الحملات التمييعية ضد الإسلام.

إن ما دعا إليه جلالته من وجوب الاعتناء بمسألة تصحيح صورة الإسلام لدى الآخر يعتبر مطلبا ملحا له مسوغات عديدة:

* فنحن أمة رسالة ولا ينبغي أن نيأس من تبليغها للآخرين، ولابد من تمهيد السبيل لذلك بتصحيح الأخطاء والرد على المغالطات وبيان حقائق الإسلام السمحة والمعتدلة والسلمية وتبديد معالم الصورة المشوهة من جهة أخرى.

* إن الصورة المسيئة للإسلام تضر بمصالح الأمة الإسلامية في الغرب ذاته وفي العالم أجمع، فلا مناص إذن من العمل على تلميع الصورة بشكل يخدم تحقيق تلك المصالح.

* هنالك في الغرب أصوات منصفة ومؤشرات مشجعة على تصحيح صورة الإسلام، فمن جهة أولى هناك رغبة أكيدة في معرفة الإسلام ومحاولة فهمه، ومن جهة ثانية هناك بعض كبار المسؤولين الغربيين من ساسة وحكام وغيرهم يعبرون من حين لآخر عن سماحة الإسلام وسمو حضارته، ويمكن أن تكون لهذه الأصوات والمواقف المعتدلة تأثير على الجهات التي تعمل على خلق صورة مشوهة عن الإسلام. ومن أجل تحقيق مهمة تصحيح صورة الإسلام لدى الآخر لابد من التفكير في سبل إعداد أكبر عدد من العلماء والأساتذة الجامعيين والمفكرين المؤهلين للقيام بمهمة التعريف بالإسلام وبيان حقائقه الناصعة وتصحيح صورته الحقيقية.

هذه إذن تأملات ونظرات في بعض قضايا الحوار الحضاري انطلقنا في تحليلها وإجمال القول فيها من بعض

أقوال وخطب جلالة الملك محمد السادس نصره الله خلال السنتين الفارطتين، وهي قضايا ذات أهمية بالغة بالنظر إلى كون لقب «أمير المؤمنين» يدل على الطبيعة الدينية للنظام السياسي بالمغرب، وتتجسد دلالته في ما يقتضيه هذا اللقب الديني من مسؤوليات في مختلف المجالات لعل أبرزها مسؤولية رعاية قضايا الحوار الحضاري، وبذلك يكون جلالته حفظه الله سائرا على درب والده المنعم الذي كان رحمه الله خلال العقود الأخيرة أبرز القادة في تحمل عبء تفعيل وتعزيز قضايا الحوار الحضاري مع الغرب والنهوض بمتطلباته وأعبائه.

فاس – حسن عزوزي

الحسن الثاني وفكرة اتحاد المغرب العربي

نظرات في المبادئ والأسس

الدكتور محمد الروكي
كلية الآداب - الرباط

يعتبر الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله من أبرز رجالات القرن العشرين، وقمة شامخة من قمم إفريقيا الحديثة، يدل على ذلك فكره المحفوظ، ومآثره الخالدة الشاهدة، ومنها : فكرة اتحاد المغرب العربي التي نبعت من صميم فكره، واستخلصت من عمق بحره، وانطلقت بسياسته الراشدة، وتأسست بحكمته الرائدة، تترجم شعوره النبيل، وتبلور تفكيره المغربي الأصيل.

وفيما يأتي عرض لأصول المبادئ والحقائق العامة التي انطلقت منها فكرة اتحاد المغرب العربي،واستحضار للأسس والمقومات التي قام عليها هذا الاتحاد.

أولا- حقائق ومبادئ انطلقت منها فكرة الاتحاد :

إن الأمة العربية الإسلامية إنما كان لها ما كان من المجد والعز والشموخ الحضاري، لأنها كانت قوية البناء، محكمة الصياغة، محصنة من الداخل والخارج. وهذه القوة والإحكام والتحصن، مصدرها : الوحدة والتماسك والتراص؛ فلم تكن الأمة العربية إلا بهذه الوحدة، ولم تقم لهذه الأمة قائمة إلابهذه الوحدة، فهي بها كانت كل شيء، وهي من دونها لم تكن شيئا، والأمة العربية الإسلامية حينما تعيش وتحيى في ظل الوحدة، فإنها تحقق ذاتها وحقيقتها وهويتها، فينبثق عن ذلك العطاء الحضاري الدافق، والبناء الإنساني السامق.

إن وحدة الأمة الإسلامية إرث حضاري قديم أصيل مكين، له امتداد زماني ومكاني عريق، وتأخذ فيه حلقات الأنبياء بعضها بحجز بعض، يؤكد ذلك ويقرره قول الحق سبحانه بعد أن حكى جملة من قصص الأنبياء وأخبارهم وتجاربهم مع أقوامهم : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون﴾(1) فوحدة الأمة الإسلامية أوسع وأرحب مكانا وزمانا وإنسانا، وأقوى عناصر هذه الوحدة ومقوماتها الأساسية : وحدة الدين، فليس في الوجود

1) سورة الأنبياء، آية : 92.

شيء تتحقق به هذه الوحدة، وتجتمع عليه الأمة قلبا وقالبا، إلا دين الله عز وجل، فهو الذي تنصهر في قيمه القلوب، وتذوب في مضامينه المشاعر، وتمحي في محتوياته ومفاهيمه الأهواء والشهوات، ومن ثم كانت وصية الله لأنبيائه ورسله جميعا هي : ﴿**أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾.(2) وإقامة الدين هي التمكين له وترسيخ قيمه ومضامينه وأحكامه، حتى يكون قائما في النفس والواقع، حاكما للحياة، وكل ذلك لا سبيل إليه إلا عن طريق وحدة الأمة، وتوحيد جهودها وإمكاناتها المادية والمعنوية، ومثل هذه الوصية الربانية العامة، قوله تعالى يخاطب الجيل الأول من الأمة العربية الإسلامية : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾.(3) لأن قوة الأمة في الاعتصام بحبل الله ودينه. وضعف الأمة ووهنها وذلها في تفرقها وتمزقها، لذلك فإنه عز وجل يذكر المخاطبين بما كانوا عليه في ماضيهم الجاهلي من تآكل وتمزق، وتشتت وتفرق، حتى كانوا طعمة سائغة للأعداء، قال سبحانه : ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...**﴾(4) فالتفرق والتمزق ينتج العداء، ويورث الشقاق والحرب، والاجتماع والاتحاد والاتفاق ينتج الأخوة والتحاب والسلام. والآية امتنان من الله على هذه الأمة بإخراجها مما كانت فيه من نزاع وعداء، إلى أخوة وألفة ووفاق، قال العلامة الطاهر بن عاشور التونسي في تفسير الآية : «والخطاب للمومنين وهم يومئذ المهاجرون والأنصار وأفراد قليلون من بعض القبائل القريبة، وكان جميعهم قبل الإسلام في عداوة وحروب، فالأوس والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة، ومنها كان يوم بعاث، والعرب كانوا في حروب وغارات، بل وسائر الأمم التي دعاها الإسلام كانوا في تفرق وتخاذل، فصار الذين دخلوا في الإسلام إخوانا وأولياء بعضهم لبعض لايصدهم عن ذلك اختلاف أنساب، ولا تباعد مواطن، ولقد حاول حكماؤهم وأولو الرأي منهم التأليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم، بأفانين الدعاية من خطابة وجاه وشعر، فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام، فصاروا بذلك التأليف بمنزلة الإخوان».(5) هذه إذا هي الوحدة الحقيقية الجامعة الشاملة، وحدة الدين والعقيدة والشريعة، بها ينتظم شمل الأمة، وبها يؤلف الله بين القلوب والعقول : ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم**﴾(6) وهذه الوحدة مطلوبة من الأمة، وواجب عليها الأخذ بأسبابها، وتحقيق مضمونها حتى وهي في حالة قتال الأعداء ومقاومة عدوانهم، قال عز وجل : ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**﴾،(7) لأن الأمة حينما تكون متحدة، صفا واحدا مرصوصا محكم البناء، فإنها تقوى إلى حد لا يستطيع العدو أن ينال منها، والعكس بالعكس؛ فإذا اختل صفها وضعف بناؤها، وساد فيها الاختلاف

2) سورة الشورى، آية : 13.
3) آل عمران، آية : 103.
4) آل عمران، آية : 103.
5) التحرير والتنوير ؛ 4/ 33.
6) الأنفال، آية : 63.
7) الصف، آية : 4.

والنزاع، أصابها الوهن، وكانت أسهل على العدو أن ينال منها ما يريد، لذلك قال الله تعالى ناهيا عن ذلك : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.(8)

على أن الأمة لاتستفيد من هذه الوحدة إلا إذا كانت وحدة حقيقية شاملة، تستوعب البناء الداخلي والخارجي للأمة، وحدة قلبية فكرية عددية، لأن من شأن الوحدة التي من هذا الحجم وبهذه الطبيعة أن ترتقي بأبنائها إلى مستوى الأخوة، ثم إلى التعاون على بناء الذات وصياغة محتواها الحضاري، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾،(9) وقوله سبحانه : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾،(10) وهذه المعاني القرآنية لوحدة الأمة تؤكدها السنة النبوية في نصوص كثيرة، منها قول النبي : «المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه».(11) ومنها أيضا قوله : «مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».(12) ومنها قوله : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».(13)

والوحدة بهذا المعنى الذي قدمناه، هي الوضع الطبيعي الذي يجب أن تكون عليه الأمة العربية الإسلامية، حتى إن خطاب الله الذي يحمل التكليف الشرعي لها، جاء بصيغة الجماعة، لا بصيغة الواحد، فعبارة : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هي الصيغة التي تلقت بها الأمة عن ربها شرعه وأحكامه بواسطة نبيه ، ثم إن هناك قسما عريضا من هذه الأحكام الشرعية قد جعل منوطا بجلب المصالح العامة لهذه الأمة، ودرء المفاسد العامة عنها، وهو القسم الذي يندرج في التكليف الجماعي الكفائي، وهو الذي يقابل التكليف الفردي العيني، وقد غلب على الفقهاء وعلماء الأصول أن يبحثوه في الواجب الكفائي، وإنما ذلك من باب التغليب والتعبير عن الشيء وبأغلب ما يستعمل فيه، وإلا فكما أن هناك واجبات كفائية، تخاطب بها الأمة كلها فكذلك هناك محرمات كفائية تخاطب الأمة كلها بالأمر بتركها، فإذا حصلت الكفاية في ذلك بقيام بعضها به، سقط التكليف عن باقي الأمة، ومثل ذلك يقال في المندوبات والمكروهات، وذلك لأن هذه الأحكام إنما تدور عللها ومقاصدها على جلب المصالح والمنافع للعباد، ودرء المفاسد والمضار عنهم، وهذه المصالح والمفاسد منها ما هو عام مرتبط بحياة الأمة وكيانها الجماعي، لا بفرد أو أفراد. فهذا النوع العام، تحصيله شركة بين أبناء الأمة، والخطاب الشرعي فيه جماعي، يستلزم التعاون على تطبيقه لتحصل الكفاية المطلوبة فيه، وكل ذلك يؤكد أن وحدة الأمة مطلوبة وضرورية حتى في إقامة دينها والالتزام بأحكامه الشرعية، لأن هذه الوحدة هي التي تقوي الأمة وتمكنها من أن تستفيد من كل مالها من قدرات وإمكانات، وهي التي ترسخ وجودها في التاريخ، وتدفعها نحو التي هي أقوم، وترفعها نحو المرتقى الصاعد والقمة الحضارية السامقة، وهذا هو الذي جعل الأعداء الحاقدين يتآمرون عليها لنسف وحدتها، ومحو مقومات

8) الأنفال، آية : 46.
9) الحجرات، آية : 10.
10) المائدة، آية : 2.
11) متفق عليه في حديث أبي موسى الأشعري.
12) متفق عليه، عن النعمان بن بشير.
13) أخرجه الحاكم في المستدرك : 4/ 317. والهيثمي في مجمع الزوائد : 10/ 248.

ذاتها، عن طريق المخططات الإعلامية الماكرة، والنحر الاقتصادي المجرم، والقتل السياسي الرهيب، والغزو الفكري والثقافي والاجتماعي الماحق، لذا وجب على الأمة العربية الإسلامية أن تعود إلى رشدها ووعيها بذاتها وواقعها وموقعها، وأن ترجع إلى وضعها الطبيعي الذي كانت تتبوأ فيه وبه منزلة الإمامة والشهادة على الناس، ووضعها الطبيعي هو وحدتها وتماسكها.

إن هذه الحقائق، وهذه المبادئ كانت حاضرة راسخة في ذاكرة الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله، ماثلة بين عينيه، ومن صميمها تكونت عنده فكرة اتحاد المغرب العربي، وفي ضوئها تم تأسيسها النظري، وتنزيلها العملي في العقود الأخيرة من القرن الذي طويناه، فكان ذلك نفحة من نفحات فكره الثاقب المشرق، ومأثرة من مآثره الحسنية، سجلها تاريخ المغرب الحديث بمداد الفخر والاعتزاز.

نعم إن ما عرفته منطقة اتحاد المغرب العربي من اتحاد عربي إسلامي مبارك، لهو خطوة رائدة نحو البناء الحضاري، والعودة بالأمة إلى سابق مجدها وقوتها، والسير بها نحو صحوتها الحضارية الراشدة، ونهضتها الإنسانية الراقية، ثم إنه في ذات الوقت يعتبر انبعاثا حقيقيا لوحدة المغرب العربي الإسلامي التي رسخت جذورها في التاريخ، وثبتتها أسس قويمة ركينة، ما أحرانا اليوم باستحضارها ونفض الغبار عنها، وتمثلها في سبيل تقوية هذه الوحدة وتجلية معالمها وملامحها، وتعميق مضمونها حتى تبقى راسية شامخة.

ثانيا - أسس ومقومات قام عليها الاتحاد :

إن هذه الأسس والمقومات التي قامت عليها فكرة اتحاد المغرب العربي، ودعا إلى بنائها وتأسيسها الفكر الحسني الوقاد، هي مستمدة من تاريخ المغرب العربي، وجذور روابطه الحضارية العريقة. وفيما يأتي عرض لأصولها وقواعدها الكبرى :

الأساس الأول - وحدة المذهب المالكي :

لقد انتظم شمل المسلمين في الغرب الإسلامي عامة، في دائرة المذهب المالكي الذي نقله علماء هذه المنطقة عن الإمام مالك وكبار تلامذته وأئمة مذهبه، وذلك عن طريق الرحلة إليه وإليهم بالحجاز لأخذ العلم والفقه، فتفقهوا به، واستوعبوا أصوله وقواعده وفروعه، وصاروا أئمة فيه يقتدى بهم، ويؤخذ عنهم، ورسخوا دعائم الفقه المالكي تصنيفا وتدريسا وقضاء وإفتاء ومناظرة، حتى غلب عليهم اتباعه والالتزام به دولة ومجتمعا، ولم يكتب لغيره من المذاهب البقاء والرسوخ والسلطان كما كتب له. ويهمنا من هذا أن المغرب العربي داخل هذه الدائرة الكبرى - دائرة الغرب الإسلامي - قد أخذ حظه من الانسجام والتماسك والالتئام بسبب وحدة المذهب الفقهي الذي كان يضبط أمورهم ويحل مشاكلهم، ويقضي في نوازلهم، ويستوعب حوادثهم، في العبادات، والعادات، والمعاملات، والسياسة الشرعية، وغير ذلك من شؤون الدين والدنيا. وبذلك كان للمذهب الفقهي المالكي بهذه المنطقة، أثر عميق في بناء الوحدة الإسلامية العربية، وحفظها وإدامتها والتمكين لها واستقرارها.

الأساس الثاني - وحدة العقيدة الأشعرية :

يعتبر أبو الحسن الأشعري (ت: 334هـ) خطيب أهل السنة، والمدافع عن عقيدتهم، والمنظر لها في حلقات درسه ومناظراته ومؤلفاته، وقد كتب لفكره العقدي أن ينتشر في بقاع كثيرة من العالم، وتمذهبت به جماعات كثيرة من

المسلمين شرقا وغربا، وذلك لما عرف به من الوسطية والاعتدال في عرض القضايا العقدية، ومنهج التعامل معها، والجمع في ذلك بين المنقول والمعقول.

وبرغم ما قد يمكن أن يغمز فيه وينسب إليه من هنات، فقد كانت له آثار حسنة، أهمها : أنه كان له الفضل في جمع شمل الأمة الإسلامية من حيث أصول فكرها واعتقادها، في كثير من أجزائها وأطرافها، ولا سيما شمال إفريقيا المسلمة، فقد وحدتها العقيدة الإسلامية المصوغة بالفهم الأشعري وأصوله وقواعده، توحيدا كانت له نتائج حسنة على حياة الأمة، الفكرية والعقدية، ثم على مستوى حياتها العملية. ومن ثم ظل المسلمون من أبناء المغرب العربي طوال هذه القرون متوحدين في أصول عقيدتهم، متفقين في قواعد تصوراتهم الاعتقادية، مما يسر عليهم التواصل الفكري، والتفاهم العقلي الجدلي في التنظير لأصول الدين.

الأساس الثالث – وحدة المنزع الصوفي :

العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتربية الصوفية، ثلاثية متكاملة متلازمة، كونت البناء المنهجي الذي سار عليه المسلمون في المغرب العربي قرونا طويلة في مجال التربية والتعليم، وإعداد المتعلمين، وتخريج العلماء، وهو منهاج محكم مرصوص، يأخذ فيه المتلقي المتعلم، حظه من التربية العقلية والقلبية معا، فتلتقي الأصول والفروع، وتجلياتها السلوكية، ونفحاتها الربانية، وقد درج عليه المسلمون من أبناء المغرب العربي عامة، تدريسا وتأليفا وتربية، وغالبا ما كانوا يلتزمون في أصول التربية الصوفية الروحية وقواعدها بمذهب أبي القاسم الجنيد (ت: 297هـ)، حتى إن صاحب المرشد المعين نظم ذلك فقال:

في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك

وعلل الشيخ ميارة الفاسي اختيار طريقة الجنيد بأنه إمام الصوفية وقدوتهم علما وعملا، وأن التصوف عنه انتشر، وأن طريقته خالية من البدع.(14)

وسواء اتحد المذهب الصوفي أو لم يتحد، فالذي يعنينا أن طلب العلم واجتياز مراحل التعلم والتلقي، كان يتوج بالتربية القلبية الإيمانية الربانية التي أطلق عليها «التصوف»، وسميت قواعد ذلك ومسائله بعلم التصوف، فالمنزع الصوفي والتوجه الصوفي قاسم مشترك بين أبناء المغرب العربي في تاريخهم التربوي الإسلامي العريق.(15)

الأساس الرابع – وحدة اللغة العربية :

لم يكد ينتهي القرن الهجري الأول حتى انتشر الإسلام في المغرب(16) بكل أجزائه وأطرافه، وتعلم أبناؤه اللغة العربية، لغة القرآن والسنة، حتى حذقوها، وأنشأوا بها الخطب والرسائل، ونظموا بها الشعر، وأبدعوا بها مختلف أنواع الأجناس الأدبية، فصار منذئذ يحق له أن يسمى بالمغرب العربي المسلم. فكما أن الإسلام وحد بين أطرافه، وألف بين قلوب أبنائه، فكذلك اللغة العربية كان لها فضل في توحيد هذا الجزء الكبير من شمال إفريقيا، وأثر بالغ في تعميق التفاهم والتواصل الفكري والثقافي والاجتماعي، وبناء حضارة عربية إسلامية متكاملة متناغمة يشد بعضها بأصرة بعض، ويزداد بعضها ببعض جمالا وجلالا، ورفعة وكمالا.

14) وقيل توفي سنة 331هـ. ويبدو أن سنة وفاته غير مضبوطة، لذلك عبر كثير من المترجمين له بقولهم : توفي في نيف وثلاثين وثلاثمائة.
15) شرح ميارة على المرشد المعين : 1/ 16.
16) لفظة المغرب تطلق عند المتقدمين على ما يسمى الآن بالمغرب العربي، وقد تطلق أيضا على ما يسمى بالغرب الإسلامي.

الأساس الخامس – وحدة الجهاد والمرابطة :

كما وحدت اللغة العربية بين أبناء المغرب العربي، وفتقت مواهبهم وملكاتهم الأدبية والثقافية والعلمية، وصهرهم الإسلام بقيمه ومبادئه وأحكامه، فقد وحدهم أيضا الجهاد والمرابطة في سبيل الله، من أجل حفظ الدين من الخارج، والدفاع عن حرمته، والذود عن حوزته وبيضته، وقد أبلوا فيه بلاء حسنا، وبرهنوا على شهامتهم وبطولتهم وغيرتهم على دينهم ومقدساتهم. وكما كان سلفهم في ذلك كان خلفهم أيضا، فمن منا لا يستحضر بطولات الخلف الصالح في الدفاع عن الدين ورد اعتداء المحتل الغاصب من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها، ومن منا لا يذكر البطولات المشرقة التي كانت بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، والزعيم المحنك عمر المختار، والقائد الباسل عبد الكريم الخطابي، وغيرهم من أعلام المغرب العربي وأبطاله.

فالجهاد في سبيل الله، وما يتبعه من الإعداد والمرابطة والتجند والتجنيد، كل ذلك كان روحا تسري في جسم هذا البناء الجماعي المتين (المغرب العربي)، فتؤلف بين أجزائه، وتوحد عناصره، وتصهرها صهرا.

الأساس السادس – الوحدة التاريخية :

الناظر في تاريخ المغرب العربي المسلم – ولا سيما التاريخ السياسي –يجد أن هذا الإقليم من شمال إفريقيا، عرف أحداثا سياسية متقاربة، ومر بفترات وحقب متشابهة في السراء أو الضراء، والشدة أو الرخاء، والمد أو الجزر، والاستقرار أو التقلب، بل إنه كان من حين لآخر تحكمه سياسة واحدة، ويخضع كله أو جله لقيادة واحدة وحكم واحد، كما كان ذلك ردحا من الزمان في دولة المرابطين والموحدين وغيرهما، فتاريخ هذا الإقليم – إذا – واحد إذا انصرفنا إلى الكليات وغضضنا عن الجزئيات، وقد كان لهذه الوحدة التاريخية السياسية أثر بالغ في تلاحم هذا الإقليم وتماسكه، إلى الحد الذي كان يعتبر فيه جسما واحدا، وبناء واحدا، وذاتا واحدة.

الأساس السابع – وحدة العادات :

هذا أساس آخر من أسس الوحدة التي رسخت في هذا الإقليم منذ فجر إسلامه واستعرابه، وهو وحدة العادات والأعراف الاجتماعية العامة، وأنماط العيش وأساليب الحياة. ومنشأ ذلك: التقارب الجغرافي، والتشابه الكبير في طبيعة المناخ العام، فضلا عن وحدة الدين واللغة. لأن العادات إنما هي نتائج وآثار لممارسات معينة، فإذا ما رست جماعة ما، دينا ولغة لمدة من الزمان، نتج عن ذلك عادات وتقاليد وأعراف تبلور مفاهيم ذلك الدين وقيمه ومبادئه، وتترجم دلالات تلك اللغة ومخزونها الحضاري. والمغرب العربي المسلم، منذ أن جمعه الإسلام، ووحدته العربية، سار في حياته سيرا واحدا راشدا، وبنى حضارة واحدة سامقة، وانعكس ذلك على الحياة الاجتماعية، فجاءت متحدة في العادات، متشابهة في الأعراف والتقاليد الإسلامية العربية. ومن أبرز الأمثلة في ذلك : تشابه عاداتهم في الزواج، وفي تربية الأولاد، وطرائق التأديب والتعليم... ومنها : اتفاقهم في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وهي ظاهرة اجتماعية حدثت عندهم بعد القرن الرابع الهجري، تدل على تعلقهم جميعا بالنبي وحبهم له، وإحيائهم لسيرته وشمائله وأخلاقه... ومنها: تشابه عاداتهم في البيوع، وتقارب مكاييلهم وموازينهم... وغير ذلك مما يدل على وحدة الذات، ووحدة البناء الاجتماعي العريق الأصيل.

الأساس الثامن – وحدة القراءة القرآنية :

ذلك أن القراءة الغالبة على أبناء هذه المنطقة منذ أن رسخ فيهم الإسلام، وتعلموا القرآن، ودأبوا على تلاوته وتفسيره، هي قراءة الإمام نافع المدني (ت: 169هـ)، برواية ورش المصري (ت: 197هـ)، وقالون (ت: 220هـ). وإلى جانب ما كان لاتحاد مأخذ القراءة ومصدرها من تجليات في ترسيخ الوحدة وتعميقها، فقد كان لذلك أيضا أثر بالغ في حفظ هذه القراءة السبعية بروايتيها،(17) في العلم الإسلامي.

الأساس التاسع – وحدة العلم :

لايخفى على الناظر في تاريخ المغرب العربي أن طلب العلم وتحصيله والعكوف عليه تدريسا وتأليفا، كل ذلك كان هما واحدا عند أبنائه، وشركة بين حكامه وقادته، فالكل شجع عليه وفتح أبوابه، وأمد بأدواته ولوازمه، وأعان على سلوك طريقه، حتى أعطى هذا الإقليم من شمال إفريقيا فقهاء مجتهدين، وعلماء مضطلعين في القرآن والسنة والتوحيد، وغير ذلك من علوم الشريعة، وعلماء بارعين في الطب والصيدلة والفلك والجغرافيا والفلسفة والرياضيات، وغير ذلك من العلوم البحتة والعلوم العقلية..، وأمثلة ذلك من الأعلام والأسماء أكثر من أن تحصى. فالعلم – إذا – كان له أثر بالغ في توحيد هذه المنطقة العريقة، ولا سيما والإسلام يدعو إليه ويحث عليه، بل وهو في أمره كله قائم عليه.

الأساس العاشر – وحدة الثقافة والأدب :

وكما أن للعلم أثرا بالغا في توحيد أبناء المغرب العربي، فإن للأدب بشعره ونثره أثرا في هذا التوحيد أيضا، كما أن للثقافة الإسلامية التي نبتت في بيئة إسلامية، وغذتها قيم الإسلام ومبادؤه وآدابه ومكارمه، أثرا بالغا أيضا في تدعيم هذه الوحدة العربية الإسلامية طوال تاريخ المغرب العربي المسلم؛ فالأدب بهذه المنطقة متقارب الأهداف، متشابه الأغراض، متفق في الصياغة والبناء والهيكل العام، متحد في الرسالة والوظيفة. كما أن الثقافة بهذه المنطقة طوال تاريخها واحدة في أصولها ومشربها، واحدة في سماتها ومضمونها وقيمها، فقد ظلت ثقافة عربية إسلامية تعكس الحياة الإسلامية، وتبلور الحضارة الإسلامية، وتعبر عن القيم الإسلامية والفكر الإسلامي القويم السديد الأصيل.

تلك – إذا – عشرة كاملة، رسخت الوحدة الإسلامية في المغرب العربي منذ فجر إسلامه...، وتلك أسس قام عليها بناء الحضارة الإسلامية العربية بهذا الجزء العريض من شمال إفريقيا. فلا جرم أن ما أسسه الفكر الحسني من معلمة اتحاد المغرب العربي هو امتداد للحقائق والمبادئ السابقة، وتعميق لتلك الأسس والمقومات السامقة، وما أحوجنا اليوم إلى استرجاعها وتمثلها، وما أجدرنا بالوعي بها، وإحياء ما انطمس منها، واندرس من معالمها، فأصولها ما زالت قائمة، وجذورها ما انفكت ثابتة، وما أعطته من تراث حضاري زاخر، ما زال حاضرا فينا، شاهدا علينا بما كنا عليه وما صرنا إليه. فالعودة الراشدة إلى الوحدة الحقيقية الشاملة، هي الطريق الطبيعي لتمتين الذات وتحصينها من ضربات الأعداء.

الرباط – محمد الروكي

17) رواية ورش وقالون عن نافع، هما اللتان اشتهرتا في بلاد المغرب العربي، ولهما طرق كثيرة.. ثم إن هناك روايات أخرى عن نافع منها : رواية إسماعيل بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري، ومنها : رواية المسيبي المتوفى سنة : 206هـ.

مميزات الحكم في المغرب
أستلهاما من شخصية سيدي محمد بن عبد الله العلوي

للأستاذ عبد الحميد محيي الدين الباعمراني
كلية اللغة العربية - مراكش

المتأمل في مسيرة الدولة العلوية المجيدة، منذ نشأتها إلى عهد أمير المومنين الحسن الثاني، يستخلص أن الدولة المغربية تنطبع بشخصية ملوكها، وتتأثر بمختلف الجوانب التي تمتاز بها شخصية كل ملك. والباحث في تاريخ هذه الأسرة العلوية لا يعدم نماذج متعددة تصلح للاهتداء بها، واتخاذها قدوة في هذا المجال، ولعل السلطان المولى محمد بن عبد الله من هذه النماذج التي نستعيد بتاريخها أمجاد المغرب، ونستمد العناصر المساعدة على التطور العلمي والأدبي في مستقبل الدولة، دون أن تنالها أسباب التقاعس، والاكتفاء بالتاريخ التليد الذي يعتبر رافدا قويا للاستمرار والتألق، والمحافظة على شباب الدولة، كما أرادها أمير المومنين محمد السادس أدام الله شبابه.

وعلى سبيل المثال، كما سبقت الإشارة، نقف عند شخصية السلطان محمد الثالث باعتباره يمثل حياة المغرب، أكثر من ثلاثة عقود (1171 - 1204 هـ / 1757-1790م). فقد كانت الدولة مطبوعة بسيرة هذا السلطان العالم المتبصر، الذي كان يعالج أمورها الداخلية والخارجية بالحكمة، ويسوسها بالمعرفة والتدبير، ويوجهها الوجهة السليمة التي لم يكن نفعها مقتصرا على الدولة، بل كان يعود كذلك على الأطراف الخارجية من دول العالم، وهذا مما أكسب السلطان التقدير الذائع، والتنويه السائر، وجعل الأصدقاء والأعداء يثنون على مميزات عهده، فلا غرو إذن أن تكون صفحات تاريخه ناصعة مشرقة، بعيدة عن أن تتليد في سمائها غيوم العهد السابق خلال عهد والده السلطان مولاي إسماعيل؛ إذ قيض الله من الأسباب ما جعل أيامه منذ أن كان خليفة لوالده في مراكش إلى نهاية حكمه، مطبوعة بشخصيته المستجمعة لخصال حميدة تفرقت في غيره من الملوك؛ فإذا أخذنا جانبا واحدا من هذه الشخصية، فإنه يغنينا عن الجوانب المتعددة والمتكاملة.

وذلك الذي أتاح تكوين هذا الملك العالم، وصاغ منه نموذجا للحاكم المسلم، الحريص على مصالح رعاياه

الدينية والدنيوية، رائده ما جبل عليه من حميد الخصال، ومجيد الأخلاق، وما كان عليه من المعرفة الواسعة بأمور الحياة الدنيا والأخرى، إذ هو العالم السني، المالكي المذهب، الذي مال إلى العقيدة الحنبلية، لما رآه فيها من البساطة، وتلافي التأويل، والخوض في علم الكلام؛ ومن ثم تضافرت المصادر المعتمدة على أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ظل متمسكا بالسنة، محاربا لما يخالفها من البدع المحدثة؛ على أنه إذا كان من المنتظر أن تجد آراء السلطان صدى يناسبها، ودويا في المحافل العلمية، والأوساط الفكرية، بحيث تنعكس على اتجاهات وآراء العلماء، فإن الواقع هو أن التأثير الحنبلي في عقيدة سيدي محمد بن عبد الله، ظلت غريبة في بيئة تجذرت فيها تعاليم المذهب المالكي، وعقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، على نحو ما لخصه عبد الواحد بن عاشر في قوله :

في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك

غير أن السلطان احتفظ بالنهج الذي رسمه، وتيقن أنه الناجع، بل اتخذ إجراءات، ووقف مواقف من اتجاه علماء وقته، ومن المصادر والكتب الرائجة، خاصة في الفقه، من خلال مختصراته المخلة، يقول المؤرخ الناصري :

«ومن عجيب سيرته رحمه الله، أنه كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره، وإعراضهم عن الأمهات المبسوطة الواضحة، تضييعا للأعمار في غير طائل، وكان ينهى عن ذلك غاية النهي، ويبالغ في التشنيع على من اشتغل بشيء من ذلك، حتى كان الناس يتركون قراءة (مختصر خليل)؛ وإنما كان يحض على كتاب (الرسالة) و(التهذيب) وغيرهما مما يماثلهما».(1)

وعلى الرغم من أن تأثير الاتجاه الذي كان عليه السلطان لا يتعدى نطاقا محدودا، فإن انصراف المالكية عن بعض تلك المختصرات الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله، يبرهن على أن المغرب عرف بعض التحول عند الخاصة من الفقهاء تأثرا منهم بالسلطان العالم؛

لكن إذا علمنا أن السلطان لم يكتف بنهيه عن المختصرات الفقهية بل كان ينهى عن قراءة كتب التوحيد المبنية على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشاعرة، وكان يحض الناس على مذهب السلف في الاكتفاء بالاعتقاد المبني على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، بلا تأويل،(2) إذا علمنا هذا، أدركنا مدى ما كان ينتظر أن يكون لدعوته من تأثير في الأوساط الفقهية.

لكن المؤكد - كما سبق آنفا - أن التأثير الذي أحدثه اتجاه سيدي محمد بن عبد الله كان لا يتعدى العدول عن بعض الكتب والمختصرات الفقهية، ويبدو أن فقهاء العصر لم يكونوا على نسق واحد، ووتيرة متحدة في موقفهم من اتجاه السلطان العالم، إذ بقي بعضهم بمنأى عن مسايرته والامتثال لأمره في هذا المجال، بحيث ظلوا أوفياء لمعارفهم المستقاة من الكتب المعتمدة عندهم خلفا عن سلف.

ولم تكن معرفة السلطان العالم مقتصرة على الحد الذي لاتجيزه طبيعته الناشئة على حب كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، وما عليه السلف الصالح، وإنما كان ذا إلمام بعلوم العربية وفنونها، لا سيما في مرحلة من حياته العلمية، فقد كان يتأسف على ما فاته من العلم في شبابه،

1) انظر الاستقصاء ج: 8، ص: 67.
2) انظر نفس المصدر، والجزء ص: 68.

ويقول : «والله لقد ضيعنا عمرنا في البطالة»، حسب المؤرخ الناصري(3) الذي يذكر أن السلطان «لما فاته الاشتغال بالعلم في حال الصغر، اعتكف أولا على كتب التاريخ، وأخبار الناس، وأيام العرب ووقائعها، حتى بلغ الغاية القصوى من ذلك، فقد كان يحفظ ما في كتاب (الأغاني) للأصبهاني.

على أن الملاحظ أن الاتجاه العقدي الموما إليه آنفا، ربما كان آخر ما عليه السلطان، وهو الذي استقر عليه بعد أن جال في ميادين المعرفة الأخرى، يشهد لذلك ما ورد في تاريخه، من أنه لما ولاه الله مقاليد أمر المغاربة بعد وفاة والده، زهد في التاريخ والأدب، بعد التضلع فيهما، وأقبل على سرد كتب الحديث والبحث عن غريبها، وجلبها من كل الأصقاع، وكان يحب العلماء، ويداوم على مجالستهم ومذكراتهم، وتروي المصادر أنه كان يخصص أوقاتا مضبوطة يختار لها العلماء والفقهاء ممن كان في عصره ذائع الصيت، مشهورا بواسع معرفته،(4) وكان يستعين بأمثال هؤلاء على النظر في كتب الحديث، وعلى التأليف فيه، فوفقه الله رغم أعباء الحكم، ونظام الدولة، على تصنيف كتب مثل : الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية»، وحين كان في (مراكش) دأب على الجلوس بعد صلاة الجمعة في مقصورة الجامع محفوفا بالفقهاء، ومن يحضر من علماء (فاس) للبحث والمذاكرة في الحديث النبوي، وكان يجد نفسه في هذا الجو، بحيث يحصل له النشاط الذي لاحظه مجالسوه، مما لم يكن يحصل له في أنشطته وأعماله الأخرى.

وتمعن الأخبار في هذا الجانب من حياة السلطان، لتبرز حرصه على تقريب أهل العلم، ومصاحبة ذوي الفضل، وتذكر الروايات أمثال الفقيه العلامة المحقق (أبي عبد الله محمد المير السلاوي)، والفقيه العلامة (محمد بن عبد الله العربي الرباطي)، والقاضي الأديب (عبد الكريم ابن عبد المالك الشفشاوني)، وكأن السلطان يتمثل دعوة القائل :

إصحب ذوي الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين

ويلفت النظر هنا أن العلاقة بين سيدي محمد بن عبد الله، والقاضي الشفشاوني وطيدة ومستمرة لا تكاد تنقطع، برغبة من السلطان، حتى إن القاضي المذكور اضطر إلى الاعتذار، فنظر على ما يبدو، إلى اعتذار الشاعر (الحطيئة) إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي ذلك ما فيه من إرادة التشابه بين هذه الأطراف، فقال القاضي الشفشاوني.

أمير المومنين إليك أشكو
همو ما هاجها بعد الديار
تركت الأهل والأولاد فوضى
حيارى في ثياب الافتقار
وطالت غيبتي عنهم زمانا
فكيف يكون عن ذاك اعتذاري؟
فإني هائم في كل واد(5)
وعيني دمعها كالسيل جار
وإني جاركم دهرا طويلا
فراع سيدي حق الجوار

3) انظر نفس المصدر، والجزء ص: 66.
4) انظر على سبيل المثال، المصدر المذكور، والجزء ص: 67.
5) يبدو أن الشاعر هنا يقتبس من الآية: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ (الآيات 223 - 225 سورة الشعراء).

وعجل لي بجمع الشمل إني
لمشتاق لأولادي الصغار
بحق محمد خير البرايا
شفيع الخلق في دار القرار

ويعبر صراحة عن إرادة التشابه بين الأطراف حين قال :

أشكو إليك أمير المومنين بما
يشكو الحطيئة إذ جاء به القدر
«ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر»(6)
فارحم بني غدوا لي مثلهم وأنا
طبعا أبوهم وأنت اليوم لي عمر

وهكذا تتضح المقارنة التي أراد بها الشاعر (الشفشاوني) أن يحقق التقابل المشعر بأن السلطان العلوي يتوفر على مميزات ترقى به إلى النموذج الأمثل من خلفاء المسلمين، من حيث العدل، والعلم، ورعاية شؤون من ولاه الله أمرهم، وبما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عفا عن (الحطيئة) رغم تطاوله على أعراض الناس، خاصة ذوي الهيئات منهم (كالزبرقان بن بدر) الذي شكا (الحطيئة) إلى عمر بن الخطاب بعد هجوه إياه بمثل البيت المتضمن إحدى علاقات المجاز المرسل.

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وبما أن الخليفة الراشد عفا، فإن من طبيعة السلطان العلوي أن يتأثر بالمقارنة التي عقدها الشاعر (الشفشاوني) فيأذن له بالرجوع إلى أهله وأولاده.

وفي السياق ذاته، ورد أن الشاعر (عبد الكريم الحضري) كان يجتمع مع الأشياخ والعلماء بحضرة الملك سيدي محمد الثالث، وفي إحدى المرات (بمراكش) حضرهم الشيخ العلامة (أحمد بن سودة) وكان يعرف (الحضري) فلما أقبل الملك، قال له شيخه(7) (ابن سودة): هات قريحتك، فأنشد مرتجلا هذه التتفة :

إن هذا الأمير لم يأت دهر
بمثال له السنين المواضي
رضي الله عنه في كل حين
إن ربي الكريم عنه لراض

ويذكر (أبو القاسم الزياني) «أن الأمير (سعيد السوسي) وكان علما في علم التاريخ والأنساب - وكان لأمير المومنين (يعني السلطان العلوي) الباع الطويل فيها - من العلماء والمؤرخين، الذين يستدعيهم سيدي محمد بن عبد الله، ويحاسبهم في كل أمر إلى أن غضب عليه مرة لأمر وقع فيه، فعاقبه واستبدله».(8)

وهذا يعطينا صورة عن الخصوصيات التي كان يمتاز بها هذا السلطان العلوي على رغم اهتمامه بتسيير شؤون رعيته، وتدبير أمور دولته، وعلى رغم ما كان يصطرع في مغرب النصف الثاني من (ق 12هـ) النصف الثاني من (ق 18 الميلادي) من ثورات وفتن لم تستطع أن تؤثر في مسيرة حكمه، ولم تستطع أن تصرفه عن مجالس العلم، ومجالسة العلماء والشعراء البارزين في عهده، وبذلك

6) من أبيات (الحطيئة) المشهورة، وبعد البيت المذكور هنا قال :

ألفيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الأمير الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليد النهى البشر

7) يعني شيخ (الحضري) الشاعر.

8) الترجمانة الكبرى، ص: 63 (بتصرف). وينظر للأستاذ عبد السلام الحضري، مقال بدعوة الحق ع 4 س: 17 - 1975 / 172.

يحصل الاقتناع بمثل هذه الشهادة التي اختصر فيها أحد المؤرخين المتضلعين حياة هذا الملك العلوي، وحالة المغرب قبيل توليه، وفي أثناء عهده:

«أحد الرجال العظام الموفقين، تحرسه العناية الإلهية عن مواطن الزلل [...] وعينه والده خليفة (بمراكش)، فأراد أن يبني بها دارا لسكناه، فمنعه سفهاء (الرحامنة) فلم يحاربهم، بل اتجه إلى (آسفي) حتى جاءه أعيان (الرحامنة) معتذرين، وردوه إلى مراكش، وهذا من دلائل توفيقه».(9)

وتتضافر الروايات على أن السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله، كان يعالج أمور الدولة على اختلاف مصادرها، وعلى تعدد مناحيها بحكمة وتبصر وأناة، حتى قال فيه المؤرخ المذكور(10) رحمه الله... «كانت بواكير أعماله التغلب على المطامع، والتحكم في النوازع النفسية».

ذلك أنه منذ مبايعته اتجه إلى إصلاح البلاد، والنظر في شؤون الرعية، فلم يدع ناحية في مجتمعه لم يهتم بها، فقد أخذ رأي العلماء في الجبايات ومصادر أموال الدولة، وأصلح نظام التعليم، من حيث مناهجه ومراجعه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في أول هذا المقال، كما نظر في خطة القضاء، واهتم بتطهيره من كل ما يتنافى مع تحقيق العدل بين رعيته، فاختار القضاة الأكفاء الورعين، وأعاد النظر في وسائل الدفاع عن المملكة، بما يحقق لها الاستقرار والاستمرار والقوة، هذا في الداخل.

أما علاقاته مع الدول الخارجية، فقد اتسمت بالمثالية وحسن المعاملة، إذ قدم للعثمانيين مساعدات كبيرة في حربهم مع الروس، ووجه الهبات والهدايا إلى الحرمين الشريفين، ووقف الأوقاف الكثيرة فيهما.

وعقد معاهدات الوفاق والتعاون مع غالب دول العصر، وكان أعظم حرصه منصبا على تحرير أسرى المسلمين عموما، من أيدي الدول الأجنبية، وعلى تحرير المناطق المحتلة من التراب المغربي والإسلامي عموما وكان له سفراء متخصصون في الشؤون الدولية، وحرر بهذا النهج مناطق مغربية عديدة.

وهكذا شهدت المملكة في عهده ازدهارا عبر عنه أحد المؤرخين،(11) وهو يتحدث خاصة عن الجنوب (مراكش وما وراءها) الذي ظهر - كما يقول - بمظهر جديد، استردت فيه الحكومة قوتها منذ تولي ولي العهد المولى محمد بن عبد الله إدارة تلك الجهة بإذن والده [...]، وصفا له الجو في كثير من المناطق، فجال في سوس، وأوقع بالطالب(12) (صالح) المستبد بمرفأ (أكَدير)، وهو أحد الثائرين على سلطته، ومع ذلك حاول سيدي محمد بن عبد الله الرجوع به إلى الصواب، لكنه ركب رأسه، ولم يستجب لدعوات السلطان، فكان ما سجله مؤرخ (سوس)(13) بقوله:

«الطالب (صالح) اعتقله سيدي محمد بن عبد الله عام 1169هـ ثم انتحر في السجن، بمدية دست في خبزة كما طلب ذلك من أولاده، وذلك في التاريخ المذكور».

9) انظر الهامش 271 (إيليغ قديما وحديثا) للمختار السوسي، بتعليق الروداني.
10) هو محمد بن عبد الله الروداني، ناشر الكتاب المذكور، والمعلق عليه.
11) هو المختار السوسي، انظر (خلال جزولة ج 4 / 85).
12) هو صالح بن محمد بن بهي السوسي، انتحر (سنة 1167هـ) في السجن.
13) المختار السوسي، (خلال جزولة)، ج: 4/ 85).

ولعل الطريقة التي عالج بها الملك سيدي محمد بن عبد الله العلوي، مشكل الثائر السوسي الخارج عن البيعة، وكذا النهج الذي سلكه في التصدي لمواقف بعض الولاة والعمال، كما هو الشأن بالنسبة لصاحب (سلا) (عبد الحق فنيش) وغيره ممن آثروا العناد والمكابرة على صوت الحق والمشروعية، لعل هذه الطريقة تدل على الحكمة البالغة، والبصيرة النافذة، خلال العقود الثلاثة التي أمضاها في حكم المغرب، والتي أضفت على رؤيته للحكم صبغة أزرت بأنظمة حكم من عاصرته وسبقته، وذلك بالنظر إلى الإجراءات التي تتخذ عادة لقمع الثورات الخارجة عن الطاعة، والتضييق على زعمائها وأتباعهم المؤيدين، ولو بمجرد الشبهة والظن.

هذه إضاءات وقبسات، أحسبها ترجع بذاكرتنا إلى صفحات مشرقة، حدثت وسجلت نفسها في حياة المغرب قبل حوالي قرنين من الآن، ومن شأن الرجوع إليها - على رغم ما كتب عن هذا الملك العلوي الصالح وهو كثير - أن يشحننا بالاعتزاز والقوة، ونحن مقبلون على الاحتفالات بميلاد رمز الشباب، وسليل أمثال السلطان سيدي محمد ابن عبد الله، صاحب الجلالة الملك محمد السادس أدام الله له العز والشباب، وأدام على المغرب في ظله أسباب القوة والاستقرار والمنعة والسلام.

مراكش - عبد الحميد محيي الدين الباعمراني

خصائص شعر العرشيات

للأستاذ عادل بنمنصر
كلية الآداب - الجديدة

لكل تجربة شعرية طابع خاص، ولكل لون من الشعر سمات وخصائص تميزه عن باقي الألوان الشعرية الأخرى، فسمات شعر العرش ليست هي سمات شعر الثورة، وسمات شعر الثورة ليست هي سمات شعر العقيدة، وهكذا... فلكل لون شعري سماته الخاصة التي تميزه عن باقي الألوان الشعرية الأخرى، وكذلك شعر العرش لون شعري له من السمات والخصائص ما يجعله متميزاً عن غيره، فسماته مستمدة من واقع تجربته، وسماته مغلفة بأحاسيس وانفعالات شعرائه.

وإذا كانت السمات والخصائص من المميزات التي تميز هذه التجربة عن تلك، وتفرز هذا اللون من الشعر عن ذلك، فإن هذه السمات والخصائص تبقى مرتبطة بالجانبين اللذين يشكلان عمق العمل الشعري، أعني بهما الجانب الروحي أي المضموني، والجانب الجسدي أي الشكلي.

وفي دراستنا لخصائص شعر العرش سنقف عند الجانبين.

* الخصائص الفنية :

لاشك أن الحديث عن الخصائص الجسدية لا يقل أهمية عن الحديث عن الخصائص الروحية، والسبب في ذلك راجع إلى كون التجربة الشعرية هي بناء متكامل تتفاعل فيه كافة العناصر التي يتشكل منها العالم الشعري في انسجام والتحام يحقق وحدة العمل الشعري، ويضفي عليه جمالية وفنية خاصة.

ففي هذا العالم تتفاعل الآراء والأفكار والمضامين والانفعالات إلى جانب تفاعل الكلمات والأصوات والصور والإيقاعات، وفي هذا العالم يستهوينا جانب المعنى كما يستهوينا جانب الصياغة، وتسحرنا الكلمة كما تسحرنا الفكرة، وتأخذنا الصورة إلى عوالمها المختلفة كما يأخذنا الإيقاع إلى عوالمه الدفينة، أي أن

هذا العالم في النهاية هو مزيج من الوحدات والعناصر التي يتحقق فيها التوازن بين الداخل والخارج، والتي يكون فيها لهذا الجانب الخارجي أو الشكلي حضوره المكثف في خلق الجمالية الفنية وفي خلق الإحساس بها.

والمتأمل في شعر العرشيات سيجد خصائص هذه الجوانب الخارجية عدة ممثلة في :

1 - **خاصية الجودة والتهذيب** : شعراء العرشيات غالبا ما مالوا إلى الجودة والتهذيب، وغالباً ما مالوا إلى التنقيح، فنقحوا شعرهم وهذبوه، وأزالوا عنه الشوائب، وأضفوا عليه من ذواتهم ومشاعرهم مسحة من الجمال والأصالة امتزج فيها الإحساس بالذات بالإحساس بالطبيعة، وامتزج فيه الإحساس بالطبيعة بذات الممدوح، وتجلى ذلك كله في صدق العاطفة التي كانت قوة الدفع التي صدر عنها هذا الشعر، والتي كانت القوة التي جعلت منه أحيانا لوحات فنية غنية بدلالاتها الفكرية، وغنية بصورها وألوانها؛ وهو الشيء الذي انعكس على وجدان الشعراء، فدعاهم إلى الاعتزاز بهذا الشعر، فقال عبد الرحمن بن زيدان :

شعراء دولتك الشريفة أنشأوا
من عيد عرشك دولة الشعر الرصين(1)

وقال الحسن البونعماني :

إن كان للشعراء فيك قصائد
فلدي من درر القريض عقود
فإذا نظمت الشعر فيك فإنه
عقد على جيد الزمان نضيد
وقصائد الشعراء إن تاهوا بها
فقصيدتي من بينهن قصيد(2)

وهذا شيء طبيعي ناتج عن إحساس شاعر العرشيات بسلامة شعره، ومتانته، ورصانته، وقوته، وخلوه من العيوب.

والحقيقة أن شعراء العرشيات، وهم يلتجؤون إلى الجودة والتهذيب، إنما كانوا يلتجئون إلى ذلك تحت تأثير دوافع متعددة منها :

أ - إحساسهم بجلال الذكرى، فذكرى عيد العرش كانت وماتزال تهيمن على فكر الشاعر، وتستحوذ على لب قلبه، فتوحي له بكمٍّ من الأفكار، كما يبدو من قول محمد بن اليمني الناصري :

ياعيد كم أهديتني من فكرة
تبدو كبشرك في كمال بهائه(3)

ومعروف أنه متى جاءت الفكرة عن عفوية وطواعية إلا وسهل إخراجها في ثوب جميل رشيق ومهذب يروق الشاعر أولا ثم يروق المتلقي ثانية.

ب - إحساسهم بعظمة الممدوح وعظمة العرش المغربي : والإحساس بهاته العظمة كان من الطبيعي أن يدفع الشعراء إلى الجودة، فلا غرو بعد ذلك إذا قال الشاعر :

ياعرش كم أوحيت لي من آية
في الشعر حتى صرت من أمرائه(4)

---

1) انظر «السعادة» عدد 4492/ 24 نونبر 1937.
2) انظر «المعسول» / ج 13/ ص: 163.
3) «جريدة الشعب» : عدد 112/ 1/ 18 نوفمبر 1952/ «مجلة المغرب» عدد أكتوبر 1935/ 4/ ص: 13.
كذلك «شعر محمد بن اليمني الناصري» لعبد الحق بنطوجة/ ص: 243.
4) «شعر محمد بن اليمني الناصري» لعبد الحق بنطوجة/ ص: 243، وكذلك المرجعين السابقين «جريدة الشعب ومجلة المغرب».

ج - إحساسهم بعظمة الأمة المغربية في تفانيها وحبها لصاحب العرش، وهو التفاني والحب الذي دفع الشعراء بدورهم إلى رفع شعرهم إلى صاحب العرش، فكان ذلك من الأسباب التي جعلت الشعراء يتأملون شعرهم كثيرا، ويدققون النظر فيه حتى يخرج هذا الشعر في أجمل حلة.

د - إحساس الشعراء بثقل التراث وهيمنته على ذاكرتهم، خاصة منه الدراسات النقدية التي كان فيها النقاد القدماء يلحون على الجودة والتهذيب والتنقيح،(5) حتى عرفت القصائد في الشعر العربي «بالحوليات» من شدة التهذيب، وفي هذا دليل على سعة اطلاع شعرائنا وتأثرهم بنهج المدرسة العربية.

ولا ريب أن هذه الدوافع جميعها دفعت بشعر العرش لأن يكون منقحاً، مهذباً، رشيقاً. لكن مع ذلك يمكن القول أن قصائد متعددة لم تتحقق فيها الجودة المطلوبة، فجاءت في صورة رديئة خاصة قصائد الجيل الأول كقصائد محمد حركات، وأحياناً قصائد معمري الزواوي، وعبد الرحمن بن زيدان، وغيرهم من الشعراء. وهذا لا يعني أن هذه القصائد لم يبذل فيها أصحابها جهداً لإخراجها في أجمل صورة، بل بالعكس بذلوا فيها جهداً، لكن الأمر في الأساس كان مرتبطاً بالشاعرية التي تصنع القصيدة الجميلة، فهذه الشاعرية كانت أحياناً مفتقدة عند بعض الشعراء مما أخل بشعرهم، وجعل قصائدهم تأتي في صورة جامدة يغيب فيها عمق الإحساس، خاصة وأن هؤلاء حاولوا أن يجعلوا من هذه القصائد سجلا لتوثيق الأحداث والوقائع، فتتبعوا الجزئيات، وتناسوا أن ذلك كله يقتل الشعر، ويخلق التكلف.

وبغض النظر عن تجربة هؤلاء، فإن شعر العرش في معظمه هو شعر تطغى عليه سمة الجودة والتهذيب لا سيما عند شعراء «الجيل الثاني» أي الشعراء الشباب الذين عانقوا تجربة شعر العرش في حرارتها وصدقها أمثال محمد الحلوي، وعلال بن الهاشمي الفيلالي، ومحمد العلمي، وعلي الصقلي، وأحمد عبد السلام البقالي، وعبد الملك البلغيثي، والمدني الحمراوي، وغيرهم كثير من الشعراء الذين تمتعوا بالحس المرهف، وبالشاعرية المتدفقة، فهؤلاء هذبوا شعرهم باستمرار، وحجة ذلك أنك تجد الشاعر من هؤلاء ينشر قصيدته في جريدة ما، أو في مجلة ما، وتجدها قد بلغت أبياتاً عدة، فإذا أخرجها مرة ثانية في ديوان تجده قد أسقط منها أبياتاً عدة أيضا. وهذه الظاهرة نلمسها بوضوح عند الشاعر محمد الحلوي، وأحمد عبد السلام البقالي.

فعبد السلام البقالي - على سبيل المثال - حين نشر قصيدته «**لسان الدهر**» لأول مرة في جريدة العلم(6) والتي فازت بجائزة العرش لسنة 1951، كان عدد أبياتها قد بلغ ثمانية وستين بيتاً، وحين أخرجها في ديوانه «**أيامنا الخضراء**»(7) أسقط منها أبياتاً كثيرة فلم يبق منها إلا اثنين وعشرين بيتاً، وهذا كاف لتفسير مدى شدة عناية شعراء العرشيات بالتهذيب والتنقيح، وشدة سعيهم إلى إضفاء نوع من الجمالية على شعرهم، وإن كان يفسر أيضا قيام أغلب شعر العرش على وحدة البيت الظاهرية.

5) انظر على سبيل المثال كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري/ ص: 145، وكذلك 147.
6) انظر العدد 1623/ 6/ 18/ نوفمبر 1951.
7) انظر القصيدة في «الديوان» ص. 70.

2 – العفوية والطبع : وهذه الخاصية ارتبطت بالخاصية الأولى من جهة إقبال الشعراء على النظم في هذا الموضوع وتنافسهم فيه، «فقد كان الشعراء يتنافسون... ومن لم يقل شعراً طوال العام، لابد أن يقوله بهذه المناسبة»(8).

وقد عبر الشاعر عبد الواحد السلمي عن طابع هذه المنافسة وجماليتها فقال :

بلابل هذا الشعب فيك تنافست
ترتل آيات الولاء وتسجع
أهازيجها ملء الأثير تصاعدت
لحونا لها صم الجنادل تخشع
تملكها الإعجاب بالطلعة التي
تبز سنا الأفلاك : ساعة تطلع
زهاها الشذى الفواح في الدوحة التي
لها بين أزهار الرياض تضوع
وحرك عطفيها السناء مجسما
له بين أقمار السماوات مهيع(9)

وخاصية العفوية والطبع، تجلت في تدفق القريحة الشعرية وفي «غزارة المعاني، ومطواعية التعابير، وانسياب القوافي»،(10) وكذلك في طول النفس الذي تميز به جل الشعراء، والذي جعل قصائدهم قصائد طوال تعبر عن الفحولة، فقصيدة «العرش المغربي»(11) لعلال الفاسي بلغت أبياتها مائة وثلاثة وستين بيتا، وقصيدة معمري الزواوي التي مطلعها :

زهر الزمان فأكثر الأعياد
طاب القريض فرتل الإنشاد(12)

بلغت أبياتها مائة بيت.

ولا شك أن إحساس الشعراء بالعفوية، هو الذي جعلهم يكشفون عنها في شعرهم، فعبر عنها محمد المهدي الحجوي في قوله :

إني دعوت القوافي حين أشرق لي
عيد به رونق الأيام قد كملا
فأقبلت زمرا مثل الوفود لدى
عيد الأمير أتته تملأ السبلا
وقمت اختار منها كل غاني
وأنتقي من فنون اللفظ ما جزلا
فحار ثَمَّ بياني في تخيره
بالمجد أم بالمعالي يبدأ الجملا(13)

وعبر عنها عبد الواحد السلمي في قوله :

أمولاي : داعبت القريض بفضلكم
فطاوع لا يأبى ولا يتمنع
وفاض معينا صافياً بلآلئ
لها عنق الحسناء في الخدر يتلع
يسيل بياناً ناصعاً بروائع
سلاستها طل على الروض يهمع
حلا لفظه في مسمعي وتناسقت
مقاطعه، فانقدت للدر أجمع

8) انظر «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» لعبد الله كنون/ ص: 153.
9) «جريدة العلم» : عدد 6766/ 12/ 19 نونبر 1957.
10) من مقال «شعر العرشيات» لعبد الواحد بن صبيح/ انظر المناهل : عدد 36/ 14/ يوليوز 1987 ص: 469.
11) انظر «ديوان علال الفاسي» ج: I / 98.
12) انظر ديوان «حسن الوفاء» ص: 115.
13) انظر «السعادة» عدد 4630/ 35/ 18 نونبر 1938.

فلا بدع إن غنيت في العيد مبدعا
فعيدك يستهوي العي فيبدع(14)

3 - **الخطابية وإثارة المشاعر** : وهذه الخاصية أشار إليها الدكتور إبراهيم السولامي حيث قال : «تمتاز «أي القصيدة العرشية» بالخطابية، وإثارة المشاعر، لأنها كتبت لتلقى على الناس في المحافل».(15)

والظاهر أن هذه الخاصية هي خاصية ملازمة لكل شعر وطني، لأن المواقف الوطنية كانت دائما «مواقف يطلب إلى الشعر فيها أن يؤدي رسالته بإنشاده ليؤثر في سامعيه»(16)، ومن ثم كان صوت الشاعر صوتاً عالياً يكشف عن انفعالاته، وشدة عاطفته التي تترجم إحساساته، ومن ثم أيضا كان الإيقاع في مثل هذا الشعر عنصراً ذا تأثير فعال(17)، يكشف عن قوة شخصية الشاعر التي كانت تقتضي منه «أن يكون الشعر بحيث يملأ الفم عند إنشاده حتى يملأ الأذان عند الإصغاء إليه».(18)

والخطابية من هذه الناحية يبدو أنها كانت ملمحاً جمالياً في الشعر بدليل أن أبا نواس قال ذات مرة : «لو كان شعري كله يملأ الفم ما تقدمني أحد»(19).

لهذا حرص الشعراء في الغالب على «بناء إيقاعات مجلجلة تنهي به من وقت لآخر إلى وقفات عالية النبر»،(20) «فالشاعر يبدأ عالي الصوت، ثم يهدأ ليعطي لنفسه ولسامعيه جانباً من الترويح والتحول، ثم يعود بهم إلى القمة آخر الأمر»(21)، وكل هذا «يحدث التأثير الأخاذ للجمهور، فيجدد من آونة إلى أخرى نشاطه إلى الاستماع والمتابعة»(22)، ولهذا أيضا كانت الأوزان الطويلة في الغالب الإطار الإيقاعي الأنسب لتحقيق هذا الهدف لما تتوفر عليه من إشباع صوتي.

وبالنسبة لشعر العرش فإن الخطابية أفرزها التفاعل الحاد مع مرحلة الكفاح الوطني بخوفها وقلقها وتوترها، فهي بالنسبة للشاعر بمثابة تنفيس لما كان يختلج ذاته من غليان في الشعور والإحساس، وهي بمثابة وسيلة لشد المتلقي والتأثير عليه، وجعله هو الآخر يشارك في بلورة الوعي الجماعي، وفي بث الحماس في صفوف جماهير الأمة، لهذا كانت تطغى عليها العاطفة الصادقة والانفعال الحاد.

وقد بلغت هذه الخاصية ذروتها مع الشاعر عبد الرحمن الدكالي الذي كان يعقد كل سنة في داره حفلاً وطنياً بمناسبة عيد العرش يلقي فيه شعره في هذه المناسبة أمام الملأ، وأمام الوطنيين الذين كانوا يتوافدون على الرباط العاصمة من سائر أنحاء المغرب للحضور في هذا الاحتفال الرائع،(23) هذا الاحتفال الذي كانت تحضر

14) «جريدة العلم» عدد 6766/ 12/ 19 نونبر 1957.
15) «الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية» ص: 198.
16) «نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر» لعز الدين الأمين/ ص: 72.
17) «الأدب وفنونه» للدكتور محمد مندور/ ص: 37.
18) «في الأدب العباسي، الرؤية والفن» للدكتور عز الدين إسماعيل/ ص: 438.
19) نفس المرجع/ ص: 439.
20) نفسه/ ص: 441.
21) «الصورة الأدبية» للدكتور مصطفى ناصف/ ص: 198.
22) «في الأدب العباسي، الرؤية والفن»/ ص: 441.
23) من تقديمه لقصيدة «عاش المليك المصلح المجواد» لسنة 1947.

فيه الكلمة الشعرية بكل ما تملكه من طاقات القوة حتى تحدث التأثير المطلوب في جمهور المتلقين، وهو التأثير الذي يتأكد من خلال ما ذكره عبد الرحمن الدكالي حين أنشد سنة 1947م قصيدته «عاش المليك المصلح المجواد»، والتي تضمنت البيت التالي.

ومبادئ الحزب العتيد مبادئ
لا الضغن يمليها ولا الأحقاد

فقد ذكر عبد الرحمن الدكالي أنه حين قال هذا البيت، وقف الوطني الغيور المرحوم الفقيه السيد محمد غازي، وجعل يقول : «أي والله، لا الضغن يمليها ولا الأحقاد»(24)، وهذا يوضح مدى قوة الكلمة، ومدى قوة المواقف التي كانت تصدر عنها، ومدى قوة الروع الذي كانت تحدثه في القارئ أو السامع بصفة خاصة، هذا السامع الذي كان ينفعل تحت الانفعالات القوية التي كان يحدثها الاهتزاز الجسمي والتموج الصوتي للشاعر، فينفعل لانفعاله، ويثور لثورته، ويتحمس لحماسه، وهو يقول وقد بلغت العاطفة عنده مبلغاً كبيراً :

حق لنا سنناله بدمائنا
إن لم ننله بحجة وجلال
فليستعد المعتدون لقمعنا
بسلاح الاستعباد والإذلال
فبعزمنا وبصبرنا وثباتنا
وكفاحنا نرتاح للأهوال
والله لا استعباد بعد شعورنا
يبقى ولا نيل المنى بمحال
إنا غدا أحرار في أوطاننا
ولواؤنا هو اللواء العالي
حب السيادة من مبادئ ديننا
والدين سود صالح الأفعال(25)

وإذا كانت هذه الخطابية فيها شيء من القوة و«الخشونة الشعرية» فإن هذه الخطابية لم تكن لتنقص من قيمة هذا الشعر، وخاصة من قيمة أشعار عبد الرحمن الدكالي الذي كان يلجأ إلى وسيلة يخفف بها حدة هذه الخشونة، حين كان يأتي بأبيات هي أشبه ما تكون بالحكمة، كقوله في هذا البيت :

لسنا نخاف الموت بعد يقيننا
إن الممات لمجدنا استشهاد(26)

وكمثل قوله في هذين البيتين :

فقفوا وقوف الخصم بين جموعهم
كي لا تزل بزورهم أقلام
ودعوا القنافذ أن تصلب شوكها
أشواكها ستدوسها الأقدام(27)

وباستثناء خطابية عبد الرحمن الدكالي وعبد الله كَنون التي كانت تتسم بالقوة والحدة، فإن خطابية باقي الأشعار العرشية هي خطابية هادئة ومعتدلة، كما يمكن أن نلمس ذلك في هذه الأبيات وهي للشاعر محمد البوعناني التي استلهم فيها هو الآخر الحكمة.

يقول محاولا إثارة المشاعر، واستنهاض الهمم :

ألسنا أناسا يلثم الدهر ردنهم
وما كان منهم في الجهاد رعيب

24) من تقديمه للقصيدة/ أمدتني به الباحثة مارية بحبوحي ضمن مجموعة شعرية.
25) من قصيدة «علم التحرير في يديك وكلنا».
26) من قصيدة «عاش المليك المصلح المجواد» لسنة 1947.
27) من قصيدة «عرض الخلافة لا ينال وإن رمي» لسنة 1948.

ألسنا أناسا يسجد المجد تحتهم
فكل فتى، جنب الركوب، ركيب
ألسنا أناسا يشهد الغرب نفسه
بأنهم للمكرمات دبوب
ألسنا أناسا للضيوف بيوتنا
وللمعتدي والسالبين حروب
متى تعلم «فرنسا» بأن سلاحها
به نقتفي الآثار حين تقوب
متى يعلم الأعداء أن لنا لهم
أيادي أقوى للحديد تذيب
لأن سيف الحق والحق دائما
لفي القلب كالسيف الرسوب يغيب
فكيف أذلونا، وكان رقودنا
على العز؟ لكن الزمان قلوب!
سلوا كيف كنا - والعظام عبيدنا -
فآثارنا عنا بذاك تجيب
إذا سكت المظلوم منا فصمته
دليل على أن الكلام رهيب(28)

إن هذه الخطابية في اعتدالها وهدوئها، وفي تطعيمها بأبيات من الحكمة، كانت تضفي على شعر العرش جمالاً وجلالاً مما يجعل قصائده «مستساغة وجذابة، ولعل هذا راجع إلى ما يتسم به هذا الشعر عموماً من صدق وعفوية».(29)

4 - **الجمالية الفنية** : وتتجلى هذه الجمالية في العلاقة الجدلية بين المحتوى ذي الأبعاد المتعددة، وبين الصياغة الشكلية الجمالية، كما تتجلى أيضا في احتفاظ شعر العرش على كثير من مقوماته الفنية.

فمن المعلوم أن الشعر عندما يتجه اتجاهاً دينياً أو وطنياً أو سياسياً يتخلى عن كثير من هذه المقومات، «لكن الحال بالنسبة لشعر العرش مختلف تماماً، فهو يحتفي بالقيم الجمالية أي احتفاء، ويوليها عناية بالغة، مما يجعل المتلقي يشعر بمتعة فنية رائعة لا يحس بها عادة في الشعر الوطني العادي».(30) وسبب هذه المتعة راجع إلى كون هذا الشعر استطاع أن يخاطب الوجدان البشري، واستطاع أن يحرك كوامن الذات، ويثير إحساساتها، واستطاع أن يعبر عن الأصالة الشعرية من ناحية امتزاج عاطفة الشاعر بالموضوع الذي يتناوله، ومن ناحية «اتصال الشعر اتصالاً مباشراً بالحياة التي حوله واتخاذها ينبوعاً لشعره، ذلك الاتصال الذي جعله يترجم إحساساته وانفعالاته بالحياة ترجمة مباشرة»(31) لا غموض فيها ولا تكلف ولا تعقيد، مما جعله لا يعتمد النقل عن غيره من الشعراء أو متابعتهم في تعبيرهم وصورهم، ومما جعله يحس بذاتيته وشخصيته، وجعل شعره أقرب إلى نفوسنا.

ولعل ذلك كله راجع إلى الأصالة، هذه الأصالة التي لم تكن تعني في يوم من الأيام الطرافة، وإنما كانت تعني شيئا أعمق من ذلك، وأبقى من ذلك؛ كانت تعني الصدق في الإحساس، والصدق في الرؤية، وكما قال

28) «مجلة الأنوار» : عددان 32-33/ 7/ شتنبر - دجنبر 1952.
29) من مقال «شعر العرشيات» لعبد الواحد بن صبيح/ انظر «المناهل» عدد 36/ 14/ يوليوز 1987/ ص: 467.
30) نفس المرجع/ ص: 469.
31) «الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية» للدكتور بهي الدين زيان/ ص: 143.

«الدكتور جونسون» بحكمته الراسخة الواسعة : «لا يمكن أن يسر الكثيرين ويسر طويلا إلا التمثيل الصادق للطبيعة الإنسانية، إن الصور التي يبدعها الخيال قد تبعث على السرور فترة ما بسبب الطرافة التي تدعو إليها حياتنا، غير أن مسرات الدهشة المفاجئة سرعان ما تتلاشى، إذ أن العقل إنما يسكن فقط إلى استقرار الحقيقة وثباتها».(32)

وهذا لا يعني أن الأصالة ترفض الخيال... صحيح أنها ترفضه، لكنها ترفض الخيال الساقط، أي الخيال الناتج عن التصنع والافتعال، أما الخيال النابع من صدق الإحساس ومن صدق الانفعال، فإنها لا ترفضه.

وإذا نظرنا إلى الجمالية الفنية من هذه الناحية فإننا سنجدها ماثلة في كل عنصر من عناصر التجربة الشعرية، سنجدها في اللفظ، وفي الإيقاع، وفي الصورة، وفي الدلالة، لكن هذه الجمالية لا يمكن أن نلمسها إلا إذا أخذنا العمل الشعري على أنه وحدة متكاملة، أي وحدة في الإحساس، ووحدة في الشعور نابعة - كما يقول الدكتور عباس الجراري - : «من اكتمال التجربة وتكاملها في القصيدة، حيث المضمون واحد والغرض واحد، وحيث البناء يتمم بعضه بعضا، أي بناء العناصر والأجزاء المكونة للقصيدة»(33) مما يترك أثره في المتلقي.

إن هذه الوحدة - كما قلت - لا يمكنها أن تنبع إلا في ظل الانفعال الصادق.

ولما كانت قصائد شعر العرش وليدة هذا الانفعال، ووليدة الإحساس الصادق، والمعاناة الحارة، كان من الطبيعي أن تأتي التجربة الشعرية - في هذا الشعر - في شكل يحقق لها قدراً كبيراً من الانسجام والالتحام بين المعنى واللفظ، باعتبارهما العمود الفقري لكل تجربة، مما حقق «الإمتاع الفني الذي هو غاية الأديب ومبتغاه»،(34) حيث كان التفاعل قائماً وواضحاً بين كافة العناصر التي يتشكل منها النسيج الشعري، فكانت العاطفة يسيرة، والخيال قريباً، والموسيقى جذابة، وكانت الأشياء - ولا سيما عند الشعراء الكبار من المبدعين أمثال محمد الحلوي، والبقالي، والحمراوي- تأتي في رؤية شفافة لا تصور الواقع، كما هو واقع بكل حرفياته وجزئياته، وإنما تصوره في شكل يمتزج فيه الانفعال والإحساس بهذا الشيء، فيأتي الواقع في ثوب جميل مغلف بأحاسيس الشعراء، وبرؤيتهم الصادرة من عمق تجربتهم.

وكانت العاطفة، ولا سيما عاطفة الحب حب الوطن وحب العرش، قد طبعت كل شيء بطابع الرقة والبساطة، فجاءت اللغة مشرقة ومهذبة، رقيقة وعفيفة لتعبر عن نزعة الحب هاته كما في قول علال الفاسي :

وحرام على القلوب إذا ما
عرفت للغرام والحب سرا
أن ترى في سوى الوفاء شعارا
أو بغير المحبوب كنزا وذخرا(35)

كما جاءت في مواقف كثيرة، وعند شعراء كثيرين قوية مجلجلة، لتعبر عما يختلج الذات من كراهية للمستعمر.

32) انظر كتاب «الشعر كيف نفهمه ونتذوقه؟» (لالايزابيت درو) ترجمة : الدكتور محمد إبراهيم الشوشي/ ص: 126.
33) انظر «فنية التعبير في شعر ابن زيدون»/ ص: 10.
34) انظر «النثر الفني» للدكتور عبد الحكيم بلبع/ ص: 224، نقلا عن كتاب «الشعر في عهد المرابطين والموحدين» لمحمد مجيد السعيد/ ص: 332.
35) انظر «ديوان العرش» ص: 26، وانظر كذلك «ديوان علال الفاسي» ج 4/ 249، تحقيق : عبد الرحمن بن العربي الحريشي.

وعلى العموم، فإن اللغة في شعر العرش تنعم بكل مقومات الجمال والرقة حين ينساق الشاعر للتعبير عن عاطفة الحب، كما أنها تنعم بكل مقومات القوة والشدة حين يخرج عن إطار هذه العاطفة، الشيء الذي يجعل الإيقاع أو الموسيقى الشعرية بدورها تتفاعل مع الجو العام للقصيدة، فتأتي أحياناً عذبة رقيقة، وتأتي أحيانا ثائرة صاخبة تكشف عن هيجان وعن ثورة... وفي رقتها وعذوبتها يبرز عبير الطبيعة والتأثر بأزهارها، وفي صخبها وثورتها يبرز هيجان الفكر ويكون التأثر بمواقف القوة، وبمواقف أبطال التاريخ المغربي.

ويأتي المعجم الشعري بمختلف مستوياته ليكثف كافة المواقف، مواقف الحب، ومواقف الكراهية، فيكون القاموس تارة دينياً، وتارة غرامياً، وتارة سياسياً، وتارة قومياً، وتارة صوفياً، وتارة أخرى غير هذا ولا ذاك، فتشدك نزعة الفكر تارة، وتشدك نزعة العاطفة تارة أخرى، وكل ذلك بفضل ما تتمتع به الكلمة من قوة وإيحاء بعد أن استعملت في سياق يجعلها «تتناسق مع التعبير، وتتآلف مع الجملة، معبرة ومؤثرة، حتى ليصير بعضها لا أداة تعبيرية فقط، بل جزءاً مكملاً للصورة ومقوياً لها».(36)

وعلى أي فإن النواحي الجمالية في شعر العرش تتجلى في كل عنصر من عناصر النسيج الشعري على مستوى ضيق، في الموسيقى الداخلية، والموسيقى الخارجية، في القافية، في التكرار، في الجناس، في الطباق وخاصة في التصريع، وكأن شعراء العرشيات لا تكفيهم قافية واحدة.

وعلى مستوى أوسع في «الألفاظ الرشيقة، والمعاني البديعة، والصور الرائعة، والمشاعر الجياشة».(37)

وكل ذلك نشعر به في «صياغة هذه العناصر كافة صياغة محكمة ومتلائمة، فهي تنساب في موجات متوازية، سواء في هيجانها واحتدامها، أو في هدوئها وانصياعها؛ ونشعر بها في نزعات الشعراء المتعددة، فأحياناً تداعبك نزعة رومانسية حالمة، وأحياناً تطالعك نزعة حماسية مروعة، وتارة تأسرك نزعة إنسانية رقيقة، وتارة تخشع أمام نزعة صوفية روحية».(38)

وشاعر العرشيات في ذلك كله يشدك إليه شدا، فيستحوذ على عقلك وشعورك معا، ولو بحثت عن سر ذلك لوجدته كامناً في صدق تجربته، وصفاء شعوره الوطني والديني، وغيرته على الوطن ملكاً وأرضاً وشعباً.

5 – **البناء المحكم** : ويتجلى أساساً في طول النفس الشعري، فقد ذكر القدماء أن ما يسمى قصيدة هو ما تجاوز سبعة أو عشرة أبيات، لكننا نلاحظ أن هناك قصائد جاوزت المائة بيت، وهذا يعني أن الطول «عنصر هام، وهو ليس هاما بذاته طبعا، وإنما بمقدار ما يجعل بالإمكان الزيادة في التواشج، والتوتر، ورحابة العمل»(39)، فهو ليس دليل العبقرية والنبوغ، وإنما دليل الفحولة.

ولا شك أن الذي عالج الشعر في اللغة العربية يدرك أن «القصيدة لا تجاوز المائة إلا حين تستبد بعقل الشاعر وخياله وهواه، فإن وحدة الوزن والقافية في الشعر العربي تفرض طبع الذهن على غرار موحد، وتدور

36) انظر كتاب «أبو الربيع سليمان الموحدي» للدكتور عباس الجراري/ ص: 233.
37) من مقال «شعر العرشيات» لعبد الواحد بن صبيح، انظر «المناهل» عدد 36/ 14/ يوليوز 1987/ ص: 470.
38) المرجع السابق/ ص: 470.
39) «نظرية الأدب» لرينيه ويليك واوستن وارين/ ص: 222.

بالشاعر حول أنغام موسيقية متماثلة الأوضاع»،(40) لهذا فإن الطول من هذه الناحية يبقى مقياساً لكفاءة الشاعر خاصة إذا كانت القصيدة جيدة.

والحق أن الطول في شعر العرشيات قد يحمل دلالات عدة منها : سعة اطلاع الشاعر، واستبداد الموضوع بعقله واكتمال تجربته، وتدفق دفقاته الشعورية، واتساع ثقافته وتمكنه من أساليب العربية، وربما وجود منافسة بينه وبين غيره.

لكن الطول يبقى دائماً مقترناً بهاجس الممدوح، وخاصة إذا كان ذا جلال، بدليل ما قاله ابن رشيق: «إذا كان الممدوح ملكاً لم يبال الشاعر كيف قال فيه، ولا كيف أطنب».(41)

على كل حال فإن الطول قد يبقى معياراً للجودة، وقد يبقى معياراً على قدرة الشاعر «على امتلاك الموضوعات داخل القصيدة»،(42) لكنه قد يبقى أيضا معياراً يحمل في جوفه الملل، وخاصة في المدح، فقد «حكي عن عمارة أن جده جريراً قال : يابني إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة، فإنه ينسى أولها ولا يحفظ آخرها»،(43) وعلل ابن رشيق ذلك بقوله «فإن للملك سآمة وضجراً، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب»،(44) ومن ثم فإن الاقتصاد أوفى وأشمل.

6 – فنية التعبير : وأقصد بها صياغة العناصر التي يتشكل منها العالم الشعري صياغة تضفي عليه جمالية وفنية خاصة، تجعله في النهاية قابلاً لإثارة المشاعر، وتحريك النفوس وإثارة التجاوب. ومثل هذه الصياغة – ولا شك – هي صياغة وجدانية لا يمكن أن تتحقق فيها الجمالية الفنية إلا في ظل الانسجام التام بين كافة العناصر التي يتشكل منها العمل الشعري، أي الانسجام التام بين اللغة والإيقاع والصور، على اعتبار أن «القصيدة كلا وجدانيا، وقطاعاً نفسياً، وحالة شعورية»(45)؛ وعلى اعتبار أن القصيدة وحدة متكاملة تضم عناصرها وحدة الإحساس ووحدة الشعور، وعلى اعتبار أنها أيضا وحدة متكاملة يمتزج فيها الداخلي بالخارجي، وتتوحد فيها الرؤى الماضية والمستقبلية، ويلتحم فيها صوت الذات الفردية بصوت الواقع الجماعي والحضاري لأي أمة كانت.

وفنية التعبير لا يمكن أن تتجسد إلا من خلال الذوبان التام لكافة المقومات التي تخلق البناء الشعري، وتكيف أبعاده ومضامينه، وتحدد وظيفته وتعطيها أبعادها الحقيقية ضمن منظومة الزمان والمكان، وهي المقومات التي لا يمكن أن يستغني عنها عمل شعري إبداعي، والتي نجد في طليعتها :

أ – اللغة : بكل ما تملكه من قوة، وما تحمله من طاقات وإيحاءات؛ فقد كانت اللغة – ومازالت – محرك الإبداع، وكانت – ومازالت – مرآة الشعوب ومرآة المجتمعات عكست بشكل شفاف – وعبر مختلف العصور – نمط التفكير، وطبيعة العقلية، وأسلوب العيش، مما يعني أنها لم تكن في يوم من الأيام ثابتة، جامدة، هامدة، ومما يعني أنها لم تكن في يوم من الأيام

40) «المدائح النبوية في «الأدب العربي» للدكتور زكي مبارك/ ص: 89.
41) «العمدة» لابن رشيق/ ج II/ ص: 129.
42) «الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية» : للدكتور بهي الدين زيان/ ص: 41.
43) «العمدة» : ج II/ ص: 129.
44) نفس المصدر/ ج II/ ص: 129.
45) «فنية التعبير في شعر ابن زيدون» : للدكتور عباس الجراري/ ص: 10.

مجرد كائن منعزل عن حركة التاريخ، ومنفصل عن سيرورة المجتمع، بل إنها كانت أقوى من التاريخ، وكانت أقوى من الإنسان نفسه، لأنها سايرته عبر العصور، فعبرت عن حاجياته النفسية وغير النفسية، وكشفت عن خلجاته الذاتية والماورائية، وطاوعته في استخراج مكنوناته العميقة، وفي التنفيس عما يجول في داخله، وفي الكشف عما يحترق في الخارج، أي في الحياة كمعترك تلقي عليه اللغة بمختلف ظلالها وأشعتها.

وإذا كانت اللغة مادة الأدب الذي هو مؤسسة اجتماعية،(46) فإن اللغة لغتين : لغة التواصل والحديث اليومي، ولغة الخلق والإبداع، أي لغة الشعر والأدب...

وإذا كانت اللغة أيضا عبارة عن سلسلة من الأصوات التي ينبعث عنها المعنى، فإن طبقة الصوت تلفت الانتباه، وتؤلف بذلك جزءا لا يتجزأ من التأثير الجمالي،(47) وهو التأثير الذي غالباً ما نلمسه في الشعر، ونفتقده في غيره من أنماط القول، مما يعني أن لغة الشعر هي لغة لها مواصفاتها الخاصة، ولها جماليتها الخاصة، ولها منطقها الخاص الذي يكسر عتبة الزمن ليمنح لنفسه وللعمل الأدبي خلوداً واستمرارية تتحقق معها الحداثة والأصالة والجدة.

من هنا، فإننا حين نتحدث عن اللغة نتحدث عنها في «خصائصها الفنية التي من شأنها أن تثيرها بتعمق مدلولاتها، وتنظيم سياق ألفاظها وجملها، بما يوسع نطاقاتها الصوتية والإيحائية، ويجدد قرائنها، ويغني مجالاتها التعبيرية، سواء على صعيد التركيب اللفظي أو التأثير النفسي والجمالي».(48)

وإذا كانت اللغة تعرف حركية لا حدود لها، وتعرف شمولية في التعبير لا سبيل لإحصائها، فإن ذلك يجعل منها بنية ذهنية قادرة على التكيف مع كافة المعطيات الجديدة والمستجدة في حياتنا.

صحيح أن وحدات اللغة هي وحدات جد محدودة وثابتة، فضلاً عن كونها لا تعرف التطور، لكن الشاعر «يولد من هذه الوحدات - وبحسب قدرته التي هي وليدة عبقريته - تركيبا لا نهاية لاتساعه، ومرونته، وتعقيده، ورونقه، فضلاً عن لا محدودية تعبيراته وإشاراته المباشرة والرمزية»،(49) وهذا التركيب بقدر ما يستوعب «حاجات الشاعر الذهنية والنفسية والفكرية يكون ناضجاً مكتملاً، ومستوفياً لشروط الفن والجمال في أبعادهما وممارستهما المختلفة».(50)

إن اللغة هي ذات أثر بالغ في عمل الشاعر، وهي بالنسبة للشاعر «مخلوق له كيانه المستقل... والشاعر خارج عن نطاق اللغة يرى الكلمات من جانبها المعكوس، كأنه من غير عالم الناس، وكأنما وقد حل بعالمهم، قد وجد الكلام حاجزاً بينه وبين هذا العالم... وبما أنه يضع نفسه خارج نطاق اللغة، فإن الكلمات التي تبدو لغيره دوافع تقوده إلى معرفة ما حوله... تظهر في عينيه هو فخا لاصطياد حقيقة أبية المراس»(51). ولعل تلك هي قوة اللغة، ولعل ذاك هو

46) «نظرية الأدب «لرينيه ويليك واوستن وارين/ ص: 119.
47) نفس المرجع/ ص: 205.
48) «فنية التعبير في شعر ابن زيدون» : للدكتور عباس الجراري/ ص: 47.
49) نفس المرجع/ ص: 47.
50) نفسه/ ص: 47.
51) «ما هو الأدب ؟» لجان بول سارتر، ترجمة : محمد غنيمي هلال/ ص: 15.

سحرها الكامن في كشفها عن حقيقة الأشياء وعن كوامنها ودواخلها.

ولما كانت اللغة قوامها جرس الكلمات كانت الكلمة مكوناً هاما من مكونات البناء الفني للشعر، وعاملاً من «أقوى العوامل التي تتوقف عليه قيمته الجمالية»،(52) بل إن الأداء الفني الجميل هو أساساً مرتبط بالدقة في «اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها»،(53) بل هو ليس في مجموعه إلا «طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة».(54)

إن هذا معناه أن الكلمة وحدها ليس في وسعها أن تخلق الجمالية الفنية، وليس في وسعها أن تثير الجاذبية التي هي شرط من شروط التأثير والتجاوب، فهي بمفردها غير قادرة على إعطاء الأسلوب أو البناء اللغوي تلك القيمة، من ثم فهي تحتاج إلى سياق، وتحتاج إلى شخصية مرهفة الإحساس، ومرهفة الطبع.

فالأديب المرهف : هو الذي باستطاعته أن «يوفر للألفاظ جوا من الألفة والالتئام فيما بينها، فيسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعوري الذي نريد أن نرسمه»،(55).

والشاعر الحق : هو من لا يعجز عن امتلاك اللغة... وهو من لا يعجز عن احتوائها ونسيانها داخل إيقاع جسده، فهو الذي يخلق من «الكلمات العادية قطعاً سحرية يمنحها من روحه وإبداعه قوة دفع جديدة، ويعطيها زخماً حيوياً يؤهلها لأن تلامس مشاعره، وتعانق عواطفه، وتدور حول مداره».(56)

وباختصار فإن الشاعر الحق هو من يتوفق في استخدامه للغة لخلق شيء محدد، أو لخلق جسم محدد، كما يقول الناقد المعاصر «سي لويس»،(57) وإن كان ذلك الشيء لا يمكن أن يخلق في غياب المعاناة الصادقة، وفي غياب التجربة التي تحول ملامح كل شيء إلى أشياء عميقة وجذابة، تتجلى فيها شفافية اللغة في صفائها وإشعاعها، مما يدفع إلى القول بأن فنية التعبير - وكما يقول الدكتور عباس الجراري - «تقتضي تجاوز مرحلة التعبير إلى كيفية التعبير؛ وهنا تدخل اللغة كأداة»(58) بكل ما تحمله من طاقات وإيحاءات. ولعله من هنا يمكن أن نتساءل :

هل استطاع شاعر العرشيات أن يضفي على لغته تلك الجمالية والشفافية؟

وهل استطاع أن يدرك ما وراء جرس الكلمات وإيقاعاتها من سحر وفتنة وجاذبية واهتزاز.

وهل استطاع أن يهتدي إلى حسن ائتلافها وتناسقها في نظام يحقق وحدتها وتماسكها؟

لا شك أن معظم شعراء العرشيات صرفوا جهداً كبيراً لنيل هذا المبتغى حين هذبوا شعرهم، ونقحوه

52) «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه» : لعبد الحكيم بلبع/ نقلا عن كتاب «الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس» لمحمد مجيد السعيد/ ص: 329.
53) نفس المرجع/ ص: 329.
54) نفسه/ ص: 329.
55) «بلاغة أرسطو بين العرب واليونان» : لإبراهيم سلامة/ نقلا عن المرجع السابق/ ص: 329.
56) «الشعراء السود وخصائصهم في الشعر» للدكتور عبده بدوي/ نقلا عن «كتاب الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس». لمحمد مجيد السعيد/ ص: 329.
57) «ماهو الأدب؟» للدكتور رشاد رشدي/ ص: 4.
58) «فنية التعبير في شعر ابن زيدون» : للدكتور عباس الجراري/ ص: 50.

وجعلوه خاليا من الشوائب، وحين بذلوا جهداً لشد المتلقي، وإثارة مشاعره.

لكن الغريب أن شعراء كثيرون نجحوا في هذه المهمة، وشعراء كثيرون أخفقوا فيها، وكان السبب أعمق من التهذيب والتنقيح، وأعمق من امتلاك ناصية اللغة أو العلم بأسرار العروض وقوانين الشعر... لقد كان الأمر مرتبطاً بالشاعرية التي تذيب كل شيء، وتصهر كل شيء من جديد لتعيده إلى حالة غير حالته الطبيعية، لهذا لم تكن اللغة ذات مستوى واحد، بل كانت مستويات متعددة، فهي تختلف من فئة الشعراء الشباب إلى فئة الشعراء الشيوخ، وهي تختلف من شاعر إلى آخر، وأحياناً من قصيدة إلى أخرى، فهي عند الشعراء الشباب لغة مثقلة بالروح الوطنية، ومشاعرها تعكس ثورتهم وحبهم وحماسهم وانفعالهم المتزايد، وارتباطهم الشديد بالأرض والوطن والملك، وهي عند الشعراء الشيوخ مثقلة برواسب الثقافة الدينية والروحية، تعكس وقارهم وحذرهم، وأحيانا استسلامهم، وهي عند هؤلاء وأولئك تعكس ظلال الذات في سكونها وقلقها، في انزعاجها وارتياحها، في استسلامها وثورتها...

فهي عند الحلوي، وعبد الكريم بن ثابت، وعبد المجيد بن جلون، لغة رومانسية، تعلوها مسحة من الشفافية تذيب كل شيء، وتنزع المخاوف عن الذات، ففيها الحنان والدفء والإشراق والأمل.

وهي عند عبد الملك البلغيثي، والحسن التناني، وعبد الله العثماني، وعبد الله كَنون، لغة قوية مجلجلة، تريد أن تعصف بمنطق الذات في خوفه وسكونه.

وهي عند عبد الرحمن بن زيدان، ومحمد حركات، والفقيه محمد بوعشرين، لغة استسلمت لزمن مضى وانتهى، فهي غير قادرة على الكشف والاختراق.

وهي عند عبد الرحمن الدكالي أكثر سطحية وخطابية، وعند علال الفاسي أكثر عمقاً وتأثيراً وجاذبية.

لكن اللغة عند شعراء العرشيات بصفة عامة تبقى محتفظة بصفائها، وسلاسة أسلوبها، الشيء الذي يعكس مدى تمكنهم منها فهما واستعمالا، ومدى رغبتهم في الحفاظ عليها ناصعة واضحة متينة، لهذا جاء أسلوبهم أميل إلى الوضوح والإشراق، وجاءت تعابيرهم أميل إلى العفوية والشفافية منها إلى التعقيد والضجر، ولاشك أن ذلك راجع إلى كون اللغة عند بعضهم لم تعد «مجرد أداة للتعبير، ولكنها غدت أداة حركية للكشف عن كوامن النفس وما يعتمل فيها من مشاعر وأحاسيس، وما تثير من إيحاءات ودلالات»(59)، خاصة وأن الفترة كانت فترة مخاض، وفترة انفعال وتوتر ذاتيتين، ولاشك أن ذلك أيضا راجع إلى كونهم «لم يحملوا الألفاظ ما لاتطيق من المعاني....فلم يبالغوا في الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وغيرهما»(60)، فكان استعمالهم لها في حدود معقولة تخرج بهم عن نطاق التكلف والتصنع.

ومن الاستعمالات التي وظفها الشعراء لتحسين الأسلوب الشعري نجد :

أ - التكرار : وهو يختلف إيقاعا من وحدة تكرار الحرف إلى تكرار اللفظ إلى تكرار العبارة، ومثل تكرار الحرف وانسجامه والتئامه وارتباطه ودلالته على المعنى

59) «فنية التعبير في شعر ابن زيدون» : للدكتور عباس الجراري/ ص: 50.
60) «قصة الأدب في الأندلس» : للدكتور عبد المنعم الحفاجي/ ج. 4 - ص: 58. نقلا عن كتاب «الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس» لمحمد مجيد السعيد/ ص: 333.

الذي تحبل به الذات الشاعرة قول محمد الحلوي في هذين البيتين :

بين جنبيك قوة تجذب النا
س كما يجذب الحديد الحديد !
جمع الله ذي القلوب على
حبك حبا كأنه التوحيد(61)

فقد كرر حرفي الجيم والحاء في أكثر من موضع، فكان تكرار الجيم يعكس قوة الجاذبية، وكان تكرار الحاء يعكس قوة الحب، ومن خلال التئام الحرفين وقربهما وتناسقهما كانا يدلان دلالة عميقة على المعنى الذي صدر بهذه العفوية والتلقائية؛ مما يعني أن التجربة والصدق لهما دور هام في صنع جمالية القصيدة، دون أن ننسى أن صياغة الحرفين في إيقاع معتدل، رصين ومتميز، جعل البيتين يتميزان بنوع من القوة التي عكستها شدة الحب الذي هو قوة خارجية مصدرها السماء.

كذلك في نفس تأثير الحرفين، وفي نفس القصيدة وعند نفس الشاعر نجد قوله :

جئت من بعد حجة أتغنى
بمزاياك في الورى وأشيد
عدت في لهفة أبثك إعجا
بي وحبي والعود فيك حميد(62)

فقد كرر نفس الحرفين أي الجيم والحاء، لكن مع اختلاف في الإيقاع، إذ إيقاع هذين البيتين جاء بطيئا ليعكس الثقة والحب المتزايد، أي ليعكس مصداقية هذا الحب الذي لم يصدر إلا عن تأن وتفكير عميق.

وهو مايعني أن الحروف بدورها حين تدخل في علاقات بعضها مع البعض تكون متأثرة بنفسية الشاعر، وبإيقاعات تلك النفس في تلك اللحظة من لحظات الإبداع.

* تكرار اللفظ : ويتجلى في قول الشاعر عبد الملك البلغيثي.

نبغت بفضلك أمة العلم الذي
جددت معهده وكان خرابا
فسل المدارس كم بها من طالب
قد نال منذ حلولها الآرابا
وسل المكاتب كم يؤم رحابها
أهل النجابة يملأون وطابا(63)

فقد كرر الشاعر لفظة (فسل) التي هي فعل أمر كما كرر لفظة (كم) التي هي صيغة السؤال، فكان لهذا التكرار أثره ووقعه على النفس، إذ الشاعر كان يرمي من ورائه الاقناع، لهذا كان السؤال بصيغة الأمر وكان الجواب بصيغة الإقناع، فكانا معا في النهاية يؤكدان حقيقة المجهودات التي قام بها الممدوح، وكانا معا يساهمان في خلق جاذبية المتلقي.

ومنه أيضا على مستوى البيت قول الشاعر عبد الله العثماني :

لولاك ياملك القلوب وأهلها
ضل السبيل إلى القلوب رجاء(64)

* تكرار العبارة : ويتجلى هذا التكرار على سبيل المثال في قول محمد الحلوي :

61) «ديوان العرش»/ ص: 23.
62) «ديوان العرش»/ ص: 14.
63) «ديوان العرش»/ ص: 8.
64) «ديوان العرش»/ ص: 5.

كل يوم في ظل عرشك عيد
ليس للشعب بعد هذا مزيد !
كل يوم في ظل عرشك دنيا
عمر المرء في ضحاها مديد(65)

كما يتجلى في قول الشاعر أحمد بوستة على سبيل المثال أيضا :

كيف السبيل إلى تتبع ما رسمت
وما نظمت وما احلت جديدا
كيف السبيل إلى تقصي ذكر من
أوليته فضلا فعاش رغيدا(66)

على أن من الشعراء من كان يتوسل بالتكرار لا على مستوى اللفظ أو العبارة، ولكن على مستوى الإيقاع الصوتي كما نلمس عند نفس الشاعر في قوله :

جئناك ياملك الزمان مهنئين
مقدمين ولاءنا المعهودا
جئنا نجود آي مدحك غبطة
ونرتل التبجيل والتمجيدا
جاءت قرائحنا تصوغ زبرجدا
وتزف أسماط سمت وعقودا
جاءت تحوك من القريض بدائعا
أزهارها حملت إليك قصيدا(67)

وعلى أي فإن الشعراء وهم يجنحون إلى التكرار كانوا يهدفون إلى الإقناع والتأثير.

لكن هناك ظواهر تكررت في العرشيات وشاعت بين كافة الشعراء، كاستعمالهم مثلا لكلمة «مولاي» التي يقصد منها الاحترام أولا، ثم الإقناع ثانيا، وكاستعمالهم مثلا لفعل «مازال» وتكراره بشكل كبير، إذ كان الشعراء يقصدون من ورائه الدعاء مع الاستمرارية غير المقيدة بالزمان والمكان، في مثل قول الشاعر عبد الله كَنون مثلا :

فلازلت للإسلام فينا مناصرا
وللعلم تعلي قدره وتمجد
ولازلت فينا للعروبة حاميا
وللشعب تبني عزه وتخلد
ولازلت للعرش الذي بفنائه
تنيخ وفود الآملين فترفد(68)

وفي مثل قول الشاعر أحمد بوستة :

لازلت للإصلاح مصدر نيله
يغشى ذووه رواقك الممدودا
لازلت في كنف السعادة ترتدي
ماعشت من ثوب الفخار برودا(69)

وكما استعمل الشعراء التكرار على مختلف مستوياته لتحسين الأسلوب الشعري في قصائدهم استعملوا أيضا الجناس والطباق والمقابلة، دون أن تتحول هذه المحسنات عندهم إلى زخرف أو إلى تصنع يخفون عن طريقه عجزهم، أو ضعف موهبتهم، أو نضوب قريحتهم، لذلك فهي كانت تأتي عندهم في انسياب هادئ يعكس العفوية وغياب التكلف.

ومن أمثلة الجناس قول الشاعر محمد المهدي الحجوي :

65) «ديوان العرش»/ ص: 12.
66) نفس المصدر/ ص: 21.
67) «ديوان العرش»/ ص:21.
68) «لوحات شعرية» : ص: 63/ كذلك «ديوان العرش»/ ص: 17.
69) «ديوان العرش»/ ص:21.

مجد سما حيث لاسما تطاوله
وحيث إسناده بالوحي قد وصلا(70)

فقد جانس بين «سما» و«سما» جناسا تاما.

ومن أمثلته أيضا قول الشاعر الحسن البونعماني :

في عهد ملكك للعيون عجائب
والشعب بالملك السعيد سعيد(71)

إذ جانس بين «ملكك» و«الملك» جناسا ناقصا. ومنه أيضا قول الشاعر عبد الله العثماني :

للحق آي لاترى إلا إذا
كتبت كتائب والمداد دماء(72)

فقد جانس بين «المداد» و«دماء» جناسا ناقصا

ومنه قول الشاعر عبد الملك البلغيثي :

العيد عاد بليلة القدر التي
نالت من الفضل العظيم نابا(73)

إذ جانس بين «العيد» و«عاد» جناسا ناقصا.

ومن أمثلة الطباق قول الشاعر عبد الله العثماني :

أضفيت منه على البلاد أشعة
يمشي بها العميان والبصراء(74)

إذ طابق في الشطر الثاني بين «العميان/ والبصراء»

ومنه قول الشاعر عبد المجيد بن جلون :

مجيد في الغياب وفي المقام
منار في الضياء وفي الظلام

إذ طابق في الشطر الأول بين «الغياب» و«المقام»، وفي الشطر الثاني بين «الضياء» و«الظلام».

ومن أمثلته أيضا قول الشاعر أبي بكر الكتاني :

هذي البلاد كبيرها وصغيرها
تشدو ببرك طارفا وتليدا

ومنه أيضا قول الشاعر محمد المنتصر الكتاني :

أنت الرجاء لهذا الشعب في سلم
وفي الحروب غياث الخائف الوَجِل(75)

ومن أمثلة المقابلة قول الشاعر عبد الله العثماني :

ومشى إليك الدهر مستند الخطى
وبه لغيرك تاركا خيلاء
هدمت سجونا للفتاة أقامها
لشقائها في المغرب السجناء(76)

وقول الشاعر أحمد عبد السلام البقالي :

متى كنت يافرنسا علينا خليفة
يولى علينا من يشاء ويعزل ؟
لئن كان يافرنسا ضميرك ميتا
فإني على إحيائه اليوم أعمل
فخوض المنايا في سبيل كرامتي
علي من الإخلاد للذل أسهل
غدا تشرق الشمس التي أنت نورها
ويجلو ظلام الليل عنا ويرحل

70) «السعادة» : عدد 4630/ 35/ 18 نونبر 1938.
71) «المعسول» : ج. 13/ ص: 164.
72) «ديوان العرش»/ ص: 6.
73) «ديوان العرش»/ ص: 7.
74) «نفس المصدر»/ ص: 5.
75) «جريدة الوداد» : عدد 150/ 6/ 17 نونبر 1942.
76) «ديوان العرش»/ ص: 7.

وتضحى أمانيا البعاد قريبة
دواتي .. من أغصانها تتدلل (77)

ومن ذلك أيضا قول الحسن التناني :

يوم به أشرقت شمس السعادة في
هذي البلاد فزالت ظلمة النوب(78)

وقول محمد البوعناني :

تعاليت حتى ما استطاع عدونا
إليك صعودا، ثم أنت قريب !(79)

وقول عبد الله العثماني :

شتان بين المالكين فأنصفوا
أوطانهم والمالكين فضاموا(80)

ومهما يكن فإن هذه المحسنات تبقى جانبا مهما يكشف عن إشراقة اللغة، وعن عدم تورط شعرائنا في تحويلها إلى قوالب جاهزة يبثون فيها مشاعر ميتة.

لكني قلت سابقا : إن اللغة عند الشعراء هي مستويات، فهي تختلف من شاعر إلى آخر، ومن قصيدة إلى أخرى، فهي أحيانا تقف عند حدود الواقع في سطحيتها وتقريريتها.وفي وصفها للأشياء الخارجية، وأحيانا تقف عند مشارف الرؤية لتكشف عن عمق الأشياء وجوهرها، والسبب في ذلك - كما قلت - راجع إلى التجربة وإلى المعاناة، وكلاهما لا يمكن أن يتولد إلا في ظل الوحدة التامة بين اللفظ والمعنى، بين الشكل والمضمون، بين الذاتي والموضوعي.

إن الإنسان لا يعجز عن امتلاك اللغة، ولكنه يعجز عن احتوائها ونسيانها داخل إيقاع جسده، وكثير من شعراء العرشيات يبدو فعلا أنهم امتلكوا اللغة امتلاكا حقا، فهم يداعبونها، يستأنسون بقوتها وسلطتها، يشعرون بهيبتها، يمتصون شفافيتها، يلامسون مكنوناتها، يستفيدون من ذخيرتها، يحسنون التمتع بجمالها، فهي تجري في دمهم، تسري في عروقهم، وهم حين ينتزعون الكلمة ينتزعونها من أعماق وجدانهم، فتأتي مفعمة بحرارة المخاض، وبباعث الأمل.

لكن بعضهم في شتى الحالات يبقى عاجزا عن امتلاك التجربة، لأن التجربة لا تمتلك وإنما تولد، فهي تبعث في قلب الشاعر وتكبر في وجدانه، وتتنفس في ذاته لتخرج إلى الوجود معبرة عن ميلاد نص جديد تمتلكه الثقافة، ويمتلكه الدرس الأدبي، ويمتلكه الزمان والمكان. هذا النص حين يتمتع بالحياة، ويساهم في طرح قضاياها وبلورتها يصبح مسكونا بهاجس التغيير، ولكنه أيضا يصبح مسكونا بهاجس الذات الجماعية، فهو يصبح ملكا للجميع، ولا يصح للشاعر مطلقا أن يدعي بنوته الشعرية أو امتلاكه الفردي.

وحين يعيش النص وحدته وعزلته وغربته التي تعني موته وعجزه عن المشاركة في الحياة والمساهمة في دفع حركة التاريخ يفقد مصداقيته، ويصبح ركاما من الماضي نحن إليه باستمرار، لكن نخشى على أنفسنا منه فتنة الدهر أن تعبث به، وتعبث بعقولنا، فنرد جموده حركة، وموته حياة، وضعفه قوة، وهزيمته نصرا، فيخيب ظننا في الثقافة، ويفلت من أيدينا زمام التحكم في سليقة الذوق، فنزلق نحو الرجعية والجمود والتقليد.

الجديدة - عادل بنمنصر

77) «ديوان أيامنا الخضراء»/ ص: 64-65.
78) «المعسول» ج. 15/ ص: 97.
79) «مجلة الأنوار» : عدد 32-33/ 7 شتنبر- دجنبر/ ص: 23.
80) «جريدة العلم» : عدد 997/ 19 نونبر 1949.

مميزات شعر العرشيات

للأستاذ خالد التوكي
أستاذ باحث - الرباط

إن مميزات شعر العرشيات تستوقف الدارس أثناء دراسة شعر العرش، لأنها مميزات مستمدة من واقع البيئة، ومن واقع الظروف الحضارية التي كانت تجتازها الأمة، ولأنها مميزات من طبيعة الموضوعات، ومن طبيعة القضايا التي عالجها هذا الشعر، ومن طبيعة نمط الفكر الذي أفرزته هذه التجربة بكافة أشكالها ومعاناتها.

وإذا كانت مميزات هذا الشعر كثيرة ومتعددة، فلا شك أن أول ميزة تثير انتباه الدارس هي ميزة «التفاؤل» التي ظلت تطبع ديوان شعر العرش منذ انطلاق تجربته إلى يومنا هذا. فعلى الرغم من حجم المعاناة، وعلى الرغم من الواقع المؤلم الذي كانت تعيشه الأمة من جراء الاستعمار الذي حول حياتها إلى يأس وحزن، وأحال عزتها وكرامتها إلى ذل وهوان، وحطم كافة أحلامها في العيش الرغيد، على الرغم من هذا كله فإن شعر العرش لم يضعف لحظة، ولم يفقد الثقة هنيهة في الغد الآتي، فلم يتوقف يوما عن زرع الابتسامة في جبين الأمة، ولم يتوقف يوما عن شحنها بطاقة الصبر والأمل التي فجرتها ينابيع التفاؤل، فكان بحق بارقة الأمل التي تضمد الجراح، وكان بحق الزاد الذي يقوي الإيمان، وكان بحق الشعلة التي تضيء طريق النصر:

غدا تشرق الشمس التي أنت نورها
ويجلو ظلام الليل عنا ويرحل
غدا تلبس الدنيا ربيع شبابها
وينمو بها الزهر الذي ليس يذبل
وتضحى أمانينا البعاد قريبة
دواني من أغصانها تتدلل
وتخرج من أرضي فرنسا طريدة
تجر ضميرا بالجريمة مثقل(1)

1) انظر ديوان: «أيامنا الخضراء» لأحمد عبد السلام البقالي/ ص: 65 (المطبعة الملكية).

والحق أن ميزة التفاؤل التي نتحدث عنها إنما هي ميزة لها جذور عميقة في تربة تفكير شعر العرش، وفي تربة تكوين شعرائه، لأنها ميزة ارتبطت أساسا بنشأة عيد العرش الذي كان في حد ذاته ضربا من التفاؤل، وضربا من التحدي لسلطات الاستعمار التي مانعت في البداية من الاحتفال به.

لهذا، فإن هذه الميزة هي من صميم التجربة الشعرية التي واكبت هذا العيد، وواكبت الاحتفال بذكراه، كما أنها من صميم التربة التي ساهمت في خلق نشأته وفي خلق هذا اللون من التجربة الشعرية.

ولهذا أيضا - أي لهذا السبب - كانت هذه الميزة غالبا ما تتجلى في حديث الشعراء عن الذكرى وعن عيد العرش، لاسيما في مقدمات قصائدهم وفي مطالعها، ولا سيما في حديثهم بصفة عامة عن العرش، وعن صاحب العرش.

ويقول عبد الملك الشيباني:(2)

أرى العيد عيد العرش لاحت كواكبه
فأشرق وجه الدهر وابيض جانبه

ويقول محمد العلمي:(3)

بسم الدهر واستبان الرجاء
وتناءت عن قطرنا البأساء
واطمأن الفؤاد بالنور لما
أبصر الكون يجتليه السناء

إن هذا الطابع، أي طابع التفاؤل الذي عم شعر العرش لايمكن فصله بتاتا عن التربة التي نشأت فيها تجربة شعر العرش...، إن هذا الطابع امتزجت به نفوس شعراء العرش، فتحول الشقاء عندهم إلى سعادة، وتحولت المنى البعيدة إلى منى قريبة، فاختفى الليل، وتلاشى الظلام من شدة الثقة في الغد الآتي، ومن شدة الثقة في شخص جلالة الملك محمد الخامس :

صاحب المجد والجلالة
بلدي كاليتيم في خلانه
قابل العيد وهو ينتحل السعـ
ـد ويخفي الشديد من حرمانه
بلد عضه الزمان وسم الحية
الرقطاء في أسنانه
جعلوا حسنه وبالا عليه
ووبال الزمان في إحسانه
كاد أن يفقد التجلد
زمرة المخلصين من شبانه(4)

وإذا كانت ميزة التفاؤل قد تجلت بهذا الشكل الضمني في بعض القصائد ولا سيما في مقدماتها ومطالعها، فقد تجلت أيضا بشكل صريح ومؤثر في قصائد أخرى، ولا سيما في خواتمها.

فعلى سبيل المثال نجد مصطفى الغرباوي يختم إحدى قصائده بهذا البيت، وفيه يؤكد بلهجة المتفائل على عودة مجد الأمة قائلا :

ما خاب حب ذكت في الشعب جذوته
أوضاع حق ليس له أوصال(5)

وهو تفاؤل يمتزج فيه الحب بالثورة، مما قد يطرح إشكالا في شعر العرش، أي كيف يحدث هذا الامتزاج ؟ إن سبب هذا الامتزاج راجع إلى كون شعراء العرشيات وهم يستغلون خاصية التفاؤل يستغلونها في إطار دقيق، وفي إطار نهج محكم، فهم يقرنون التفاؤل بشيئين :

1 - بالفعل الثوري.
2 - بالالتحام بين العرش والشعب.

2) جريدة الرأي العام/ عدد : 32/ 1/ 21 نونبر 1947.
3) جريدة العلم/ عدد : 683/ 3/ 18 نونبر 1948.
4) مجلة رسالة المغرب : أبو بكر حسن اللمتوني/ عدد : 8/ 7 أبريل 1948/ ص : 495.
5) جريدة الرأي العام/ عدد : 177/ 4/ 24 نونبر 1950.

فعبد الهادي بوطالب في قصيدته : «بايع الشعب فيك منقذ جيل» يقرن التفاؤل بالسعي، أي بالفعل الثوري وبالعمل النضالي اللذين من شأنهما أن يعيدا مجد الأمة المسلوب، فهو يقول :

ليس عسر يدوم إن هب شعب
لدفاع، لن يغلب العسر يسرا(6)

كذلك من المميزات البارزة في شعر العرش خاصية شيوع النزعة الرومانسية، خاصة لدى الشعراء الشباب، أمثال محمد الحلوي، وعبد الكريم بن ثابت، وعبد المجيد ابن جلون، وعلال بن الهاشمي الفيلالي، ومحمد بن المهدي العلوي، وغيرهم من الشعراء الذين تأثروا بموجة التجديد التي عرفها الشرق العربي.

والرومانسية التي تجلت في شعر العرش وفي الشعر الوطني عامة، اصطلح الدارسون على تسميتها «بالرومانسية الوطنية»، أي الرومانسية التي لم تستطع فيها الذات الشاعرة أن تظل حبيسة أبراجها العالية، تلوك همومها الفردية وتجترها في بعد عن الذات الجماعية، بل هي رومانسية استطاعت أن تعبر عن شخصية الفرد، وأن تستجيب لمشاعر الجماعة ولمواقفها، كما استطاعت في غالب الأحيان الالتزام بالأغراض العامة مع المحافظة على التقاليد الشعرية في شكل الموسيقى، ومع التعبير عن العاطفة الدينية التي تكاد تكون حظا مشتركا بين أدباء المغرب جميعا(7).

إن هذه الرومانسية - التي لم تكن فيها الذات الشاعرة ذاتا منغلقة على نفسها - لم تكن رومانسية متشائمة مثل «الغنائية التي انحصرت في نطاق شخصية الشاعر، واعتصرت عواطفه الذاتية، وصدرت عما ينتجه الإحساس القوي بالذات في مواجهة الواقع الخارجي»(8)، وإنما كانت رومانسية متفائلة استطاعت أن تهب للنص الشعري العرشي مسحة من الذاتية المغلفة بمشاعر حب الوطن : أرضا، وشعبا، وعرشا، وتاريخا، ففي هذه الرومانسية امتزج حب الملك بحب الوطن، وجمال الطبيعة المغربية ببهجة عيد العرش.

والمتأمل في شعر العرش سيجد هذه الرومانسية متجلية في عدة مواطن :

أ - في موطن الكشف عن إحساس شاعر العرش إزاء صاحب العرش، وعما يمثله بالنسبة إليه من مشاعر إنسانية تجعله يتغنى من خلاله أغنية الوطن والحرية :

ملك الشعب ما مدحتك لكن
ثار حبي ففاض شعرا منضدا
لك أزجيه كالمنى... كزهور
وجدت في ذراك ظلا برودا
كصلاة.... كطائر يتغنى
بعلا العرائش صادقا غريدا
أنت أعلى ذكرا من المجد في الكو
ن، وأصفى من الشعاع جدودا
أنت حامي الحمى، آمال الشعب
خنق القيد صوته المجهودا
أنت ظل النبي قد غمر الكو
ن، فأنى لشاعر أن يشيدا
همة كالصباح تبتكر المجـ
ـد وتحيي من الفخار التليدا(9)

ب - في موطن الكشف عن مقدار الحب الذي يكنه الشعب للعرش :

يا راعيا حوله الأرواح خافقة
نشوى ترتل كالطير الأغاريدا

6) «ديوان العرش» ص : 32، كذلك جريدة الرأي العام/ عدد : 31/ 1/ 29 نونبر 1947.
7) انظر كتاب «في الآداب المغربي المعاصر» للدكتور عبد الحميد يونس، والدكتور فتحي حسن المصري/ ص : 96.
8) نفس المرجع/ ص : 96/ 97.
9) مجلة الرسالة : علال بن الهاشمي الفيلالي/ عدد : 18 نونبر 1952.

تحيط كالهالة الكبرى بطلعته
فتغمر الكل إحساسا وتوقيدا
أفعمت بالحب أرواحا مولهة
فألفوها وصاغوها أناشيدا
كأنها في فم الدنيا مرتلة
لحن الملائك في مزمار داودا
إذا رأوك رأوا فيك المنى بسمت
والعزم مستجمعا والتاج معقودا(10)

ج - في موطن الكشف عن قوة وصمود العرش :

سألت نجوم الليل عنك فقلن لي
أعن توأم الشمس المنيرة تسأل ؟
أعن ذلك النور الذي ليس ينطفي
أعن ذلك النجم الذي ليس يأفل ؟
أعن ثائر أصلى فرنسا وصحبها
لظى، وهو في المنفى أسير مكبل(11)

وخلاصة القول، إن ميزة حضور النزعة الرومانسية في شعر العرش، قد وهب القصيدة العرشية نفسا وجدانيا جعل منها وعاء شعريا غنيا بمشاعر الدفء والحب، فهذه الخاصية غالبا ما جاءت في شكل ومضات بريئة، منبعها إحساس صادق، وهيام حقيقي ليس فقط بالطبيعة، وإنما أيضا بالذكرى، وبصاحب الذكرى؛ إنها خاصية جاءت في صورة مشاعر حالمة انسابت من وجدان الشاعر الوطني، وأضفت على القصيدة العرشية ألوانا زاهية، وأنغاما عذبة، وإحساسات رقيقة(12)، عبرت عن رومانسية وطنية فريدة من نوعها، امتزج فيها الحب بالوفاء والتفاؤل.

ومن أبرز مميزات شعر العرش كذلك، شيوع الروح الإسلامية فيه، حيث كان لهذه الروح الدينية حضور مكثف في هذا الشعر، مما جعلها تطبعه بطابع خاص، ومما جعلها تغلفه بمسحة فيها من الجلال والقدسية ما يعبر عن مدى تغلغل الشعور الديني في نفوس شعرائنا، وما يعبر عن مدى رسوخ هذا الشعور في ذوات المغاربة أجمعين، لاسيما وأن النهج الإسلامي كان وما يزال أقوى نهج، ولا سيما وأن الأسرة الحاكمة كانت وما تزال تقوي أصرة هذا النهج بسبب انتمائها إلى بيت الرسول الكريم، ولا سيما وأن هذا الشعر صادف وطنا مسلما غيورا على دينه وعقيدته.

كما تجدر الإشارة أن الروح الإسلامية كان لها بالغ الأثر في تكييف الشعر العرشي تكييفا ينسجم مع مقومات الأمة وتطلعاتها الفكرية والدينية، غالبا ما كانت تتجلى في المواقف التالية :

1) في موقف الدفاع عن الإسلام وتمجيده وحبه.

يقول إدريس الكتاني :

الله أكبر هذه الأعلام
رفعت فعز برفعها الإسلام(13)

2) في موقف الاعتزاز بالعرش الذي يعلي من شأن الإسلام بسبب دفاعه المستميت عن مقومات الأمة.

لعرشك في الإسلام عيد مخلد
لأنك للإسلام نعم المجدد
جبرت عمود الدين فور انكساره
وكان عدو الدين في الكسر يجهد
دعا دعوة للجاهلية تنتمي
عسى أن شمل المسلمين يبدد
رفعت لواء للعروبة خافقا
بفضل خطاب في المواقف يحمد

10) «ديوان العرش» : محمد العلوي/ ص : 18.
11) أحمد عبد السلام البقالي من ديوانه «أيامنا الخضراء» ص : 64.
12) من مقال «شعر العرشيات» لعبد الواحد بن صبيح.
13) انظر «ديوان العرش» ص : 42.

قضيت على آمال مؤتفك قضى
بتقطيع أرحام وعهد يؤكد
وأعلنتها في عزة هاشمية
بأنك للعرب المقاول تخلد(14)

3) في موقف الإشادة بالعرش الذي ينشر العدالة، ويناصر الدين، ويرفع بنده عاليا.

يقول أحمد بوستة :

العرش بالإسلام شدت صروحه
وبه استلمت لواءه المعقودا
وبهديه الأسنى أنرت سبيله
مذ صرت من أنصاره معدودا
ورفعت للدين الحنيف مناره
وأقمت أحكاما له وحدودا
وبك العدالة أصبحت معتزة
والجور أضحى هالكا موؤودا
لولاك ساد الظلم وامتدت صوا
رمه، وألفى جانبا معضودا
بالعدل بالإحسان بالبر الذي
أسديته صرت الهدى المنشودا(15)

4) في موقف الدفاع عن الشريعة، أي شريعة الحكم والعرش، يقول محمد بن عبد الله العثماني :

يامن تبوأ بالجدارة والحجا
عرشا عليه من الجلال لواء
جنباته شرع الكتاب وهديه
وحلاه وحدة أمة وإخاء
فتحته باسم الحق لما شيدت
أركانه الأجداد والآباء(16)

5) في موقف إظهار ولاء الشعب للعرش.

يقول محمد الحلوي :

وكأني بعرشك اليوم فينا
كعبة نحوها تحج الوفود
تتوالى على حرامك ظمأى
ظمئاكم يزيد فيه الورود
فارض عنها فقد تعودت منها
طاعة لاتني وحبا يزيد
أمعيدا إلى النفوس حجاها
ورسولا كتابه التجديد(17)

6) في موقف الدعوة لربط ماضي البلاد بحاضرها، أي في موقف الدعوة لتحرير البلاد من الاستعمار.

صل الماضي المجد ياشعبي بحاضره
واسعد بما سعدت به أوالينا
إن طال ليل بلادي، فهو منقشع
نور التحرر ياشعبي يحيينا
ظل العروبة والقرآن يجمعنا...
بالمسلمين ويحييهم ويحيينا
لنا روابط من دين ومن رحم
تجاه قبلتنا يسمو تلاقينا(18)

7) في موقف إظهار النصر الذي هو نصر من عند الحق.

يقول عبد الكبير العلمي :

الله أكبر نجدة الله انجلت
وتمثلت عند الهمام معانيا
الله أكبر في الصدور تهللت
وتجسمت عند ابن يوسف ضمنيا

14) «لوحات شعرية» عبد الله كَنون/ ص : 57/ 58 - تطوان 1966.
15) «ديوان العرش» : ص : 20.
16) نفس المرجع : ص : 4/ 5.
17) ديوان «أنغام وأصداء»/ ص : 34/ 35 - دار السلمي - البيضاء (بلا تاريخ).
18) «غيثة العلمية» : جريدة العلم/ عدد : 1623/ 6/ 18 نونبر 1951.

الله أكبر في السماء ترددت
شوقا وإخلاصا وحبا عذريا(19)

إن هذه المواقف جميعها تجلت فيها الروح الإسلامية بشكل وضاء ووهاج كشف عن مدى تغلغل الدين الإسلامي في نفوس شعرائنا، ومدى تفاعلهم مع روحه الطيبة، ومدى إخلاصهم ووفائهم لهذه الروح.

وإذا كان شيوع الروح الإسلامية في شعر العرش، وبهذا الشكل المكثف أمرا طبيعيا، فإن هذه الروح هي إحدى الأسباب القوية التي تجعل القارئ أو المتلقي ينفعل مع هذا الشعر ويتأثر به، إذ هذا الأخير يجد الذاتية الإسلامية بارزة في صفائها ونقائها، ويجد نفسه في النهاية محاصرا بذاكرة إسلامية قوية تعيد إلى نفسه طمأنينتها وسعادتها، وتعيد إليه الثقة في عودة مجد الأمة العربية والإسلامية.

ومن المميزات البارزة في شعر العرش أيضا، خاصية استلهام التاريخ المغربي، وهي خاصية طبعت شعر العرش بطابع قومي تجلت فيه روح الشخصية المغربية في كافة أبعادها الفكرية والدينية والسياسية والحضارية من خلال استلهام شعراء العرشيات لأحداث التاريخ المغربي المجيد، ومن خلال استحضارهم للرموز التي صنعته، ومن خلال استحضارهم الأسر التي تربعت العرش المغربي وكان لها شأن عظيم في جعل المغرب بلدا قويا منيعا، ذا إشعاع ثقافي وحضاري متميز.

فهذا الشاعر المرحوم علال الفاسي يستلهم تاريخ المغرب، ويحتفي بالجوانب الإصلاحية التي نهض بها العرش العلوي:

فذاك ابن عبد الله حين توافرت
لديه صفات سرها البر والجهر
فأحيى رسوم الملك بعد اندراسها
وكان له في سنة المصطفى نشر
وأحسن ترتيب العلوم ودرسها
فكان له في ذاك عارفة بكر
وقاوم تضليل العقول وحجبها
ونشر خرافات يعم بها الوزر
وجاهد في التوحيد بين ممالك
يؤلفها الإسلام والمنطق السحر
مواقف لايبلى مدى الدهر ذكرها
يخلدها في كل ناحية سفر(20)

والحقيقة أن شعراء العرشيات، وهم يستلهمون أحداث التاريخ المغربي المجيد، ويستلهمون تاريخ البطولة المغربي، ويستحضرون الرموز التي صنعت هذا التاريخ، إنما كانوا يحاولون بشكل أو بآخر الكشف عن قوة الشخصية المغربية التي صنعت العرش وصنعها العرش في محاولة ربط ماضي الأمة بحاضرها، وفي محاولة تذكير الأمة بماضيها وبمجد أسلافها، وفي محاولة جعل العرش والشعب يتحصنان لمواجهة التحديات التي تسعى إلى تفكيك هذه الرابطة، وخلق هذا الانفصال بين الماضي والحاضر.

لهذا لم يكن استغلال التاريخ في شعر العرش استغلالا عشوائيا، بل كان استغلالا تحكمه رؤية خاصة، هي محاولة تحريك العرش بالأساس للمحافظة على التراث الذي خلفه له الأجداد، أي دفع العرش ليظل قويا حتى في ظروف المحنة، ودفعه ليظل معقد الآمال، كما كان في الماضي.

الرباط - خالد التروكي

19) السعادة/ عدد: 9531/ 19 نونبر 1955.
20) «ديوان علال الفاسي»: ج: 1 - ص: 104.

شعبي العزيز:

إن احتفاءك الخاص بعيد العرش يعود لخاصيته المتمثلة في تجسيده لتلاحم مقدسات المغرب الثلاث : الإسلام والملكية والوطن، حيث أرسى العرش، بفضل الإسلام والملكية مكونات الوطن، التعددية الحضارية، والثقافية والجغرافية، وجعلها مصدرا مستمرا لوحدته، كما شكل هذا الإلتحام بينك وبين العرش حصنا حصينا أكسب المغرب قوة ومناعة، بهما تمكن من الصمود أمام أخطر الصعاب والأزمات، وتخطى أعتى العراقيل والعثرات، ورفع مختلف العوائق والتحديات، واجتاز الإمتحانات الحاسمة، ومنعرجات التاريخ الصعبة، وهو أكثر ما يكون ثباتا وشجاعة، وأقوى تضامنا وأوفى عهدا.

من خطاب أمير المومنين
جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده
إلى الأمة المغربية
بمناسبة عيد العرش المجيد لسنة 2000
والذكرى الأولى لتربع جلالته على عرش
أسلافه الميامين

ديوان المجلة

باقة شعرية

بمناسبة عيد العرش المجيد

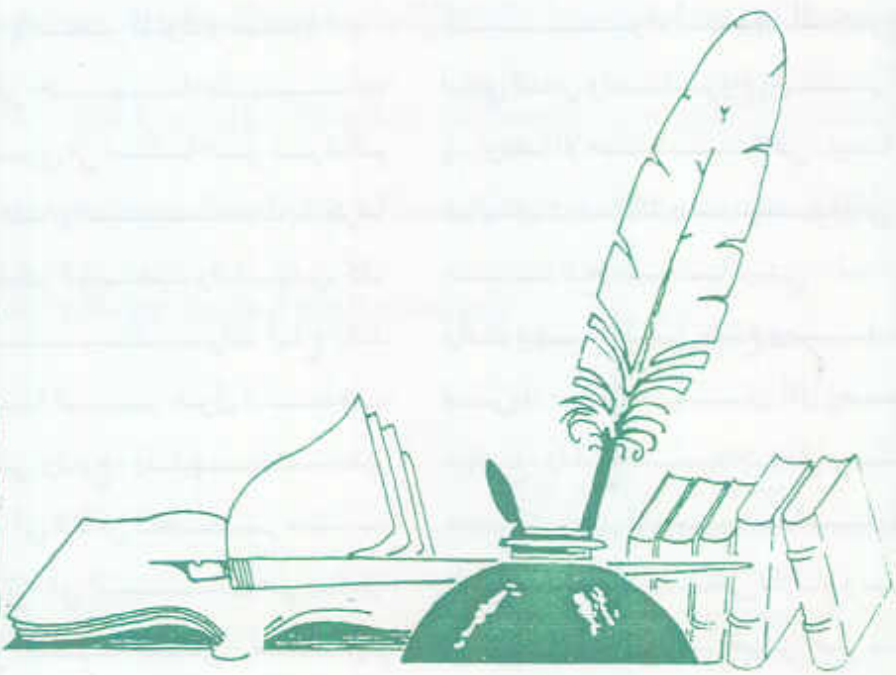

محمد السادس للمكارم منبع

للشاعر الأستاذ عبد الكريم التوائي
- فاس -

هل العيد عيد العرش باليمن طالع ... ليساليه أقمار الهناء السواطع
وأيامه يا خير بشرى لأمة ... يراودها الإسعاد والدهر طيع
مباهجها نشوى تغني وتحتفي ... وترقص جذلى بالحياة فتمتع
«محمد» يا فخر الملوك وعترة - م - ... النبوة، أنتم للمكارم منبع
تملتك يامن في حماه تفيأت ... أيادي الندى واستروح الخير أجمع
قلائد شعري في مفاخر عرشكم ... يراودها الإخلاص: دينا ويرفع
فجاءتك عذرا تستمحك بشكرها ... لما بذلت يمناك جذلى ترجع:
أناشيد شكر الشعب، والشعب كله ... مدائح ما تبني - له - وتطلع
وإنك في الخيرات أبدع رائد ... وأنت بها لَسْنٌ بليغ ومصقع
وأنت لدنيا البر طوق مذهب ... فريد - وللإحسان أذن ومسمع
وإنك بالجلى ولوع، وللهدى ... مطيع، وللنجدات وبل ومرجع
فإن قيل أي الناس للخير منشد ... فأنت بحق للمحامد تهرع
وإن قيل : أي البذل عم عطاؤه ... فإنك نعمى للأنام ومرتع
وآل المثنى في المفاخر - مالهم ... مثيل - وهم للفخر أصل مشرع
مغانيهم للمعتفين مقاصد ... وسوحهم للمجد مغنى ومربع

وقد أثلوا الأمجاد قدما وإنهم ... لها منتهاها مذ قديم ومجمع
فإن تك بأسا كنتم الدرع دونها ... وان أجهدت لأواً فغيث ومنجع
وإن غيركم لم يطلب المجد مغنما ... أثيرا، قد استهواه ما ليس ينفع
فأنتم لتشييد المآثر عشتم ... وأنتم رجاها والمنى والتشيع
بذلتم دماكم - والنفوس وهبتم ... فداها وأنتم في المعامع أدرع
ومن يعشق الأمجاد، والعز، والعلى ... ير الموت هونا والنوائب يصرع
فنلتم من الدنيا أجل مآرب ... وجنات عدن مبتغاكم ومضجع
فقل للألي باعوا المحامد واقتنوا ... سواها لبئس التجر رمتم ومهيع

**

**

«محمد» والرأي السديد وهبتمو ... وإنكم والله نعم السميذع(1)
وأولاك ربي للتي أنت أهلها ... وآنت لها كفء تجيد وتقنع
ومثلك من يدعى لكل ملمة ... ففيك اقتدار نادر وتورع
رآى فيك ما يرضي الحياة وشأنها ... وأنت بما يعلي بنيها مولع
فأولاك ما أولاك عزا ورفعة ... وأنت لما أولاك أهل وموضع
وقلدت ما قد ناء منه فطاحل ... وأنت بما قلدت حام ممنع
وعينت للجلى وأنت لها الفتى ... فحققت ما يرجى وما هو أروع
وما بطرت عطفيك نعمى. وإنما ... شكرت. وشكر الله للمرء أنفع
فإن ترحم الضعفى، فربك شاهد ... يثيب ويجزي العاملين ويمتع
وفعلك للإحسان عقبى مثوبة ... بها المجد والتاريخ يعلو ويرفع
وتركك مجدا للبنين مواقف ... ستتلى أياديها وليس تضيع
وما غير فعل الخير للمرء مخلد ... ولكن فعل الخير للخلد موضع
مواقفك الحسنى حصادك. والورى ... شهود ودنيانا متاع مودع
ومن يع دنياه. ويسبر صروفها ... ير الخير أجدى ما يراد ويصنع
«محمد» ما ضاعت مآثر أمة ... تواصى بنوها بالهدى وتدرعوا
وما أنتم إلا منائر للهدى ... يبدد ديجور الظلام فيسطع

1) السميذع : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف.

وآلك مذ كانوا «محمد» عترة ... إلى الحق تهفو - للعوارف مترع
وقد نهضوا للخير يعلون شأوه ... ويحمون دينا بالمناقب يلمع
فإن جارت الأيام واربد بأسها ... ففي سوحهم تفريجها والتصدع
وما كنتم إلا منى ومسبرة ... وتلك أياديكم بدائع تسطع
وأنت ربيب الحمد وابن ربيبه ... سراة بأعلام النبوة رصع
بكم زهت الدنيا وأينع ركبها ... فما هي إلا أنعم وتمتع
فإن تبتهج أوطاننا بك إنكم ... هواها المفدى والفؤاد المولع
ولم تك إلا ما أردت. ولم تكن ... سواكم ولكن هي للعرش مدفع
وكان لهذا الشعب عرشك حصنه ... المنيع. وما يرجوه أو يتوقع
«وقيدت نفسي في ذراك» مودة ... وودك - حقا - أمنيات ومطمع
فيمم مغناكم بديع قصائدي ... وألقى عصاه واستطيب التربع
أخاك - أخاك يا «محمد» إنه ... لما تتمى أيد ومبايع
رشيد الرؤى ثبت الجنان موازر ... لما ترتضي، والنهج نهجك يتبع
وما أنتما إلا قلائد أيكة ... بها المغرب الأقصى يلوذ ويلمع
«محمد» يا زهر الحياة وموئل ... الأماني بك اللأحنا تشيد ترجع
حماك إله الكون فضلا ونعمة ... يحقق ما ترجو، وما له تتطلع

فاس - عبد الكريم التواتي

الملك العدل

للشاعر الأستاذ البشير التزنيتي
- الرباط -

فداؤك شعب.. أيها الملك العدل ... فأنت الذي من شأنه القول والفعل
وأنت الذي يفديك كل ابن حرة ... تجلى له في شخصك الخير والفضل
وما شعبك المعطاء إلا محطة ... بها المثل الأعلى تردد من قبل
وما هو إلا من أصول تفاعلت ... فأخصب فيها من تآلفها النبل
وما سطر التاريخ في صفحاته ... سوى أنه المقدام والصامد الفحل

**

وفي عيدك الميمون يغمر قلبه ... عريض الأماني والتباشير والفأل
وقد ذاع عنك اليوم أنك حامل ... بحق لواء.. لونه الحق والعدل
ووطدت بين الشعب منذ رعيته ... وفاقا.. به زال التضاغن والغل
وبات الشريد المعوز اليوم مقبلا ... على أفق.. يجلو به العجف والمحل(1)
وأصبح يرنو نحو أفضالك التي ... يميزها الإيثار والجود والبذل

**

وقد كان من سعد الطوالع أننا ... سعدنا بشهم.. دأبه الجمع والوصل
فأقبل في أيامه البيض نازح ... وعاد بعيد الدار والتأم الشمل
وقد كان قبل اليوم آمال أمة ... فكان لها نعم المؤمل والكفل(2)

1) يجلو: يرحل ويذهب. والعجف بتسكين الجيم: الأكل دون الكفاية والشبع. والمحل: الجدب والفقر.
2) المراد بالكفل هنا وهو بكسر الكاف وتسكين الفاء: السند يحفظ التوازن ويحميه.

طلعت عليها كالهلال مبشرا ... بشكل جديد.. لا يماثله شكل
رداؤه أمن سابغ وشعاره ... شريعة روح الحق.. والمذهب السهل

* *

تبوأت دست العرش وهو موطأ ... يرصعه الإجماع والموقف الفصل(3)
وما كنت ممن قلبه عرف الكرى ... ولا كنت ممن عزمه آده الحمل(4)
وحزت مضاء الحسم وهو فضيلة ... توارثتها.. والفرع يمهره الأصل(5)
وجندت للتطهير جندا غدا به ... لدى الناس شغل.. ليس من بعده شغل
وصغت علاجا يقتفي كل آفة ... تصاب بها الأوطان والضرع والنسل
وما من لبيب يشهد العدل ساريا ... على الناس.. لم يركبه زيغ ولا ميل
سلكت سلوك الراشدين ونهجهم ... على وفق ما يجري به القول والفعل
فأصبحت للخلق العظيم نموذجا ... يزينك منه الفيض والوافر الجزل
وقمت إماما حازما في شبابه ... فكيف وأنت العاهل الحازم الكهل؟(6)

* *

ملكت فؤادا لا يزعزعه الهوى ... يزول به عنك التردد والمطل(7)
فلا غرو إن ناضلت ياسبط أحمد ... لترسيخ ما يقضي به الشرع والعقل
تجيب نداء المستغيث مبادرا ... وإن بعدت عنه المسالك والسبل
وأوليت عطفا صادقا ومودة ... لإخواننا بالقدس.. إذ طفح الكيل(8)
وواسيت أبطالا مغاوير عزلا ... وصرعى.. تفشى بين أهلهم الثكل(9)
وتملك يا ابن الأكرمين بدائلا ... بها يستبين الحل.. لو روعي العدل
ولكن قوما قد طغوا وتجبروا ... وظنوا غباء.. أن بغيهم الحل
وما ذاك إلا من ضلال تواترت ... به كتب الأديان والسمع والنقل
وقول بعيد في الذي لا يكفه ... عن البغي نهي.. أن يكون له أصل

---

3) الدست : موضع القعود من الكرسي أو السرير. والموقف الفصل هو ما يفصل بين الخلافات ويحسمها بإقرار الحق.
4) الكرى : النوم وآده يؤوده الحمل بكسر الحاء: ثقل عليه وأعجزه.
5) مهره يمهره إذا طبعه وختمه بالمهر بضم الميم وهو الخاتم يختم به.
6) الكهل : المشرف في عمره على الخمسين حولا.
7) المطل التسويف والتطويل في الإنجاز.
8) طفح الكيل : كناية عن بلوغ الأمر مداه.
9) عزل بضم العين وتشديد الزاي المفتوحة جمع أعزل وهو من لا سلاح له. والثكل بضم الثاء: فقد الوالدة لولدها بالموت.

وقد جاء حكم الله في كل معتد ... أثيم لئيم.. أنه الخزي والخذل
وليس لكبح المعتدين سوى الردى ... ومن يحمل الأنصال.. أودى به النصل(10)

* *

إليك أيا فخر البلاد ورمزها ... تحية إجلال.. يرددها الكل
وصانك رب العالمين بصونه ... ودام إليك.. الأمر والعقد والحل
ولف على جنبيك آية حفظه ... وأبقاك للمحتاج كالغيث تنهل
يحف بك المولى الرشيد موفقا ... ويمضي على ما تشتهيه ولا يألو(11)
يعين على حمل الأمانة قادرا ... وتشركه في الرأي.. وهو له أهل
وأسعدك الرب الكريم بقربه ... وعم ربانا منكما الأمن والعدل

الرباط - البشير التزنيتي

10) الأنصال جمع نصل وهو حديد الخنجر أو السيف. وأودى به : أهلكه.
11) ولا يألو أي يبطىء ولا يقصر فيما يقوم به.

يا حبيب الشعب يا أغلى حبيب

للشاعر الأستاذ عبد الحميد بنزوينة
أستاذ بالمدرسة المولوية - الرباط

يا حبيب الشعب يا أغلى حبيب ... أنت بدر في سمانا لن يغيب
سوف تبقى للرعايا عزة ... ترفع الأمجاد في ثوب قشيب
قد سكنت القلب فينا رائدا ... والدا يحنو علينا من قريب
قد ورثت الحب عن أغلى أب ... منه جاء اليمن صدقا لا يخيب
إننا شعب يصافيك الوفا ... بالدعا يرعاك يا عدل النقيب
قد رأينا فيك ما يرضى المنى ... قد لمسنا فيك أنوار الأريب
جفت الأرض ولم تبك السما ... فهبت اليوم تعطيها الخصيب
تمسح الأحزان عنها بالبنا ... ترتجي بالجهد أن تعطى العجيب
وأصبت الفقر سهما في الحشا ... فغدا يشكو من الموت الرهيب
وأمت الجهل بالعلم الذي ... سوف يبقى دائما نور اللبيب
هذه الأوراش تدعو للغنى ... ترجع الإملاق كالنبت القريب
تقتل العجز الذي في مهده ... تمنح الأحياء عزما من لهيب
طرب الشعب لعيد قد أتى ... فمضى يهدي نشيدا للحبيب

ينشـــد الأشـــعـــار يشـــدو بالغنا ... يعـــزف الألحـــان بالدق الرتيب
يجـــمع الأزهـار من كل الربى ... يرتجي منهـا رضـاء للحـسـيب(1)
عـــرشك الغـــالي كـــانا حلة ... بل ظلالا عـيـشـهـا عـيش الرطيب(2)
ســـوف يبـــقى في الحنايا حـــرمـــة ... تفـتـديه النفس دومـا بالصـبـيب(3)
أســـأل الله الذي منه الوفـــا ... أن يحـــيط الحب بالســـر الرقـــيب
أن يحـــيط الصنو بالحـــفظ الذي ... مـثله لا ينتـهي بل يسـتـجـيب
وليـــجـــاز الملك ذاك المرتضى ... فـهـو فـينا من بنى الصـرح الرحـيب
رب أسكنه مـــقـــام المجـــتـــبى ... فـهـو عـبـد صـالح غـال نجـيب

الرباط – عبد الحميد بنزوينة

1) الحسيب : صاحب الحسب، صاحب الشرف والأصل.
2) الرطيب : الهنيء.
3) الصبيب : الدم.

الرائد الخالد

للشاعر الأستاذ مصطفى الدغاي
- العصر الكبير -

الله أكبر ما أجلك رائدا ... ملكا عظيم المكرمات مجيدا
الله أكبر هذه آلاؤه ... تترى عليك بشائرا وسعودا
الله أكبر إنك البطل الذي ... يرعى الإله به حمى وحدودا
قد ألبس المولى العظيم جلالكم ... تاج المهابة من جلاله جودا
خير الصفات جمعتها فكسوتنا ... فما جمعت كرامة وخلودا
لله درك من عظيم قد سما ... علما وعقلا نافذا ووعودا
بر الحفي وحلمه وسماحه ... شدتم بها صرح الخلال فريدا
إن العدالة والمحبة والتقى ... سيمى أصالتكم أبا وجدودا
لا ترتضون بها البديل وأنتم ... من عاش للشرف الرفيع عهودا
إن الإله يحوطكم بعناية ... للخير يهدي قائدا ومقودا
أنت الذي وهب الحياة وطيبها ... لله والوطن الحبيب سعيدا
كم من ليال قد طويت مسهدا ... ترنو إلى فجر تراه مجيدا
مستكشفا عمق المجاهل سابرا ... غور المفاوز في خطاك وئيدا
حتى إذا انبلجت معالم منهج ... نحو المرام قد استقام وطيدا

أسرعت بالبشرى تزف روائعا ... باقات عز صغتها وعقودا
أحكمت صنعتها بحنكة ماهر ... يجلو الدقائق مبدئا ومعيدا
ليست لعيشك متعة وتلذذ ... حتى تتيح لنا المعاش رغيدا
وطدت أركان الأمان فلم يعد ... غير البناء عقيدة ونشيدا
كم أخرجت أرض من الثمرات إذ ... نالت رضاءك أوهدا ونجودا
ينساب في شريانها نسم الحيا ... ة مداويا أسقامها ومبيدا
واستبشرت فيها السوائم إذ غدت ... للين من تطفح بالعطاء ولودا
مليون هكتار تماثل عهده ... عما قريب نحتفي به عيدا
قد كان للتصنيع عندك همة ... لا تستسيغ تراجعا وهمودا
صنت الأصالة في مظاهر صنعنا ... أخلصت للموروث كنت مجيدا
أوليت عطفك للتجارة فازدهت ... في ظل عرشك لا تسام كسودا
نميت عمران البلاد فزانها ... ورعيت صحتها فنلت خلودا
تلك الأثافي قد رفعت بناءها ... أهرام عز يشمخر مديدا
ترضاه خفاق الجناح منعما ... شعبا تضمخ بالولاء نجيدا
في ظل عرشك يستطيب رخاءه ... مستروحا عيش الهناء رغيدا
أذكيت في عمق الحكومة جذوة ... من نور وقدك ثاقبا وحديدا
فتحركت في خط سيرك داخلا ... أو خارجا ليست تكل جهودا

**

قد كنت دوما في المكاره ملجأ ... تحمي الظليم إذا استغاثك جودا
أنت العظيم العبقري قيادة ... وسياسة أنت الوفي عهودا
رمز الفدى في الحي خير مدافع ... عن خير حصن قد رعاك وليدا
من خلفه شعب بكامله أبى ... إلا الفداء محببا ومريدا

**

مـــولاي فـــضلك عـــمنا وتواترت ... آلاؤك الحـــسنى تشع عـــقـــودا
إنا فـــداؤك فـــاهنأن منعـــمـــا ... بالعـــيـــد يكلؤك الإله ســـعـــيـــدا
عـــيـــد ســـعـــيـــد قـــد تبـــارك شـــأنه ... فـــاضت بشـــائره دعى ونشـــيـــدا
ألهـــبت فـــيـــه حـــمـــاسنا فـــتـــدفـــقت ... أنـــواره تـــذكـــي الـــولاء وقـــــــودا
حـــفظ الإله جـــلالكم وأعـــانكم ... وأتاكم الـنـصـــــر المكين مـــديدا
ورعى الرشـــيـــد شـــقـــيـــقكم وذويكم ... فـــانعم عـــزيزا واســـعـــدن خلودا

القصر الكبير - مصطفى الدغاي

ملك على عرش الجدود قد استوى

للشاعر الأستاذ عبدالكريم الطالب
- تارودانت -

كمل الجمال فآنس الألباب ... وشدا الهزار فأجمل التطريبا

وتجلى عيد العرش في حلل بدت ... للناظرين يفاخر الأترابا

هذا الربيع المولوي تفتحت ... أزهاره فغدا الأريج طيوبا

مولاي كونك في الوجود تكامل ... لولاك ما ساد الأمان ترابا

كالشمس في كبد السماء منيرة ... لولاها ما عرف الأنام صوابا

** **

ملك على عرش الجدود قد استوى ... فأضاف للعرش المجيد رتوبا

ملك على سر الملوك قد انطوى ... ويشاء ربه أن يكون نجيبا

الملك فيك تواصل وتراحم ... كالغيث يسقى وهدة وروابا

قد جئت بالعهد الجديد مبشرا ... وغدوت للخلق النبيل نقيبا

وأتيت تحمل للوجود رسالة ... من وحي قلبك تضمن الإيجابا

يصغي إليك الراسخون بأسرهم ... يتساءلون ويرقبون جوابا
فبدأت في الأشواط تقطع جازما ... متسامحا متواضعا مشبوبا

** **

ملكي ظنون العالمين تحققت ... في رعيك الأعجام والأعرابا
كل العناية والقلوب تجاهكم ... يا خير من طاف البلاد وجابا
مولاي هذي رودانة مذ زرتها ... قد واصلت وتجددت الترحابا
تلك الزيارة في القلوب ترسخت ... كم قد بنته وكم حلت أبوابا
تلك الوديعة من سروري تخيلت ... في مهجتي كأن فقدت الصوابا
لالا فمعذرة فلست بفاقد ... بل قد رأيت مليكنا المحبوبا

** **

تموز تأتي بعيد عرش معظم ... ملك يشيد مغربا جذابا
يوليوز يا يوليوز عدت مكرما ... يوم الثلاثين تنشر الأطيابا
هذي ثلاثون مليونا كلها احتفت ... ذكرا وأنثى مشايخا وشبابا
شعب بثاني الذكريات لعرشكم ... صنع الفنون وأبدع الإعجابا
فذووا القيادة والسيادة في الملا ... بذلوا الجهود وأحسنوا الترتيبا
وذووا الزخارف والتزين والحلى ... حولوا الأماكن مخضرا خلابا
وذووا المعازف والفكاهة والغنا ... حولوا الحناجر بلبلا مطرابا
وذووا البلاغة والكلام بديهة ... نظموا القوافي وأظهروا الإعرابا

** **

شـــيـــآن لم أر في الحـــيـــاة ســـواهمـــا ... يســـتـــوجـــبـــان الســـبق والإطنابا

هذان أحلم بالوصـــول إليـــهـــمـــا ... رفع الولاء وأخـــدم الأعـــتـــابا

مـــولاي هذا شـــويعـــر مـــتـــودد ... لا يملك العـــجـــد والأذهابا

يهـــدي إليك على الأثيـــر خـــواطرا ... تمشي الهـــوينى وقـــد جـــرت أثوابا

تلقـــاك في رغـــد الحـــيـــاة منعـــمـــا ... ويكون عـــهـــدك لابثـــا أحـــقـــابا

وليـــحم ربنا عـــرشكم وشـــقـــيـــقكم ... مـــولى الرشـــيـــد ونلتم المرغـــويا

تارودانت - عبد الكريم الطالب

شعبي العزيز:

إنك تدرك مدى أهمية الإصلاحات الجذرية التي حققناها، والتي أكسبت بلادنا مصداقية أكبر، ومكنتها من ترسيخ مشروع مجتمعي يستند إلى ديموقراطية اجتماعية متزنة، وتنمية اقتصادية مستديمة.

وإننا لنؤكد العزم على متابعة المسير لتحقيق كل مطامحك وتطلعاتك، وبلوغ جميع أهدافك وغاياتك، مما يقتضي تقوية الإيمان بالله، وتعميق الثقة بالذات، وإذكاء شعلة الوطنية في النفوس، وإشاعة روح المواطنة الحق، وتمتين التمسك بالثوابت والمقدسات، وسائر مقومات الكيان، والمثابرة على مضاعفة الجهود وتظافرها، والتعاهد على بذلها بحب وتفان، وصدق وإخلاص.

وإن تحقيق هذه المقتضيات هو الذي سيمكن المغرب من توفير أسباب العزة والمناعة، وسيؤهله لرفع تحديات المستقبل، ومواجهة الإكراهات التي يفرضها عالم متحول، وهي إكراهات متعددة ومعقدة وحاسمة، إذ تستوجب تطوير توظيف كل المعطيات الوطنية، اقتصادية كانت، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو سلوكية، وتستلزم التوفيق بين تلبية متطلباتنا، والتكيف مع متطلبات العولمة، التي أبانت عن شراستها الإقتصادية، بما تحمل في طياتها من آثار جانبية، وبما تنطوي عليه من مخاطر نمطية ثقافية، وهي سلبيات لا سبيل أمامك لتجنبها شعبي العزيز، إلا بالحفاظ على هويتك، والإلتحام حول قيادتك، والحرص على مؤسسات تقي بلدك المغامرات، والتدبير الدائم لدروس تاريخك الحافل الذي كتبه أجدادك الأباة بمداد دمائهم الزكية، مضحين بكل غال ونفيس، وبأرواحهم فداء للمغرب العزيز.

من خطاب أمير المومنين
جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده
إلى الأمة المغربية
بمناسبة عيد العرش المجيد
والذكرى الأولى لتربع جلالته
على عرش أسلافه الميامين

دعاء

بالله نسأل أن يلقي عليك شعبي العزيز
أريحية الرضى والسكينة والسلامة، وأن يبقي
نعمة التضامن والفضيلة والكرامة، وأن
يديمك على جادة العمل والإخلاص والاستقامة
وأن يعينني على حمل أمانة فيدرتك، ويوفقني
لإعلاء شأنك ولم شملك وجمع كلمتك،
ويهديني لما يؤدي إلى خيرك وعزك وسعادتك.

* إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي
إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب * صدق الله العظيم

من خطاب أمير المؤمنين جلالة الملك
محمد السادس نصره الله
بمناسبة عيد العرش المجيد لسنة 2000

فهرس العدد

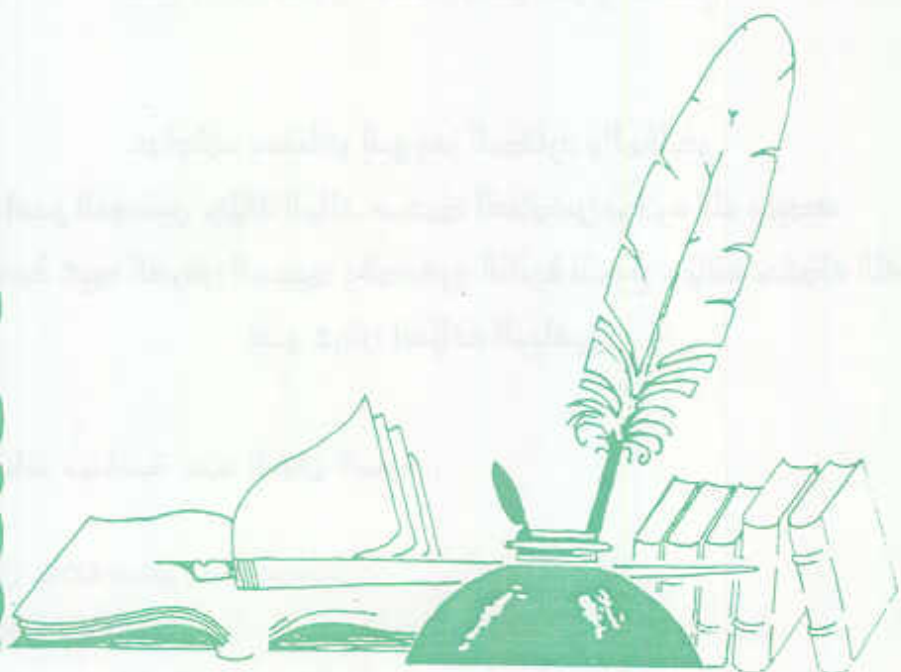

فهرس العدد 360
السنة الثانية والأربعون
بمناسبة عيد العرش المجيد

□ الآية القرآنية الكريمة : 1

□ شجرة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله : 7

□ تهنئة : 8

□ افتتاحية العدد :

* عيد العرش... مسيرة وتجديد
للسيد رئيس التحرير الأستاذ هاشم العلوي القاسمي 10

عواطف ومشاعر إلى رمز المكارم والمفاخر
أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده
بمناسبة عيد العرش المجيد والذكرى الثانية لتربع جلالته حفظه الله
على عرش أسلافه الميامين

□ مقالات دراسات بمناسبة عيد العرش المجيد :

* أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس
ملك الإصلاح والنهضة والتجديد
للأستاذ ادريس خليفة 16

* من وحي الذكرى ومقاصد الاحتفال بعيد العرش
للأستاذ إبراهيم بن أحمد الوافي 20
* عيد العرش المجيد وتتابع مسيرة بناء المغرب الحديث
للأستاذ محمد يعقوبي خبيزة 24
* عيد العرش عيد بيعة وولاء
للأستاذة سعيدة العلمي 30
* وثيقة نادرة عن عيد العرش لسنة 1948م
للأستاذ عبد الحق بنطوجة 34
* عيد العرش المجيد، عيد التأييد والتعلق بملوك المغرب
رموز الوحدة الوطنية في التاريخ المعاصر
للأستاذ أحمد الأزمي 38
* الحركة الوطنية وعيد العرش
للأستاذ أحمد البوزيدي 46
* مهام المجالس العلمية من خلال خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله
ـ قراءة في المضامين ـ
للأستاذ أحمد بودهان 54
* تاملات في بعض قضايا الحوار الحضاري
من خلال خطب جلالة الملك محمد السادس
للأستاذ حسن عزوزي 63
* الحسن الثاني وفكرة اتحاد المغرب العربي
ـ نظرات في المبادئ والأسس ـ
للأستاذ محمد الروكي 72
* مميزات الحكم في المغرب
استلهاما من شخصية سيدي محمد بن عبد الله العلوي
للأستاذ عبد الحميد محيي الدين الباعمراني 79
* خصائص شعر العرشيات
للأستاذ عادل بنمنصر 85
* مميزات شعر العرشيات
للأستاذ خالد التروكي 102

□ ديوان المجلة : باقة شعرية بمناسبة عيد العرش المجيد

* محمد السادس للمكارم منبع
للشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي 110

* الملك العدل
للشاعر الأستاذ البشير التزنيتي 113

* يا حبيب الشعب يا أغلى حبيب
للشاعر الأستاذ عبد الحميد بنزوينة 116

* الرائد الخالد
للشاعر الأستاذ مصطفى الدغاي 118

* ملك على عرش الجدود قد استوى
للشاعر الأستاذ عبد الكريم الطالب 121

* * *

□ فهرس العدد 128

مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3